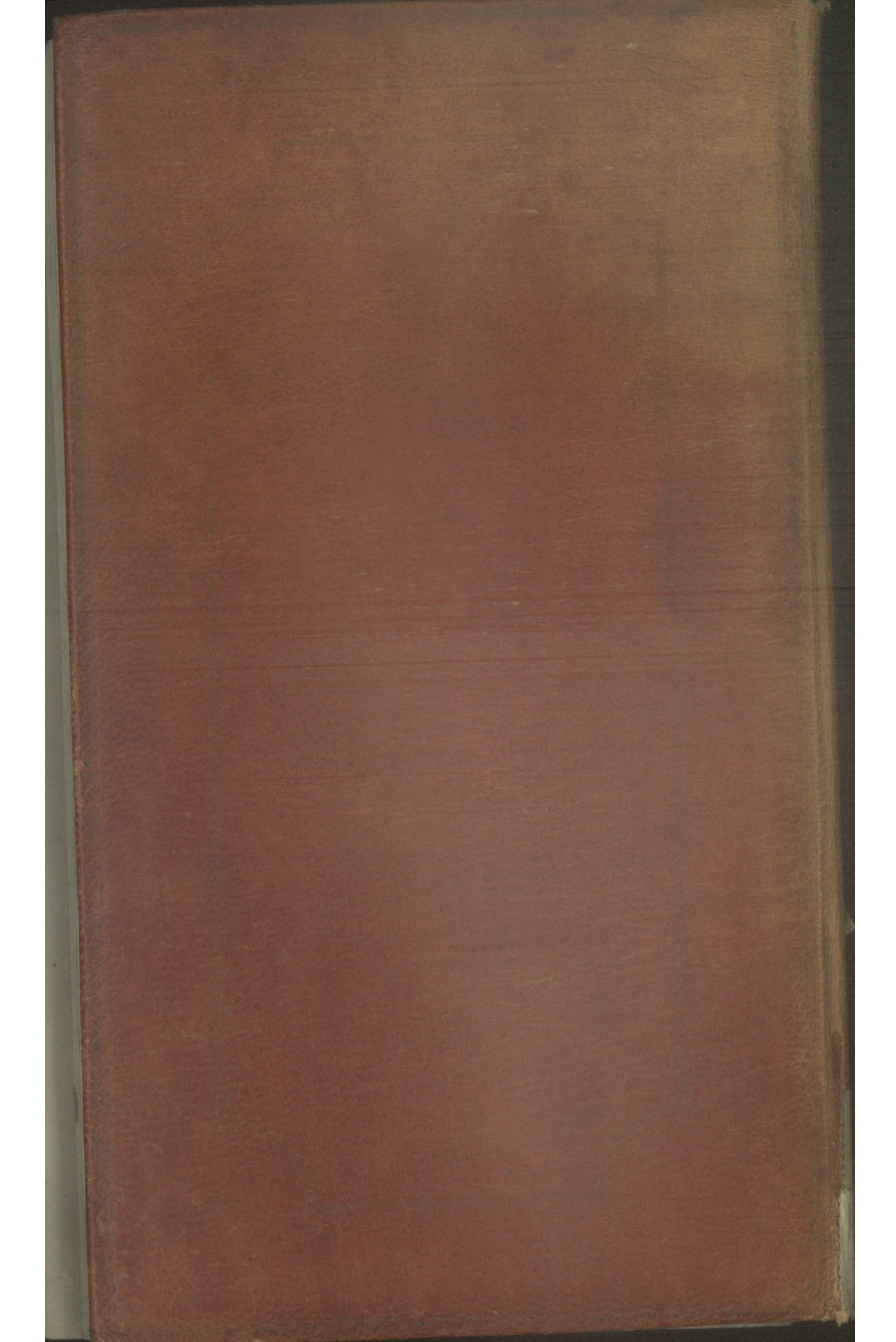
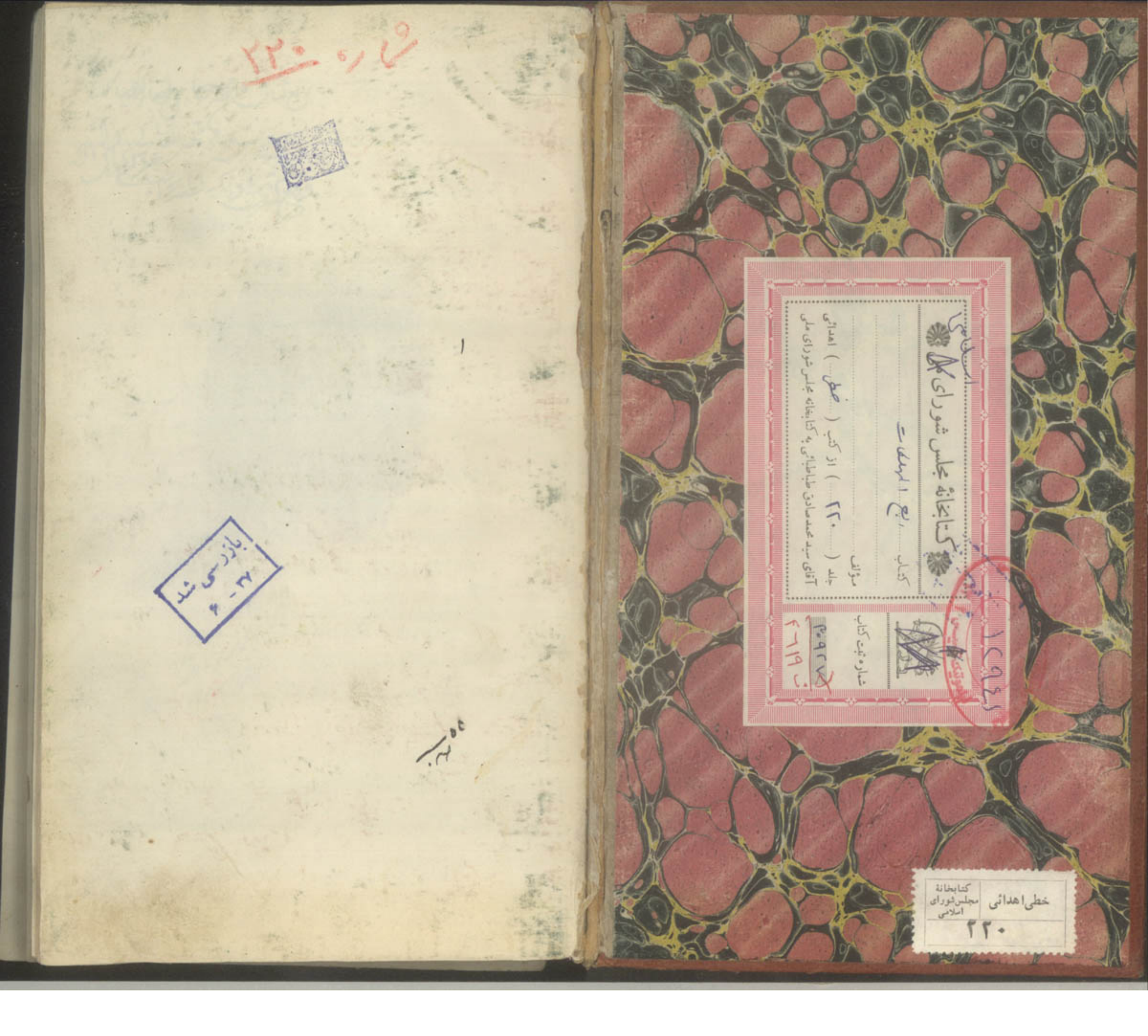
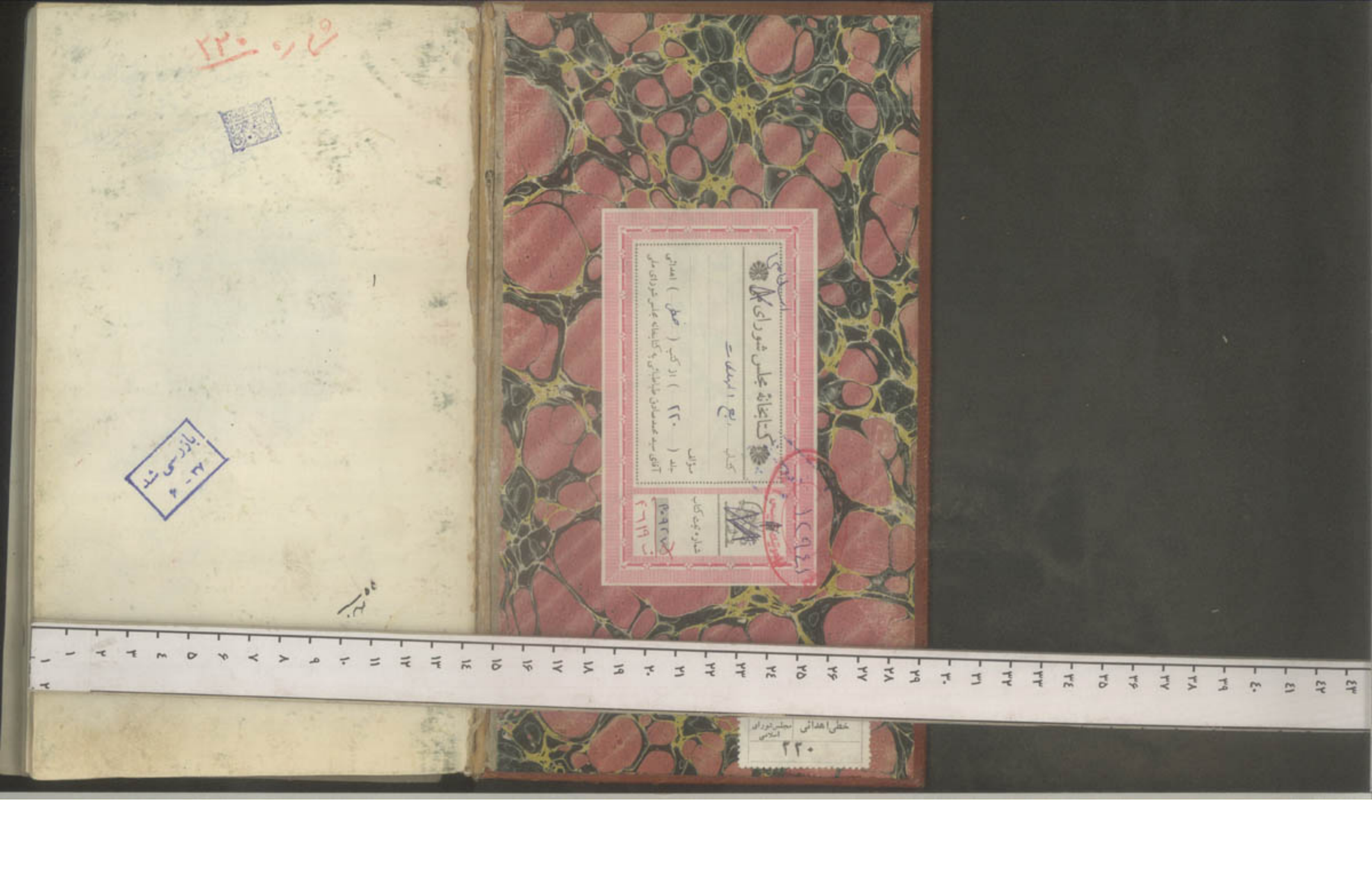
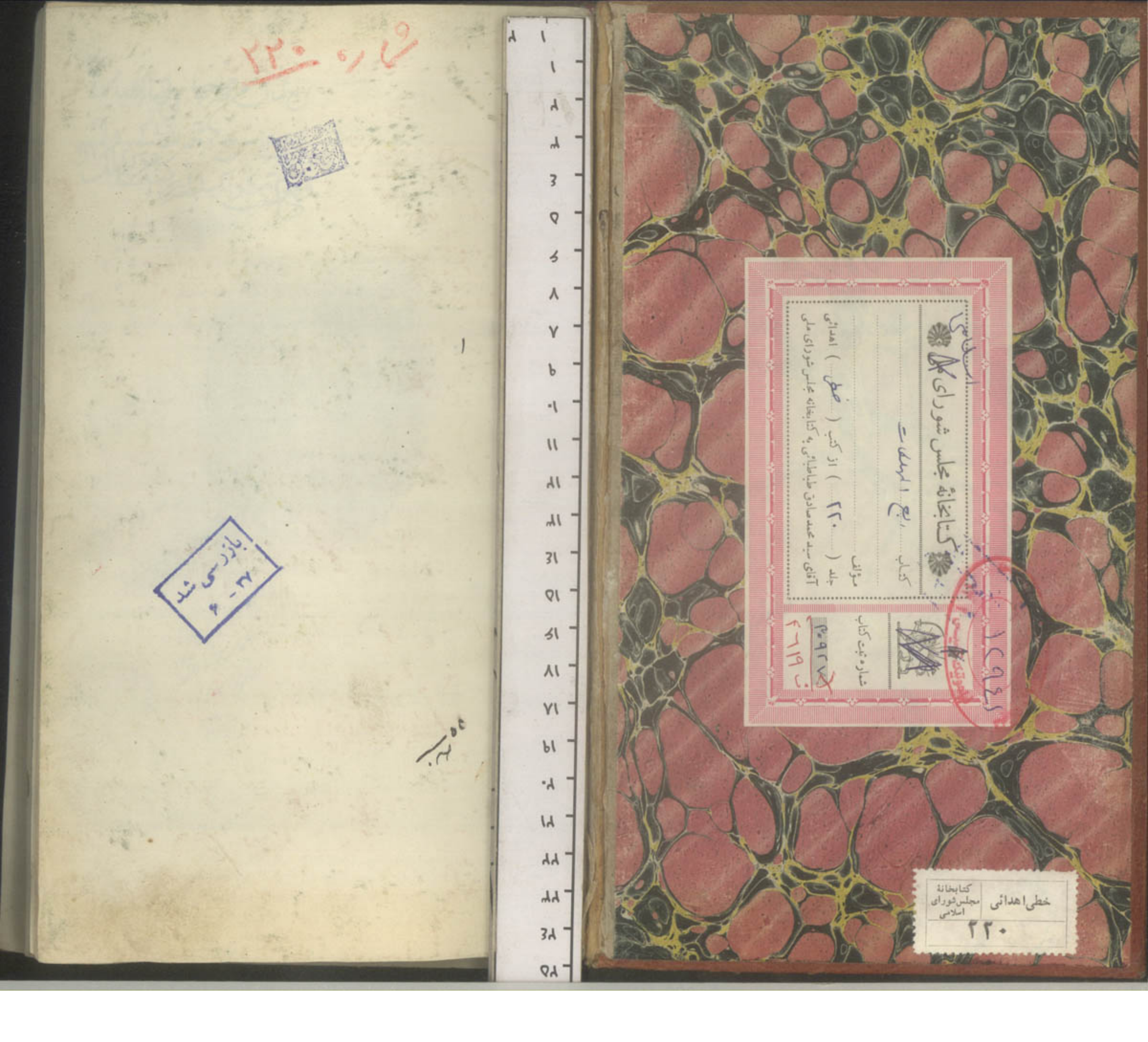





خطی اهدائی
مجلس شورای اسلامی
۲۳۰







بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

كتاب شرح عجائب القلب وهو الكتاب الاول من ربع المهلكات من المحجة البيضا في تهذيب الاحياء

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي
اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات
الضماير المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب و
غفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على محمد سيد المرسلين
وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين
اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده
لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته
وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو
العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو
الكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع له وخدم وآلات يستخدمها
القلب ويستعملها استعمال الملك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع
للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله
اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو الذي يسعد بالقرب
من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه
وهو المطيع لله بالحقيقة وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات
انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري على الاعضاء من
الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه
اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا
عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه

وهو المعاتب والمعاقب
نسخة الاحياء

واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل بقلبه فهو بغيره اجهل واكثر
الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله
يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان لا يوفقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة
صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة
الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلا
عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه و
يراعيه ويترصد ما يلوح من خزاين الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى
فيه ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ
قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح
من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر
الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن
فلا بد وان نقدم على كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب واخلاقه
وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندرج بعد ذلك في تفصيل
المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال
ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واخلاقه واسراره الداخلة في جملة عالم
الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام وبالله التوفيق **بيان معاني** النفس
والروح والعقل والقلب وما هو المراد بهذه الاسامي اعلم ان هذه الاربعة
اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه
الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشأها الجهل
بمعنى هذه الاسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفات ونحن نشرح من معاني
هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **اللفظ الاول** لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين
احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم

المخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح و
معدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية
وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود
للميت ونحن اذا اطلقنا اسم القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه
قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة
البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا
القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم
العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب ولها علاقة مع القلب
الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقها به
يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل
للآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه
متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة
والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح وما لم يتكلم فيه رسول الله صلعم
فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب
اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها
في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر
حقيقتها **اللفظ الثاني** الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا
لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة
العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانها في البدن وفيضان
انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منها الى اعضائها يضاهي فيضان
النور من السراج الذي يدار في زوايا الدار فانه لا ينتهي الى جزء من
البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح
مثالها السراج وسريان الروح وحركتها في الباطن مثاله مثال حركة السراج

في

في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا اسم الروح ارادوا به هذا
المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس غرضنا شرحه اذ المتعلق
به غرض الاطباء الذين يعالجون مرض الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين
للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه
الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة الربانية العالمة المدركة من الانسان
وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى
بقوله ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني
يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته **اللفظ الثالث** النفس
وهذا ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد
به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي بيانه وهذا
الاستعمال هو الغالب على الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات
المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه
الاشارة بقول النبي صلى الله عليه واله وسلم اعدى عدوك نفسك التي
بين جنبيك المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان
في الحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب
اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب
معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها
الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم
يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت
النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى
ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى
الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى

مالك الكتاب [illegible]
٢٩ شهر شعبان
١٣٣٣

اخبارا عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقد
يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هى النفس بالمعنى الاول فاذن
النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثانى محمودة لانها
نفس الانسان اى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبساير المعلومات
اللفظ الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها فى كتاب
العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم
بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب والثانى
انه قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم
المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعنى تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل
عالم فله فى نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلم صفة حالة فيه و
الصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق و
يراد به محل الادراك اعنى المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق
بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه
وفى الخبر انه تعالى قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا
قد انكشف لك ان معانى هذه الاسامى موجودة وهو القلب الجسمانى
والروح الجسمانى والنفس الشهوانية والعقل العلمى وهذه اربعة معان
يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهو اللطيفة العالمة المدركة
من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعانى خمسة والالفاظ
اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه
الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون فى الخواطر ويقولون هذا خاطر
العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس
يدرى الناظر اختلاف معانى هذه الاسماء فلاجل كشف الغطاء عن ذلك

قدمنا

قدمنا شرح هذه الاسامى وحيث ورد فى القران والسنة لفظ القلب فالمراد
المعنى الذى يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى
عنه بالقلب الذى فى الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب
علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بساير البدن ومستعملة له
لكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب فكانه محلها ومملكتها
وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر
بالكرسى فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسى فلا تظن به انه
يريد عرش الله سبحانه وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته
والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسى
بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه
وشرح ذلك لا يليق بغرضنا فلنجاوزه **بيان جنود القلب** قال الله تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه فى القلوب والارواح وغيرها
من العوالم جنود مجندة لا يعلم حقيقتها وتفصيل عددها الا هو تعالى
ونحن الان نشير الى بعض جنود القلب وهو الذى يتعلق بغرضنا وله
جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهو فى حكم الملك
والجنود فى حكم الخدم والاعوان وهذا هو معنى الجند فاما جنده المشاهد
بالعين فهى اليد والرجل والعين والاذن واللسان وساير الاعضاء
الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف
فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا
ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة
تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضاء
وتسخر الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخر الملائكة لله تعالى
فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما

امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شي وهو ان الملائكة
عالمة بطاعتها وامتثالها لربها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح
والانطباق على سبيل التسخر ولا خبر لها من معرفة نفسها ومن طاعتها للقلب
وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب و
الزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل
لقائه عز وجل فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب
التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن
ان يصل القلب الى الله تعالى ما لم يسكن بالموت البدن ولم يجاوز الدنيا
فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا
مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت الدنيا لانها
ادنى المنزلتين فاضطر الانسان الى ان يتزود من هذا العالم فالبدن
مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه
وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان
يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب
الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء
الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت
له الاعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى
جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من
الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكل
ذلك بامور خارجة عن البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء
اذا لم يعرف الغذاء لا ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى
جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر

وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه
الحكمة فيها يطول ذكره ولا يحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير
منها في كتاب الشكر فليقنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلثة اصناف
صنف باعث ومستحث اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى
دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني

هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد وقد يعبر عن هذا الثاني
بالقدرة وهي جنود مبثوثة في ساير الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار
والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر و
السمع والشم والذوق وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا
بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة
وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت
آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر
انما تدرك الشي بالعين وكذا ساير القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة
اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما
ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه
الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع
والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن المنازل الباطنة وهي تجاويف
الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشي يغمض عينيه
فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شي
يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض
ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله
بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر و
تذكر وحفظ ولولا ما خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان

يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة
واما كونها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث
يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء
والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب
ذلك من افهامهم ان شاء الله تعالى **بيان امثلة** القلب مع جنوده الباطنة
اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما
فيعينانه على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو
بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه
وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد
وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه
ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الآخرين فانهما قد
يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند
الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق
فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة
وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه
ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلثة امثلة **المثال الاول** ان نقول مثل
نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في
مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها
وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له
كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد سوء يجلب الطعام
والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب
للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر
الهائل والسم القاتل وديدنه منازعة الوزير الناصح في كل تدبير

يدبره

يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في آرائه ساعة واحدة فكما ان
الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا
العبد الخبيث بل مستدلا في اشارته على ان الصواب في نقيض رأيه وادب
صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على
هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا
ومأمورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا
النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة
واستعانت باحديهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه
بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب
والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل
عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله
الله على علم وقال تعالى واتبع هواه وكان امره فرطا وقال تعالى واتبع هواه
فمثله كمثل الكلب وقال فيمن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى و
سيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة
النفس ان شاء الله تعالى **المثال الثاني** ان البدن كالمدينة والعقل اعني
المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة و
الباطنة كجنوده واعوانه واعضائه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي
الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار
بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره
على ما يجب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم
اثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء
اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم

هاتك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه واله
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل
مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس
حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان
هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث
تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب
فضلا من ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان
وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال غلبة الشهوة عليه خصوصا
شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال غلبة الغضب واستيلائه **بيان
خاصية القلب** للانسان اعلم ان جميع ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر
الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها
فتهرب منه فذلك ادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله
عظم شرفه وقدره واستاهل القرب من الله سبحانه وهو راجع الى علم وارادة
اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقايق العقلية فان
هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم
الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد
لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس
ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس
زايد على ما ادركه الحس فاذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري
فهو في ساير النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة
الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى
تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات

بل

بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدهما
ويطلبهما ويبذل المال عليهما والشهوة تميل الى لذايذ الاطعمة في المرض و
العاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى
العقل المعرف لعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على
مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب
الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي
في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب
والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حالة الصبي ثم للصبي في
حصول هذه العلوم فيه درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على جملة من
العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجايزات
الظاهرة فيكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة
الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم
يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه
قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان يحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب
والفكر ويكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق
بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليه وهذه
هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى تتفاوت الخلق
فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها
اذ يحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها
بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطي الحصول
وفي هذا المقام يتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء
ودرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها و
اقصى الرتب فيها رتبة النبي صلى الله عليه واله الذي ينكشف له كل الحقايق

السعادة

او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه
يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة
والجهة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله ولا حصر
لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه
ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما
لكن قد يصدق بها ايمانا بالغيب كما انا نومن بالنبوة وبالنبي صلى الله عليه واله
ونصدق بوجود ذلك ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف
الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية
ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية ولا يعرف عاقل
ما انفتح على اولياء الله وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهذه الرحمة
مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على احد
ولكن انما يظهر للقلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه واله
ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير
القلوب وتزكيتها عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة
كما سياتي بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه واله ينزل
الله في كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله
عليه السلم حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائي
واني الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه
ذراعا وكل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب
لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت
لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت
مملوة بالماء لا يدخلها الهوى فكذلك القلوب المشغولة بغير الله تعالى

لا تدخلها

لا تدخلها المعرفة بالله وجلاله والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه واله
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء
ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة وان اشرف
انواع العلم هو العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وفيه كمال الانسان وفي
كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب
للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها
خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في القوة على الحمل ويختص الفرس عنه
بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية
فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار
والفرس في امور ويفارقهما في امور هي خاصيته وتلك الخاصية هي من صفات
الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين الملائكة والبهايم فان
الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار
فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحايط وانما
خاصيته معرفة حقايق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه
الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلتحق بهم
وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال الله تعالى ان هذا الا ملك كريم
ومن صرف همته الى اتباع الشهوات واللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام
فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير
واما ضرعا ككلب او سنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان
كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء
ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله
تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر ان شاء الله فمن استعمل
فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك

محمد بن صادق الحسيني ... ١٤ ربيع الاول ١٣٠٨

ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا طريقه والبدن
مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى
هو وسط مملكته كالملك ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ
مجرى صاحب بريد اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجرى القوة الحافظة
التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه و
يجرى الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه
فيوكل كل واحدة باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان
والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروايح وكذلك سايرها فانها
اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية
التى هى كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى القوة
الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه
فى تدبير مملكته واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو
مبتلى به ودفع قاطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا
شاكرا لنعمة الله عليه واذا عطل هذه الجملة واستعملها لكن فى مراعات
اعدائه وهى الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة او فى عمارة
طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره
الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا لانعم الله مضيعا لجنود الله ناصرا
لاعداء الله مخذلا لحزب الله تعالى فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب
والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذى ضربناه اشار كعب
الاحبار قال دخلت على عايشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه
قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك
فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلعم
يقول وقال علي عليه السلم فى تمثيل القلوب ان لله تعالى فى ارضه آنية

وهى القلوب فاحبها الى الله تعالى ارقها واصفاها واصلبها ثم فسرها فقال اصلبها
فى الدين واصفاها فى اليقين وارقها على الاخوان وهذه اشارة الى قوله تعالى
اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قيل معناه
مثل نور المومن وقلبه وقوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى مثل قلب المنافق و
قيل فى قوله تعالى فى لوح محفوظ هو قلب المومن قال سهل مثل
القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه امثلة القلب **بيان مجامع
اوصاف القلب وامثالها** اعلم ان الانسان قد اصطحب فى تركيبه وخلقته اربع
شوايب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهى الصفات
السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب
يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم
ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق
وغيره ومن حيث انه فى نفسه امر ربانى كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربى
فانه يدعى لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد
بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع و
يشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق
الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا قرن بالجهل والاحاطة بجميع
الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفى
الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهايم بالتمييز مع مشاركته
لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز فى
استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيل والخداع
ويظهر الشر فى معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب
من هذه الاصول الاربعة يعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية
وكل ذلك مجموع فى القلب فكان المجموع فى اهاب الانسان خنزير وكلب

وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه
وشكله وصورته بل لشبقه وحشته وحرصه والكلب هو الغضب فان
السبع الضاري والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور
ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية
الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه
حرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو
بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع
ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي
هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن
تلبيسه ببصيرته النافذة وبنوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير
بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب
بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك
وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل
على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال
في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون
دايما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر
همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة
الاصنام عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله
ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم واما في اليقظة
لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا له اخرى و
منتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على
الفور في خدمته واحضار شهواته او راى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور
عابدا له مطيعا لما يلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته

وهو ح بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب
ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب
كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة
فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا
غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر
مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة
هؤلاء الثلثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلثة صفات تتراكم
عليه حتى يصير طبعا فيه ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة
فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والزنا والهتكة
والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها
واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والبذاة والبذخ
والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف
وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرهما واما طاعة الشيطان بطاعة
الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة
والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر
وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية
العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي
عليه والاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على
الخلق بكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر
اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل
العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن
الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب
وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس

والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها
والقلب في حكم مراة وقد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على
التوالي واصلة الى القلب اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد
مراة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى تتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه
حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه واله
اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلعم من كان له
من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه
الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار المذمومة
فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مراة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة
بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع
والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله
ان لو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم
السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى قال الله تعالى واتقوا الله
واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب
طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين
ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليه فاذا قرع
سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى
ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من
الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب
بالذنوب كما نطق به القران والسنة اقول روى زرارة عن ابي جعفر ع
قال ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة
سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك
السواد حتى يغطي البياض فاذا غطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابدا

وهو

وهو قول الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعنه عليه السلام ان القلوب
ثلاثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء
والخير والشر فيه يختلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح
تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة وانما قال الى يوم القيمة لان القلب بهذا المعنى
لا يخرب بخراب البدن قال ابو حامد وعن النبي صلعم قلب المؤمن اجرد وفيه
سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس وطاعة الله تعالى بخلاف الشهوات مصقلات
القلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة
ومحى اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمراة التي يتنفس فيها ثم تمسح ثم
تتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال الله تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب
وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب
الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى
بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة اعلم ان محل العلم هو القلب
واعني بالقلب اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء
وهي بالاضافة الى حقايق المعلومات كالمراة بالاضافة الى صور المتلونات
فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة تنطبع في المراة وتحصل فيها
فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مراة القلب وتتضح
فيها وكما ان المراة غير وصورة الاشخاص غير وحصول امثالها في المراة غير
فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقايق الاشياء وحصول نفس
الحقايق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي يحل
فيه مثال حقايق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقايق الاشياء والعلم عبارة
عن حصول العلوم في القلب كحصول المثال في المراة وكما ان المراة لا ينكشف
فيها الصورة لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور

وتشكل ويصقل والثاني لخبثها وصداها وكدورتها وان كانت تامة الشكل
والثالث لكونها معدولا بها عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت
الصورة وراء المراة والرابع لحجاب مرسل بين المراة والصورة والخامس الجهل
بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة رؤيتها حتى يتعذر بسببه ان يحاذى بها
شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مراة مستعدة لان يتجلى فيها حقيقة
الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها بسبب
هذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذات القلب كقلب الصبي فانه لا يتجلى
له المعلومات لنقصانه الثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على
وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع
ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله من
قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اي حصلت في قلبه كدورة لا يزول
اثرها ابدا اذ غايته ان يتبع الذنب بحسنة تمحوه فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم
السيئة لزاد لا محالة اشراق نور القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فايدة
الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا
خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليس المراة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة
كالتي لم تدنس اصلا وتمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق
والاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب
ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و
قال النبي صلى الله عليه واله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا
به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه
ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق ولا يحاذي بمراته شطر المطلوب
بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او تهيئة اسباب
المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في الحضرة الربوبية والحقايق الخفية الالهية

فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقايق افات الاعمال وخفايا عيوب
النفس ان كان متفكرا فيها او في مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان
تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا من انكشاف جلية الحق فما ظنك في
صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلايقها فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقي
الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقايق
قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه في ضد الحق منذ
الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة
الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما يلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا
حجاب عظيم به قد حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين
المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية
جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقايق
الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه
ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها
ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك يكون
قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست
فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل الا عن علمين
سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما
علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى وذلك اذا
وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق
في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول
وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي
الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه في المراة فانه
ان رفع المراة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا

وان رفعها وراء القفاء وبإذائه كان قد عدل بالمراة عن محاذيه فلا يرى المراة
ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مراة اخرى تنصبها وراء القفا وهذه في
مقابلتها بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المراتين حتى تنطبع صورة
القفا في المراة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المراة في المراة الاخرى التي
في مقابلة العين ثم يدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق
عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المراة ويعز على بسيط
الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب
المانعة للقلوب من معرفة حقايق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح
لمعرفة الحقايق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه
الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا اشارة الى ان له خاصية يميزها عن السموات والارض
والجبال وبها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد
وقلب كل ادمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطها عن النهوض
باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال النبي صلعم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله صلعم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات
اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت
واليه الاشارة بما روي انه قيل يا رسول الله اين الله في الارض او في
السماء قال في قلوب عباده المومنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني
ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن اللين الوادع وفي الخبر انه
قيل للنبي صلعم من خير الناس فقال كل مومن مخموم القلب فقيل وما مخموم
القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل

ولا حسد

ولا حسد ولذلك قال علي عليه السلم راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى
ومن ارتفع الحجاب بينه وبين ربه تجلت صورة الملك والملكوت في قلبه
فيرى جنة عرض بعضها كعرض السموات والارض واما جملتها فاكثر سعة
من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة
وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما
عالم الملكوت وهو الاسرار الغايبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك
البصاير فلا نهاية لها نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في
نفسه وبالاضافة الى علم الله سبحانه لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت
اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة
بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شي سوى الله وافعاله ومملكته وعبيده
من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينه عند قوم وهو سبب
استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة
معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله سبحانه وتعالى وصفاته وافعاله وانما
مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد
افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة
وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان
له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض
الثاني ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة
ايمان العوام السابقة والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين
ويتبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار
له ثلث درجات الاولى ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب
ولا تتهمه بالانحراف في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد

السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما
بلغوا سن التميز سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه
وارادته وقدرته وساير صفاته وبعثة الرسل وصدقهم فيما جاؤا به وكما
سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه
لحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم او معلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الاخرة
واهله من اوايل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه
كشف بصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من
الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى
ايضا مطمئنة بما سمعوه من ابائهم وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه
خطاء لانهم القي اليهم الخطاء والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه
ولكن لانهم القي اليهم كلمة الحق الدرجة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته
في الدار ولكن من وراء جدار فتستدل بذلك على كونه في الدار فيكون
ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد
السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا
لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال
مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان
ممزوج بدليل والخطاء ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه
الصوت وقد يمكن التكلف ايضا بطريق المحاكات الا ان ذلك قد لا
يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس
والمحاكات غرضا الدرجة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك
وتشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة
المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم
ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون عنهم بمزية يستحيل معها امكان الخطاء

نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات
فمثالها ان تبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس
فيكمل لك ادراكه ولآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل
له من صورته ما يتيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل من نفسه الدقايق و
الخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية
واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمروا وبكرا وغير ذلك
واخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال
القلب بالاضافة الى العلوم **بيان حال** القلب بالاضافة الى اقسام العلوم
العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول
حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية والى
شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية
اما العقلية فنعني بها ما يقضي به غريزة العقل ولا يوخذ بالتقليد والسماع وهي
تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت ولا كيف حصلت كعلم الانسان
بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة والشيء الواحد لا يكون
حادثا قديما موجودا معدوما فان هذه العلوم يجد الانسان نفسه منذ
الصبى مفطورا عليها ولا يدري متى حصلت له ولا من اين حصلت اعني انه
لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقها والى مكتسبة
وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقليا قال علي ع
رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما
لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله
ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله ص
لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب انت بعقلك
اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن

مثل محل العلم هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم
التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة
العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في
الاعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل
والعلم الحاصل فيه جار مجرى قوة ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء
وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا الى اوان التميز او البلوغ يضاهي
تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات
والقلم الذي يسطر الله به العلوم على صفحات القلب يجري مجرى قرص
الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التميز لان لوح قلبه ما تهيا بعد
لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا
لحصول نقش العلوم في قلوب البشر كما قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه
فليس قلمه جل جلاله من قصب ولا خشب كما ان ذاته ليست من جوهر ولا عرض
فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا
انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي
اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على
الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموافقة البصيرة
الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما راى
سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض وما اراد بذلك الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص
بابرهيم صلى الله عليه وسلم حتى يذكر فيه في معرض الامتنان وكذلك سمى ضد ادراكه عمى
فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا

بيان العلم العقلي واما العلوم الدينية فهي الماخوذة بطريق التقليد
من الانبياء صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته
عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان
محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج
الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل
لا يهتدي اليها ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنا بالعقل عن
السمع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل
والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من
احد الفريقين بل كن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية
والعلوم الشرعية كالادوية والشخص والمريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء
فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بادوية مستفادة من الشريعة وهي
وظايف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح
القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم
العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية
مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما امر غير ممكن هو ظن صادر عن عمى
في عين البصيرة نعوذ بالله من ذلك بل هذا القايل ربما يناقض عنده بعض
العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير
بذلك وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه
في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي
دخل دارا فيعثر فيها بالاواني الدار فيقول ما بال هذه الاواني تركت على
الطريق لم لا ترد الى مواضعها فيقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست
تهتدي الى الطريق لعماك والعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما

تحملها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية فاما العلوم
العقلية فتنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة
والنجوم وساير الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات
الاعمال والعلم بالله تعالى وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان
متناقضان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته
عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي للدنيا والآخرة ثلثة امثلة فقال
هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما
اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في علم امور الدنيا وفي علم الطب و
الهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقايق
علوم الآخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين
جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا عن الكمال في الثاني ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
اكثر اهل الجنة البله اي البله في امور الدنيا وقال بعض السلف ادركنا اقواما
لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا
من امور الدين جحده اهل الكياسة في ساير العلوم فلا يغرنك جحودهم
عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب
فكذلك يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى فاعرض عن من
تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع
بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن
رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء عليهم السلم
المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية فقلوبهم تتسع
لجميع الامور ولا يضيق عنها واما قلوب ساير الخلق فانها ان اشتغلت بامر

انصرفت عن الآخر وقصرت عن الاستكمال فيه بيان الفرق بين الالهام و
التعلم والفرق بين طريق المجاهدين في استكشاف الحق وطريق النظار
في الاكتساب اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في
بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي
فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي
يحصل لا بطريق الاستدلال والاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي
يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة
وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن
اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفيد ذلك العلم
وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب فالاول يسمى الهاما ونفثا في الروع
والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء
والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول
فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل
بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها التي كالحجاب المسدل الحايل
بين مراة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى
به الى يوم القيمة وتجلي حقايق العلوم من مراة اللوح في مراة القلب يضاهي
انطباع صورة من مراة في مراة تقابلها وكما ان الحجاب بين المراتين تارة
يزال باليد وتارة يزول بهبوب ريح تحركه كذلك قد تهب رياح الالطاف
وتكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح
المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيكشف به ما سيكون في المستقبل
وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة ايضا قد
ينقشع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب
شيء من غرايب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما

ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا
في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد
ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد
للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة والى ذلك الاشارة
بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل المجاهدة الى العلوم
الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه
الالهمية
المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم
المجاهدة بمحو الصفات المذمومة وقطع العلايق كلها والاقبال بكنه
الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده
والمتكفل بتنويره بانوار العلم فاذا تولى الله تعالى امر القلب فاضت الرحمة
واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع
عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالات فيه حقايق الامور
الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع
الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله
من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم
النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري عن علايقها
وتفريغ القلب عن شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله
له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان يقطع علايق الدنيا بالكلية فيفرغ
قلبه عنها ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية
والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه
في زاوية مع الاقتصار على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ القلب
مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قران ولا بالتامل في تفسير ولا بكتب

حدث

حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى ولا يزال
بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى
ان ينتهي الى حالة يترك فيها تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على
اللسان ثم يصبر على ذلك الى ان ينمحي اثره على اللسان فيصادف قلبه مواظبا
على الذكر ثم يواظب عليه الى ان ينمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه و
هيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم لا يفارقه
وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة
بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله
قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله له من رحمته كما فتحها
على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت
همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق
الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم
يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد
يطول ثباته وقد لا يطول وقد تتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن
واحد ومنازل اولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم
وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد
وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق
وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء
ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه
وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته
ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله
عليه وآله قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال ص قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي اثناء هذه المجاهدة

قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس
وتهذيبها بحقايق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها
مدة طويلة الى ان تزول والعمر ينقضي دون النجاح فيها فكم من مجاهد سلك
هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم
من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق
التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان
تعلم الفقه وزعم ان النبي صلعم لم يتعلم ذلك ولكن صار فقيها بالوحي والالهام
من غير تكرار وتعليق ويقول انا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن
ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة
رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك
هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس
بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة
بعد ذلك **بيان الفرق** بين المقامين بمثال محسوس اعلم ان عجايب
القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك
الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن ادراكه الا بمثال محسوس
ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا
محفورا في الارض احتمل ان يساق الماء اليه من فوقه بانهار تفتح اليه و
يحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء
الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد
يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس
مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس و
الاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد عنه هذه الانهار بالخلوة
والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه

حتى يتفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت كيف يتفجر العلم من ذات القلب
وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره
في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشياء مسطورة في اللوح
المحفوظ بل في قلوب الملايكة المقربين فكما ان المهندس يسطر صورة ابنية
الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر
السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم
اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي اخرج الى الوجود بصورته
يتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء و
الارض ثم يغمض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر
اليها ولو انعدمت السماء والارض ثم بقي هو لوجد صورة السماء والارض في
نفسه كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه
حقايق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق
للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه
خارجا عن خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة
في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ
وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده
الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده في
الخيال وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات
روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض
وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع
فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجودها
في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو
واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر بما يباين

ذلك فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها
القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها وعجايبها
فلنرجع الى المقصود فنقول القلب يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته
تارة من اقتباس الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان
يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الصافي
الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح
المحفوظ راى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من
مداخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات
الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ
كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض
وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس
الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح
المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم
الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا
من المحاكات فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا
يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح
المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتامل في عجايب الرويا واطلاع القلب في النوم
على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس
وانما ينفتح ذلك الباب لمن افرد بذكر الله تعالى قال النبي صلعم سبق المفردون
قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر
عنهم اوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم قال في وصفهم حكاية عن الله تعالى
اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اريد ان
اعطيه ثم قال عز وجل اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم

فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا
الفرق بين علوم الانبياء والاولياء عليهم السلم وبين علوم الحكماء والعلماء
هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت
وعلم الحكماء ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم
القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة
فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين المثال الثاني يعرفك الفرق
العملين اعني عمل الاولياء وعمل العلماء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس
العلوم واجتلابها الى القلوب والاولياء يعملون في جلاء القلب وتطهيره
وتزكيته وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين واهل الروم
تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك
على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا
ويرخى بينهم ستر يمنع كل فريق منهم الاطلاع على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل
الروم من الاصباغ الغريبة ما لا تنحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ وجعلوا
يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم ايضا
قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ
فقيل كيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا
الحجاب فاذا جانبهم قد تلالات فيه عجايب الصنايع الرومية مع زيادة
اشراق وبريق صار جانبهم كالمراة المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن
جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه
حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية الحكماء
والعلماء بالاكتساب نقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل اهل الروم
وكيف ما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه
لا يتكدر واليه اشار من قال التراب لا ياكل محل الايمان فيكون وسيلة القربة

الى الله تعالى انما ما حصله من نقش العلم او ما حصل له من الصفاء والاستعداد
لقبول نقش العلم فلا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات
اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب
الخزاين المترعة غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة
والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف
انوار ولا يسعى المومنون الى لقاء الله تعالى الا بانوارهم قال الله تعالى
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا
مثل الجبل وبعضهم يعطى نورا اصغر منه حتى يكون اخرهم رجلا يعطى
نورا على ابهام قدمه فيضيء مرة وينطفي اخرى فاذا اضاء قدم قدمه
فمشى واذا اطفى قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف
العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض
الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو
على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق اخرى وتجر رجل وتعلق
اخرى وتصيب جوانبه النار قال ولا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا
يظهر تفاوت الناس في الايمان فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج
وبعضهم نوره كنور الشمعة وايمان الصديقين نوره كنور النجوم والقمر
وايمان الانبياء نوره كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق
مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك
تتفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين
ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال
من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت
درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا يمنع دخول النار وفي
مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه

اولا

اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى
ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان او المومن اشارة الى تفضيل قلب العارف
المومن فانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال الله تعالى وانتم الاعلون
ان كنتم مومنين تفضيلا للمومنين على المسلمين على ان المراد به المومن العارف
دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
فاراد هنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا
العلم ويدل ذلك على ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة
وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم
فوق المومن في سبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال
صلى الله عليه واله فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي
رواية كفضل القمر على ساير الكواكب وقال صلى اكثر اهل الجنة البله وعليون
لذوي الالباب فهذه الشواهد تتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب
تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم
من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة
فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك
الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق
بينهما وما اعظم الغبن على من يبخس حظه منه قال الله تعالى وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا **بيان شواهد** الشرع على صحة طريق اهل المجاهدة
في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم انه من انكشف له ولو
الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار
عارفا بصحة الطريق ومن لم يجد ذلك من نفسه قط فينبغي ان يومن به فان درجة
المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات في اما
الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر في

القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال
النبي صلى الله عليه واله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل
حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى
يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث
لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل
ويخرج به من الشبهات ولذلك كان اكثر قول رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه
سؤال النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي
سمعي نورا حتى قال وفي شعري وبشري ولحمي ودمي نورا وسئل رسول الله
عن قول الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
فقيل ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في
القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لابن عباس اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي ع ما عندنا شيء اسره النبي
الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في
تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله وقال تعالى
ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء
يقول المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله عز
وجل في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن
كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى
واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا
الايات لقوم يوقنون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال العلم علمان فعلم
باطن في القلب فذلك هو النافع وسئل بعض العلماء عن علم الباطن

ما هو فقال هو سر من سر الله عز وجل يقذفه الله في قلوب احبائه لم
يطلع عليه بشرا ولا ملكا وفيه قال صلى الله عليه واله ان من امتي محدثين
ومكلمين وقرأ ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي
انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة
والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من
غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم
يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب
فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت
شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني والمتعلم الاشارة
بقوله تعالى اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم
من لدنه ولكن بعضه بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا
بل العلم اللدني هو الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من
خارج فهذه شواهد الشرع والنقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الايات
والاخبار والاثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب
فذلك ايضا خارج من الحصر وقد ظهر ذلك على الصحابة والتابعين
ومن بعدهم اقول وقد ظهر على الائمة المعصومين من اهل البيت ع
من ذلك شيء كثير كما هو مذكور في كتاب الحجة من الكافي للكليني وفي كتاب
بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار وكتاب الخرائج والجرائح
للراوندي وكتاب كشف الغمة للاربلي وغيرها من الكتب المصنفة في ذلك
من تفرسهم عليهم السلام واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمايرهم ومشاهدتهم
الخضر عليه السلام والحديث معه ورؤيتهم للملائكة وتحدثهم معهم وتسخيرهم للجن

وبعثهم اياهم في حوايجهم الى غير ذلك من فنون الكرامات وقد ذكرنا نبذا منها
في كتاب اخلاق الائمة من ربع العادات ومن الاخبار النبوية في هذا المقام
ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله ان
يهديه العلم نور وضياء يقذفه الله في قلوب اوليائه وانطق به على لسانهم
العلم علم الله لا يعطيه الا اولياءه الجوع سحاب الحكمة فاذا جاع العبد
مطر بالحكمة من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه ما من عبد الا لقلبه عينان وهما عين يدرك بهما الغيب فاذا
اراد الله بعبد خيرا فتح عيني قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره قال
ابو حامد والحكايات لا ينفع الجاحد ما لم يشهد ذلك من نفسه
انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على
جحده امران احدهما عجايب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب
واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم
اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من
مستيقظ غايص الفكر لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار
رسول الله صلعم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران
واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف
بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في
الوجود شخص يكاشف بالحقايق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا
لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبياء عليهم السلم وصدق بالرؤيا
الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى خارج وهو
باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام
والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر
العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة

المجاهدة

سبيلا

سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجايب تردد القلب بين
عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام
بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء
والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجايب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم
المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب
الكشف منها بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة
وسبب غلبتها اعلم ان القلب مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال
من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف ينصب اليه السهام من الجوانب او
هو مثال مراة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها
صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض ينصب اليه مياه مختلفة من
انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال
اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة و
الغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك الحواس
شيا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة
الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس
فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب
انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير
والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة في القلب هي
الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به
ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى
خواطر من حيث انها تخطر بالقلب بعد ان كان القلب غافلا عنها و
الخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما يكون
بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر

تحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم وتحرك العزم النية والنية تحرك الاعضا
والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة
والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر
الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني
الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم
كل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف
الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب
فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان
علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة فكذلك لانوار القلب وظلماته
سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر
الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيا القلب لقبول
الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان
يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك
عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف
الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله وسخره لذلك والشيطان عبارة
عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف
عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة
الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة
الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها
والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله ص في القلب
لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم
انه من الله فليحمد الله تعالى ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب

بالحق

بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم
الفقر الاية وقال بعض السلف انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى
وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما
كان للعدو جاهده ولتجاذب القلب بين هاتين الهمتين قال رسول الله ص
قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه منزه عن ان يكون
له اصبع مركبة من لحم ودم وعظم تنقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة
التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها
بل لفعلها في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال باصابعك
فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته
في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا
والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين
صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين
باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع
الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى
وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه
وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة
صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة
وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية
المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه
جولان بالوسوسة ولذلك قال رسول الله ص ما منكم من احد الا وله
شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه
فاسلم فلا يامرني الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا
بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغي

والى الحق الذي ينبغي وشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتفرغ عنها
لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى
وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى
ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد بين جندي
الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما
فيتمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب
قد فتحها جنود الشياطين وملكوها فامتلأت بالوسواس الداعية.
الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى
ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو
الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى اذ هو مطرح اثر الملائكة
قال جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد
في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك كمثل البيت الذي
يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان
القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى
لا عبد الله ولذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى افرأيت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم اشارة الى ان الهوى
الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله قال عثمان بن ابي
العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي
فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله
منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني
وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله
منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس

به لانه

به لانه اذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن
كل شيء سوى ذكر الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون فيه ايضا مجال الشيطان
فذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال
فلا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى والاستعاذة
به والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا
المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف عليهم
في اوقات الغفلات والهفوات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد
في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان
فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر
الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار
ولتطاردهما قال عليه السلام ان الشيطان خطومه في قلب ابن آدم فاذا
ذكر الله رجع واذا نسي التقم قلبه ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان
فانساهم ذكر الله وفي الحديث ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم
فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث
ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه
وقال بابي وجه لا يفلح فصل وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي
ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب
من جوانبه ولذلك قال النبي ص ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى
الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى
الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه
قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم

من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قعد لابن ادم في طرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له
اتسلم وتدع دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة
فقال اتهاجر وتدع ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق
الجهاد فقال اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل وتنكح
نساؤك وتقسم اموالك فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل
ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح
نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا
الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم
يعرفه سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بعصيانه
ومتابعته ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح
بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان
والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان انه
جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل في بدن الانسان
ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة فمثال الباحث
عن هذا كمثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها
فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل
فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على انه عن
سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد
عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله عداوته في
مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال عز وجل ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير

وقال الله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله
ونسبه ومسكنه نعم ينبغي للعبد ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه
وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين واما
معرفة حقيقة ذاته وصفاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين
في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان
يعلم ان الخواطر ينقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه
وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما
يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او من الشيطان فان من
مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتميز في ذلك غامض
واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر
الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما
تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل وهلكى من الغفلة قد اشرفوا
على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك
ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة
مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم
ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه
ويستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى
ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان
لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى
الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الريا
وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق
بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم

وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فبهلك بسببه
وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله
ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل
لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولكن
لا اقولها بقولك لان له تحت الخير ايضا وتلبيسات الشيطان من
هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد
والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر
الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر
جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور من اخر هذا الربع
ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه
تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب
والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا
لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل
هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان بان يمعن النظر
فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى
وغزارة العلم كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون
اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل
طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه
هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات
واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد

الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم
تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز
منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج
الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في
بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل
الوسواس من الباطل ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية
في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال
يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه
مجاهدة لا اخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان
ما دام حيا نعم قد يقوى الاسباب بحيث لا ينقاد له ويدفع عن
نفسه مكره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة
ما دام يجري الدم في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان مفتوحة
الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها
كما يأتي شرحها فمهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لا يندفع
الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل لبعض السلف اينام ابليس فتبسم وقال
لو نام لوجدنا راحة فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل على
دفعه وتضعيف قوته كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان المؤمن
لينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود رضي الله عنه
شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت
فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور قلت ولم ذلك قال
تذيبني بكتاب الله عز وجل واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب
الشيطان وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية
التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم

لا يهتدون اليها فيبحث عنها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذا الكثيرة والعبد فيه مثاله مثال المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يفلح الا بعين بصيرة وطلوع الشمس مشرقة فالعين البصيرة هنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه واله فبهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة غامضة قال عبد الله بن مسعود رض خط لنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يعني تلك الخطوط فبين رسول الله صلى الله عليه واله كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا الطريقة الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواها عند الراهب فاتى بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه فقال الان تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان قالوا فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم

والقى

والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه عنها فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج واخلصك منهم فقال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين وهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الان الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبوله الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه الخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك من اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر حراسة ابواب الحصن من العدو ~~والا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر حراسة ابواب الحصن من العدو~~ من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن افساد الشيطان واجبة وهي فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا

يضيق عن كثرة جنود الشيطان ومن ابوابه العظيمة الحرص والحسد فمهما
كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو هو الذي يعرف
مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص او الحسد لم يبصر فوجد الشيطان
فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا
فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين
اثنين كما امر فرأى في السفينة شيخا لم يعرف فقال له نوح ما ادخلك
قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك
قال نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس
خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلث ولا احدثك
باثنين فاوحى الله الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلاث مره فليحدثك
بالاثنين فقال ما الاثنان قال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان
لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت
شيطانا رجيما واما بالحرص فانه ابيح لادم عليه السلام الجنة كلها فاصبت
حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان
الغضب غول العقل فاذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان
ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة
فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى انت الذي
اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت
ذنبا واريد ان اتوب اشفع لي الى ربي ليتوب علي قال موسى نعم
فدعا موسى ربه عز وجل فقال الله تعالى يا موسى قد قضيت حاجتك
فمره ان يسجد لقبر ادم موسى ففرح فلقي موسى ابليس فقال له امرت
ان تسجد لقبر ادم عليه السلام ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له

حيا

حيا فكيف اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما
شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلك فيهن اذكرني حين
تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم
واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ولد ادم حين يلقى الزحف
فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة
ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار
في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على
الدنيا وامتناعه من سجوده لادم ميتا هو من الحسد وهو من اعظم
مداخله وقال بعض الانبياء لابليس باي شيء تغلب ابن ادم قال اخذه
عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني
ادم اعون لك قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما
يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم
واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه
ومن ابوابه العظيمة حب التزين بالثياب والاثاث والدار فان الشيطان
اذا راى ذلك غالبا على قلب ابن ادم باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه
الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه
الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا اوقعه في
ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجر الى البعض
ولا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في
سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر
نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان
حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان
روي ان ابليس لعنه الله ظهر ليحيى بن زكريا عليه السلام فراى عليه معاليق

من كل شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي
اصيب بها بني ادم قال فهل لي فيها شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن
الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال يحيى لله علي ان لا املا
بطني من طعام ابدا فقال ابليس والله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن
ابوابه العظيمة الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان
يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس حتى يصير المطموع
فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل
كل مدخل في الوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه
والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى صفوان
بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا بن حنظلة احفظ
عني شيا اعلمكه قال لا حاجة لي به قال تنظر فان كان خيرا اخذت وان
كان شرا رددت يا بن حنظلة لا تسال احدا غير الله شيا سوال رغبة
وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العظيمة العجلة وترك
التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه واله العجلة من الشيطان
والتاني من الله وقال الله تبارك وخلق الانسان من عجل وقال الله تعالى
وكان الانسان عجولا قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ولا تعجل بالقران من
قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون
بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تامل ومهلة والعجلة تمنع
من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من
حيث لا يدري روى انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس
فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد
حدث مكانكم فطار حتى جال خافقي الارض فلم يجد شيا ثم وجد
عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم

فقال

فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا
بحضرها الا هذا فايسوا ان يعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن
ائتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم
والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والاثاث والدواب
والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان
فان معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق
انبعثت من قلبه مائة شهوة يحتاج كل واحد الى مائة دينار فلا
يكفيه مائة واحدة بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجد
المائة مستغنيا فالان وجد مائة وظن انه صار غنيا به وقد صار محتاجا
الى تسعمائة ليشتري بها دارا ويعمرها ويشتري بها جارية ويشتري اثاث
البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيا
اخرى يليق به وذلك لا اخر له فيقع في هاوية اخرها عمق جهنم
ولا اخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه واله قال ابليس
لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤا وقالوا
ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث
محمد صلى الله عليه واله وسلم فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله
عليه واله وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل
هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا
بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم وروى
ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا
فاخذه من تحت راسه ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة
من ملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يكون عدة
الشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا في الصلوة مهما كان بالقرب منه

حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم الى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته للنوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينبسط لعبادة الله تعالى **ومن ابوابه العظيمة** البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعد للكانزين كما نطق به القران العظيم قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن ادم فلن يغلبني على ثلث عن امره باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقيل ليس للشيطان سلاح على الانسان مثل خوف الفقر فاذا قبل في النفس الفقر اخذ في الباطل و منع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه السوء ومن افات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشيطان روى ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه واله قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء **ومن ابوابه العظيمة** التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا للطبع

غلبت حلاوته على قلبه فيشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الهوى والشيطان ترى الواحد منهم يتعصب لعلي عليه السلم وكان من زهد علي عليه السلم وسيرته انه لبس خلقا ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا ثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيمة فليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان وهو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى علي عليه السلم من الاهل والولد بل من نفسه والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند علي عليه السلم وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما يحبه اولياء الله في امة محمد صلى الله عليه واله لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لعلي عليه السلم فالنار لا يحوم حوله وكل من ادعى مذهب امام وهو ليس بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت به الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا اقول ومما ورد في ذلك من طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن جابر عن ابي جعفر عليه السلم قال قال لي يا جابر ايكتفي من انتحل التشيع ان يقول بحبنا اهل البيت فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر

الا بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر
بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة والغارمين
والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس
الا من خير وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء قال جابر يابن رسول الله
ما نعرف اليوم بهذه الصفة فقال يا جابر لا تذهبن بك المذاهب
حسب الرجل ان يقول احب عليا واتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالا
فلو قال اني احب رسول الله صلى الله عليه وآله فرسول الله خير من علي
ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه اياه شيئا فاتقوا الله واعملوا
لما عند الله ليس بين الله وبين احد قرابة احب العباد الى الله و
اكرمهم عليه تعالى اتقاهم واعملهم بطاعته يا جابر والله ما يتقرب الى الله
تعالى الا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لاحد من حجة
من كان لله مطيعا فهو لنا ولي ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو
وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع وقد ذكرنا هذا الحديث في كتاب
العلم من ربع العبادات وفي كتاب اخلاق الامامة وآداب الشيعة
من ربع العادات ايضا وانما اعدنا ذكره هنا لشدة مناسبته لهذا
المقام وشدة احتياج الناس اليه وباسناده عن حنان بن سدير
قال قال ابو الصباح الكناني لابي عبد الله عليه السلام ما نلقى من الناس
فيك فقال ابو عبد الله عليه السلام وما الذي تلقى من الناس في فقال
لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول جعفري خبيث فقال
يعيركم الناس بي فقال له ابو الصباح نعم قال فما اقل والله من يتبع
جعفرا منكم ان اصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه
هؤلاء اصحابي وباسناده عن ابي الحسن الاول عليه السلام قال كثيرا ما كنت
اسمع ابي يقول ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في

خدورهن وليس من اوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله
اورع منه قال ابو حامد فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان
قد اهلك به اكثر العالم وقد سلطت النار لاقوام قل من الله خوفهم
وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد الى الاتباع
حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا
ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكيدة الشيطان فيه بل نابوا عن
الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا مهمات دينهم فقد
هلكوا واهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم قال بعض السلف بلغنا
ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وآله المعاصي فقطعوا ظهري
بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء
وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر
الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل
الانسان عن نفسه بالاختلاف في الواقعة بين الناس في المذاهب
والخصومات قال عبد الله بن مسعود رضه قعد قوم يذكرون الله
عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى
فرقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون
وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون
بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه العظيمة
حمل العوام والذين لم يمارسوا العلوم ولم يتبحروا فيها على التفكر
في ذات الله وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم
بذلك في اصل الدين او يخيل اليهم في الله خيالا يتعالى الله عنه
فيصير به كافرا او مبتدعا وهو بذلك فرح مسرور مبتهج بما وقع في
صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك

وصفاته

بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة واقواهم اعتقادا نفسه
اثقب الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال
من العلماء روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الشيطان
ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن
خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله وبرسله فان ذلك
يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه وآله لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان
هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام
ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى
العلماء فالعامي لو زنا او سرق لكان خيرا له من ان يتكلم في العلم
فانه من تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من
حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد
الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا
بما اوردناه المثال **ومن ابوابه العظيمة** سوء الظن بالمسلمين ولذلك
قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن
حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان
بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او
ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات
ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم وقال صلى الله عليه وآله
اتقوا مواقع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وآله احترز منها روى علي
بن الحسين عليهما السلام ان صفية بنت حيي اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وآله
كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي
معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال
انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله انظن بك الا خيرا قال ان الشيطان

يجري

يجري من بني آدم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف
اشفق رسول الله صلى الله عليه وآله على دينهما فحرسهما وكيف اشفق
على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف
بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان
اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة
بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم وعين الرضا عن كل عيب
كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء
وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت
انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن
وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن
يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم القلب في حق
كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء
جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي
صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله

فصل

فان قلت فالعلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول
الانسان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعلم ان علاج
ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة
وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من هذا الكتاب بيان
علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على
ما سيأتي شرحه ان شاء الله تعالى نعم اذا اقلعت من القلب اصول
هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم
يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر
لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات

المذمومة والا فيكون الذكر حديث النفس لا سلطان له على القلب
ولا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص ذلك
بالمتقين ومثل الشيطان مثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن في
يديك لحم او خبز فانه ينزجر عنك بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت
يدافعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم ولم يندفع بمجرد
الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما
الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب
ولم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب
المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان
لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر
خنس الشيطان دليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
وساير الايات والاخبار الواردة في الذكر فمهما طمعت ان يندفع
الشيطان عنك بمجرد الذكر كما يندفع عنهم كان محالا وكنت كمن
يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة
فيطمع في ان ينفعه الدواء كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء و
تخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء يخلي القلب من الشهوات
فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير ذكره اندفع الشيطان عنه كما يندفع
العلة بنزول الدواء في معدة خالية من الاطعمة قال الله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال الله تعالى كتب عليه انه
من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان
بعمله فقد تولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول ان الحديث
قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم يفهم ان اكثر عمومات

الشرع

الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر
كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك وصلوتك فراقب قلبك
اذا كنت في صلوتك كيف يتجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب
العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها
حتى انك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلوتك ولا
تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت فالصلوة محك القلوب
فبها تظهر مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات
الدنيا فلا جرم لا يطرد منك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس
كالدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص
من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر
يفر الشيطان منك ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب
الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال
بعضهم يا عجبا لمن يعصي الله بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد
معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه
ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد
شروط الذكر والدعاء قيل لابرهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا
يستجاب لنا وقد قال الله ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة
قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله فلم تقوموا
بحقه وقرأتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلعم
وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى ان
الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم
نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها
واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس

امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم **فصل** فان قلت فالداعي
الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفة فاعلم انه
لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو
ولا تسال عن صفته كما يقال كل البقل من حيث يؤتى به ولا تسال
عن المقلد ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار
انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو
اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه
وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه
في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس
خمسة من اولاد وقد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر
اسماءهم بثر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما بثر فهو صاحب
المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى
الجاهلية واما الاعور فانه صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط
فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه
العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه
لا تزالون متظالمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء
يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين
فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر
السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد
قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وكل بالمؤمن مائة
وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة
املاك يذبون عنه كما يذبون عن قصعة العسل الذباب في اليوم
الصائف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده

فاغر فاه

فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين و
قال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم
ينشؤن معهم وقال جابر بن عبد الله ان ادم عليه السلام لما هبط قال يا رب
هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى
عليه قال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يا رب زدني
قال الله عز وجل اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب
زدني قال الله عز وجل الحجرى باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح
قال ابليس رب هذا العبد الذي كرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه
قال الله تعالى لا يولد له ولد الا يولد لك ولد قال رب زدني قال
تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني
قال تعالى اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد
وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وعن ابي الدرداء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلثة اصناف صنف حيات وعقارب
وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب
والعقاب وخلق الله الانس ثلثة اصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف
اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف
في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس
تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له انصحك قال لا اريد ذلك ولكن
اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد
الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى
الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه
فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه

في عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم
نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم معصومون
منا لا نقدر منهم على شيء **فصل** فان قلت كيف يتمثل الشيطان
لبعض الناس دون بعض واذا راى صورته فهي صورته الحقيقية
او هو مثال له يتمثل به وان كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور
مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى
يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما
صورتان هي حقيقة صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة
الا بانوار النبوة كما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته
مرتين وذلك انه صلى الله عليه وسلم ساله ان يريه نفسه على صورته
فواعده ذلك بحرا فطلع له جبريل عم فسد الافق من المشرق الى المغرب
وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى
وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا فكان يراه في صورة دحية
الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة
من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه
بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما
ينكشف في المنام لاكثر الصالحين واما المكاشف في اليقظة هو الذي
ينتهي الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة
التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي
ان رجلا سال ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم
فراى في النوم جسد رجل شبه البلور داخله من خارجه وراى الشيطان
في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم
طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر

الله

الله خنس وتمثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد راه بعض المكاشفين
في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال
الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد
ان يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك
يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما
متصل بالاخر وقد بينا ان للقلب له وجهان وجه الى عالم الغيب
وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر
منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة
لان عالم الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من
النظر الظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا يكون الصورة على
وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح
السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال
من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكية للصفة
وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم
لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب
وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة فيكون
تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكيها بالصدق ولذلك يدل
القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويدل الشاة على انسان
سليم الجانب وهكذا جميع ابواب الرؤيا والتعبير وهذه اسرار
عجيبة وهي من عجايب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة
وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا
الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة
والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هي مثال المعنى لا عين المعنى الا انه

بشاهده بالعين مشاهدة محققة وسفره بمشاهدة الكاشف ودل
من هو اليه كالنائم **بيان** ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب
وهمها وخواطرها وقصدها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به اعلم
ان هذا امر غامض وقد وردت فيه آيات واخبار متعارضة يلتبس
طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روي عن النبي
انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وعنه صلى الله عليه وآله قال
قال يقول الله تعالى للحفظة اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه
فان عملها فاكتبوها سيئة وان هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة
فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين
وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من
هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له
عشرا الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان
عملها كتبت عليه سيئة وفي لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة
فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو اقول
ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن احدهما عليهما السلام
قال ان الله تعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت
له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها
لم تكتب عليه ومن عملها كتبت عليه سيئة قال ابو حامد فاما
ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقال تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا
فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال عز وجل
ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله

باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسألة
عندنا انه لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب
من مبدأ ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد
على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وانها وراء ظهره في
الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة
الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع
ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان
يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة
والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات
وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم
من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل
الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل
ونية وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبدأ ضعيف ولكن اذا
اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكدت هذه
وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم
فيه فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت اليه وربما
يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فهنا اربعة احوال للقلب قبل العمل
بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول
اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا الميل و
هيجان الشهوة لانهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان
بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة
عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم
والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن

مضعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال
مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا
اخصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية
امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه
لو اصبته في كل يوم لاكلته ولو سئلت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها
عزم على الفعل هي وحديث النفس ولذلك شاورهما رسول الله صلى الله عليه
اذ لم يكن معها عزم وهم بالفعل واما الثالث فهو الاعتقاد وحكم القلب
بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا واختيارا والاحوال
تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما
الرابع فهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركه
خوفا من الله عز وجل وندم على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه
ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن
الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة
فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله تعالى اشد من جده في موافقة الشيطان
بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به
على همه بالفعل وان تعوق الفعل لعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله
تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا
التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه واله
قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال
ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة
فانما تركها من اجلي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله تعالى فاما
اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف يكتب له حسنة
وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان

من

من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة
مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع
فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول
قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد
الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف تظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم
بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض
العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعائق فليس
بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يؤاخذ
به لانه لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف بما لا يطاق ولذلك
لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء
اناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه واله وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا
ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا
قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها اقول ـــــ ومن طريق الخاصة ما رواه في الاحتجاج عن
امير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل ان هذه الاية عرضت على الانبياء
والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلى الله عليه واله
وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول علم انهم
لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها وعظم ما فيها
وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها
عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاية قال ابو حامد
فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ

به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ومن لم يفرق بين هذه الاقسام الثلثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يواخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والريا والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا اي مما يدخل تحت الاختيار فان وقع البصر من غير اختيار على غير محرم لم يواخذ بها فان اتبعها نظرة ثانية كان مواخذا بها لانه لا محالة مختار وكذلك خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمواخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب وقال صلى الله عليه واله الاثم حواز القلب وقال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شي وكان مخطئا فيه اثيب على فعله بل من ظن انه تطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبية عصى بوطيها وان كانت زوجته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجايبها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة منقطع بذكر الله لان النبي صلى الله عليه واله قال اذا ذكر الله خنس الشيطان والخنوس هو السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصلها ولكن يجري في القلب ولا يكون لها اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التاثر بالوسوسة

مسطه

كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها على القلب وكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر ايضا في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وذلك كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانها اذا ادرت بسرعة رايت النقط دواير بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هولاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله ما من عبد الا وله اربع اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد من الفرق الى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه والوسواس ثلثة اصناف الصنف الاول ان يكون من جهة التلبيس للحق فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر الم عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يقدر ان يقول ليس الصبر على النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول له

المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفع عن ذلك فينقطع
وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في علمه وعمله ويقول له اي
عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله
فيذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها علمه وعمله
كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه
ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع
من الوسوسة فينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان
والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجها
وهذا ينقسم الى ما يعرف العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب
الظن فان علم يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم
يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج
الى مجاهدة في دفعه فيكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة
غير غالبة الصنف الثالث ان يكون وسواسه بمجرد الخواطر وتذكر
الاحوال الغايبة والتفكر في الصلوة وغير امر الصلوة مثلا فاذا اقبل
على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب
الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا
على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من
القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الخنس بالكلية حتى لا يخطر
ولكنه ليس محالا اذ قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من
صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر ولولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك
الا في قلب قد استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى
القلب المستوعب بعدو تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات

في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق في الحب قد يتفكر في
محادثة محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث
محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه كان كانه
لا يراه فاذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال
فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز
لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه الاقسام
واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن
في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير
بعيد ولكن الخلاص عنه ابدا بعيدا ومحال ولا ينقطع وسوسة
عروض الدنيا وفقدها الا بالتوحيد والمفارقة فما دام يملك شيا
وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلاته عن
التفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى
لا يعلم به احد وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك الوساوس
فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن
انغمس في العسل وظن انه لا يقع الذباب عليه وهو محال فالدنيا باب
عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم
من الحكماء الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من
وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى
يحرم عليه ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه
عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا
فيميل قلوبهم اليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانه
اخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منها الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب

كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من
الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب
فاذا اصابه شيء وتأثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده فيغير وصفه
فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى والتفت القلب اليه نزل الملك
به وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان
جذبه ملك الى خير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة تكون متنازعا بين
ملكين وتارة بين شيطانين تارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط
مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم
ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وآله على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه
كان يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول صلى الله عليه وآله
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله
فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه
كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان اقامه اقامه وان شاء ان يزيغه
ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة امثلة فقال مثل
القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال صلى الله عليه وآله مثل
القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال صلى الله عليه وآله
مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه
التقلبات من عجيب صنع الله وعجيب صنع الله في تقلبها من حيث
لا يهتدى اليه ولا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم
مع الله عز وجل والقلوب في الثبات على الخير والشر وتردد بينهما ثلثة
قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر من خبائث الاخلاق فتنفجر
منه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل
الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده

فيكشف

فيكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله ويستحث عليه
ويدعو الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره
طاهرا بتقواه منيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا
لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه
الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام لا يتناهى
امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة
بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى
لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في
الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من
مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا
ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على
القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف
والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر
والمحاسبة والمراقبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله تعالى
عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس المطمئنة القلب الثاني
القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق
الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة
ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب
الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون
العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له
على مساعدة الهوى فتستولي النفس له وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى

وينبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان
الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين
والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا و
سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الاخرة
اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى ينطفي
انواره فيصير العقل كالعين التي ملا الدخان اجفانها فلا يقدر
على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوات بالقلب حتى لا يبقى للقلب
امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق
فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان
وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة
من خزاين الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة
بقوله عز وجل ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل
هم اضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا
يومنون الى قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون
ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب
هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض
الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش
عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه و
الرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي
لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او
كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك
عليه تهالك الواله المستهتر فينسى منه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد

فيضعف

دخان الهوى الى القلب حتى يظلم فينطفي منه انوار البصيرة فينطفي منه نور
الحياء والمروة والايمان ويسعى في تحصيل اراده الشيطان القلب الثالث
قلب يبتدي فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان
فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى
الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير فيدفع في
وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في
تهجمها على الشر وقلة معرفتها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل
فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج
البارد ولم تمتنع عن هواك فتوذي نفسك وهل ترى احدا من اهل
عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون
فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا يضحك عليك اهل الزمان
اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت
ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك ولو كان
ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك
حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة
افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل
الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم
واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف
عنك بمعصية غيرك ارايت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس
وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص
فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر
النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال القلب يتردد بين
هذين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو

اوحى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية
التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان
معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه مساعدا لحزب الشيطان واوليائه و
جرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان
كان الغالب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان
وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الآجلة بل مال الى حزب الله تعالى
الى فظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الجندين
وهو الغالب على القلوب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب
اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر
من الجانبين فهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى
عالم الشهادة بواسطة خزائن القلب فانه من خزائن الملكوت وهي
اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن
خلق للجنة يسرت له الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب
المعاصي وسلط عليه اقران السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه
بانواع الحكم يغر الحمقى بقول ان الله رحيم فلا تبال وان الناس
كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم فان العمر طويل فاصبر حتى تتوب
غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة
ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله وبهذه الحيل وما يجري مجراها
يوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه على قبول الحق وكل ذلك بقضاء
من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم
فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي

والمضل

والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق
الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها
اهلا فاستعملهم بالمعصية وعرف الخلق علامات اهل النار واهل
الجنة فقال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فتعالى الله
الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولنقتصر الآن على هذا
القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة
وانما ذكرناه منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها
لينتفع بذلك من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي
بالقشور عن اللباب بل يتشوق الى معرفة
دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له
ومقنع ان شاء الله هذا آخر كتاب
شرح عجائب القلب من المحجة
البيضاء في احياء الاحياء
ويتلوه كتاب رياضة النفس
وتهذيب الاخلاق
ومعالجة امراض القلب
والحمد لله اولا
وآخرا
م

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب وهو كتاب الثانى من ربع المهلكات من المحجة البيضاء فى احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذى صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن
فى تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه
عن الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق
الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره و
سهل على خواص عباده تهذيبه وتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم
بتسهيل صعبه وعسيره والصلوة على محمد عبده ونبيه وحبيبه وصفيه
وبشيره ونذيره الذى كان يلوح نور النبوة من اساريره ويكشف
حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين طهروا
وجه الاسلام عن ظلم الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم
يتدنسوا بقليله ولا بكثيره **اما بعد** فان الخلق الحسن صفة
سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين
وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة
هى السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازى الفاضحة والرذائل
الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها
فى سلك الشيطان اللعين وهى الابواب المفتوحة من القلب الى
نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هى
الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق
الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حيوة
الابد واين منه المرض الذى لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت

عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس فى مرضها الا فوت
حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها
فوت حيوة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على
كل ذى لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت و
ترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق فى معرفة عللها و
اسبابها ثم الى تشمير فى معالجتها واصلاحها فمعالجتها هى المراد بقوله
قد افلح من زكيها واهمالها هو المراد بقوله عز وجل وقد خاب من
دسيها ونحن فى هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية
القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج لخصوص الامراض
فان ذلك ياتى فى بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلى
فى تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج
البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة
حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق
للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان
تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان
العلامات التى بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطرق التى بها
يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق
المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن
الخلق ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى اول النشو ثم بيان
شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى احد عشر فصلا يجمع
مقاصد هذا الكتاب ان شاء الله

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه صلى الله عليه واله
مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عايشة

كان خلق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم القران وسال رجل رسول الله
عن حسن الخلق فتلا قوله عز وجل خذ العفو وامر بالمعروف واعرض
عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه واله وهو ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه واله وسلم بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه واله اثقل ما يوضع في الميزان تقوى
الله والخلق الحسن وجاء رجل الى رسول الله ص من بين يديه فقال
يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال
يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال
ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال ما الدين فالتفت
اليه فقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم فقال
سوء الخلق وقال رجل يا رسول الله اوصني فقال اتق الله حيث كنت
قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالط الناس
بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اي الاعمال افضل
قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه واله وسلم ما حسن الله خلق امرء
وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه واله
ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها
بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم يقول افضل ما يوضع في الميزان حسن الخلق
والسخاء ولما خلق الله تعالى الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق
والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق
وقال رسول الله صلعم ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح
لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى
حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المومنين افضلهم

ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه واله وسلم انكم لن تسعوا الناس
باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق
يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه واله انك لامرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن
خلقك وعن ا   بن عارف قال كان رسول الله صلى الله عليه واله
احسن الناس خلقا واحسنهم وعن ابن مسعود البدري قال كان
رسول الله صلى الله عليه واله يقول اللهم قد حسنت خلقي وعن عبد الله
بن عمر قال كان رسول الله ص يكثر الدعا يقول اللهم اني اسالك
الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله
قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه حسن خلقه وعن اسامة بن
شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه واله وسلم
يقولون ما خير ما اعطي العبد قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه واله
ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ثلث من لم تكن فيه او
واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن محارم الله وحلم
يكف هو السفيه وخلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه واله
في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها
الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال   بينما
نحن مع رسول الله ص يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة
كما تذيب الشمس الجامد وقال صلى الله عليه واله من سعادة المرء
حسن الخلق وقال صلى الله عليه واله وسلم اليمن حسن الخلق وقال
لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس
قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة منا يكون لها زوجان

في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما
خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا
والاخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة
درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية اخرى
درجة الظمآن في الهواجر وقال انس قال النبي صلى ان العبد ليبلغ
بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف
العبادة وقال صلى الله عليه وآله سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء
الظن خطيئة تفوح وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليبلغ
من سوء خلقه اسفل درك جهنم اقول ــــــ وقد ذكرنا الاخبار
في فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق من طريق الخاصة في اول
كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من ربع العادات فلا نطول الكلام
باعادتها الآن وقال ابن لقمان الحكيم لابيه يا ابي اي الخصال
من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانتا اثنتين قال الدين
والمال قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا
كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت
خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا
كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه هذه الخمس فهو نقي تقي
لله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه
وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب
بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا
وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني
عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر فكان
يحتمل منه ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال ارحم

علبه

عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى
الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو
كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد
عليك في التصوف وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة
الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس
ما الكرم فقال ما بين الله تعالى في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقيكم
قيل له ما الحسب قال احسنكم افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس
واساس الايمان حسن الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع من ارتفع الا
بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله
فاقرب الخلق الى الله تعالى السالكون آثاره بحسن الخلق **بيان
حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق** اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة
الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا الحقيقة وانما تعرضوا لثمراته ثم لم
يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان
حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة
بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول بعضهم حسن
الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي
هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني
هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس
قريبا وفيما بينهم غريبا وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله وقال الحسين
بن المنصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق
فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس
محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل
الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا

ويقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق
الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب
من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة ولكل واحد
منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والروح المدركة بالبصيرة اعظم
قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى
نفسه فقال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى
والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة
النفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر و
روية فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا
وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها افعالا قبيحة
سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة
لان من يصدر عنه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه
السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر عنه
الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال والسكوت عند الغضب
بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل
الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة
النفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن
او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل
اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث
او لرياء وليس هو عبارة عن القدرة لان نسبة القدرة الى الامساك
والاعطاء بل الى الضدين واحدة وكل انسان خلق بالفطرة قادرا
على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء

وليس

وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على
وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد
النفس لان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذن عبارة عن هيئة
النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا
لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن
الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من
الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة
الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم و
قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما
قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل لها درك الفرق
بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات
وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل
منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى
فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها
في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما يقتضيه الحكمة وكذلك
الشهوة حسنها وصلاحها في ان يكون تحت اشارة الحكمة اعني
اشارة العقل والدين قوة العدل فهي في ضبط قوة الغضب والشهوة
تحت اشارة العقل والشرع فالعقل بمنزلة الناصح المشير وقوة العقل
هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب
هو الذي ينفذ فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه
يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة
لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب
في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن

فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن
اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك
المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن
القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة
واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال
الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان
سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة
سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي جمودا والمحمود هو الوسط
وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات
فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما
الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا و
جربزة ويسمى تفريطها بلها والواسط هو الذي يختص باسم الحكمة
فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة
والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ
في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها
تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في
الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة
كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني
بالعفة تأديب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه
الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة
العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي و
اصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس
ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها

يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في
الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء
والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح لكن سلوكه
للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض
واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل ايثاره
واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة
والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ و
الوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو
التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب
واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر
النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة
فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع
الدماثة واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى
التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير
والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة
والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن
الاخلاق هذه الصفات والفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة
والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في
هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس بعده
متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق
فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله
وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق
ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال

الا انما المومن انفك عن جميع هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها
استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان
المبعد اللعين فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك المقرب
فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه واله
الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القران الى هذه الاخلاق
في اوصاف المومنين فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله و
رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك
هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين
وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي
يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع
الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف
الله الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان
للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا
في الرحمة بكل حال هذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه
وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة
والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان
يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق
لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير فاستدل فيه بامرين
احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر
فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يقدر ان يجعل
نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر
على تحسين صورته فكذلك الخلق الباطن يجري هذا المجرى والثاني

انهم

انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول
المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقلع
عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع
التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول
لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات
ولما قال رسول الله صلى الله عليه واله حسنوا اخلاقكم فكيف ينكر
هذا في الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش
الى الانس والكلب من الاكل من الصيد الى التاديب والامساك والفرس
من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير الاخلاق والقول
الكاشف للغطاء عن ذلك اذ نقول ان الموجودات منقسمة الى ما
لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل
اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما
هو حاصل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا
وجعل فيه قوة قبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط
باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت
يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا
ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض
الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما
بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما
وانقيادهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار
ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها
سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما
قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة

والغضب والتفكر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واحصاها
على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة
يخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك
يخلق له قوة التميز والسبب الثاني ان الخلق قد تاكد بكثرة العمل
بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على
اربع مراتب الاولى هو الانسان الغافل الذي لا يميز بين الحق
والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات
ولم تستتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهو سريع القبول للعلاج جدا
فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة
فيحسن خلقه في اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه
لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته
واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله
فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ
في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخرى ان يغرس في نفسه صفة التعود
للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير
وحزم الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة
وانها حق وجميل تربى على ذلك فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى
صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابعة
ان يكون مع وقوع نشوه على الراي الفاسد وتربيته على العمل به
يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويتباهى به ويظن ان
ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل ومن
العنا رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هولاء
جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق

والرابع

والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر الذي استدلوا
به وهو ان الادمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا
وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة
قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة
وهي ضرورية في الجبلة لو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع
شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان
عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال
الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة
ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط
والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور
وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل
ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة
وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار
فكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا
عن ذلك قال سيدهم رسول الله صلى الله عليه واله انما انا بشر اغضب
كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر
وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق
قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب
والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه
بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو
المراد بتغيير الخلق فانه ربما يستولي الشهوة على الانسان بحيث لا
يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة
يعود الى حد الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة

تدل على ذلك دلالة لا يشك فيها والذي يدل على ان المط هو الوسط
في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو
وسط طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك
المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى في الغضب اشداء على الكفار
رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله خير الامور اوساطها
وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن
عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم و
البخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط
القلب ان يكون سليما بينهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون
مريضا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق
مصروف القلب الى الانفاق كالحريص على الامساك مصروف القلب
اليه وكمال القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا فاذا لم يكن ذلك
في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين
وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما
كانه خال عن الوصفين فكذلك السخا بين التبذير والتقتير
والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذا
ساير الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم فهذا هو المط وهو
ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده
الغضب راسا ويذم امساك المال راسا ولا يرخص له في
شيء من ذلك لانه لو رخص له في ادنى شيء منه اتخذ ذلك عذرا في استيفاء

بخله

بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قلع الاصل وبالغ
فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب
له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف
هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه
بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة
والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونهما مطيعين للعقل و
الشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي و
كمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق
قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل
والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مؤدب متأدبا كعيسى ويحيى عليهما
السلام وكذا ساير الانبياء عليهم السلام ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة
ما قد ينال بالاكتساب فرب رجل يخلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما
يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه
الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني لاكتساب هذه
الاخلاق المجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال
التي يقتضيها الخلق المط ومن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق
الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا
يزال مواظبا عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا
ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذلك من اراد ان يحصل لنفسه
خلق التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين
مدة مديدة وهو فيها مجاهد لنفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له
خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا

الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذًا فالسخي هو الذي
يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي
يستلذ التواضع ولن يترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود
جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب
عليه مواظبة من يشتاق معها الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره
الافعال القبيحة ويتألم بها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلت
قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع
كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة
عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله
عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى
الله عليه وآله وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما
تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق
استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي
ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول
كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله
عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء
عليهم السلام الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات
اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى
وارسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما تتأكد آثارها
بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن
النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء احب اليه
من الله سبحانه ومن لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه
الذي يوصل اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على

الوجه

الوجه الذي يوصله الى الله سبحانه وذلك بان يكون موزونًا بميزان الشرع
والعقل ثم يكون مع ذلك فرحًا به ومستلذًا ولا ينبغي ان يستبعد مصير
الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس
عجائب اعجب من ذلك فانك ترى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة
وترى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو
فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله
واخرب داره وتركه مفلسًا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك
لطول الفه وصرفه نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف
طول النهار في حر الشمس قائمًا على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه
بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء وعودها بل ترى
الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط
وعلى ان يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في
الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرًا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربًا
اربًا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي
بالعقوبات فرحًا بما يعتقده كمالًا وشجاعة ورجولية فقد صارت
احواله مع ما فيه من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس
واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه
ومخالطة النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه حتى
يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر
والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة
والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك
من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل
وتميل اليه والى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزمت

المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي
الميل منه الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة
فاما ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى
الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات
الشهوات غريب من ذاته عارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة و
المعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به كما يحل
المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سبب حياتها فكل
قلب مال الى حب شيء سوى حب الله فلا ينفك عن مرض بقدر ميله
الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند
ذلك فلا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعا ان هذه
الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة
عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب و
الجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها
على الجوارح حتى يتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح
فانه يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان
من اراد ان يصير الحذق في الكتابة صفة له نفسية حتى يصير كاتبا
بالطبع فلا طريق له الى ذلك الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه
الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن
فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال
يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه
في الاخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان
الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول متكلف
الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة

فصار

فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس
فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى
ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس فكذلك من اراد ان يصير
سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا
حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب
فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار
ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا
ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان
الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد
تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر
التحصيل راسا فتفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى
بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة
وكما ان تكرار ليلة لا يحس تأثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس
شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة
الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن
لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما
اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تأثير فما من طاعة الا ولها
اثر وان خفي فله لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك
المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي
يسوف نفسه يوما يوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من
يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان
يختطفه الموت بغتة او يتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه
التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات

لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال
علي عليه السلام الايمان يبدو في القلب لمعة بيضاء فكلما ازداد الايمان
ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله
وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد
ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذن قد عرفت
ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال
الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء
الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير
جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا
واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق
له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو
في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلف به هذه الجهات
ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله
ولكن كانوا انفسهم يظلمون **بيان** تفصيل الطريق الى تهذيب
الاخلاق قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة
النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال
في مزاج البدن هو صحة والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن له
مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الردية
عنها وكسب الفضائل والاخلاق الجميلة لها وجلبها اليها مثال البدن
وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب
على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري علة المعدة بعوارض الاغذية

والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة وانما
ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالعادة والتعلم يكتسب الرذائل
وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية
بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية و
تهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشأن
الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب
الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق
فينبغي ان تسعى لحفظها وحفظ صحتها وجلب مزيد قوة اليها و
اكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي
ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن
الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت
من برودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها
فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع
ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة
الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد
من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل القلب
اولى فان مرض البدن يحصل منه الموت ومرض القلب العياذ بالله
يحصل منه عذاب يدوم بعد الموت ابد الآباد وكما ان كل مبرد لا يصلح
لعلة الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف
والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار
النافع منه والضار فان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض
الذي يعالج به الاخلاق لا بد له من معيار وكما ان معيار الدواء
مأخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من

حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية فاذا
عرف ذلك التفت معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة
المريض وسنه وسائر احواله ثم يعالجه بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع
الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان
لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق
مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج المرضى
بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد
من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد
وفي سنه وحاله ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته
اقول ثم شرع ابو حامد في ذكر جزئيات طريق تعليم الشيخ المريد ولما
كان بناء اكثرها على ايجاب متابعة من يجوز عليه الخطا وعلى مناهج اخرى
يخالف طريقة اهل البيت عليهم السلم كما ياتي بيانه طوينا عنها الا ما لا باس
به من ذلك كان مما ذكره في كلامه سابقا ولاحقا **بيان**
علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة اعلم ان كما ان كل
عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر
عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر مع نوع
من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين
ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب هو ان يتعذر فعله الخاص
به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله
وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة
بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة
وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة

على

على الاكل والوقاع والابصار وغيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه
واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله تعالى
فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة
فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها
من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب
اليكم من الله ورسوله الاية فمن كان عنده شيء احب اليه من الله فقلبه
مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت
شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف
ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها
صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه
صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو
نزع الروح من البدن وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد
طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء والمرض قد استولى عليهم
والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا
والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر
مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها
عادات ومرايات فهذه علامة اصل المرض فاما علامة عوده الى
الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان
يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله فانما علاجه ببذل
المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون
التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى يغلب
الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة
فكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط من ذلك

وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل
الذي يوجبه الخلق المذموم فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده
فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال
وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب
عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير
المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب
عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب
نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسرها حتى ينقطع علاقة
قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك
كالماء فلا تطلب منه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا
يترجح عندك البذل على الامساك على البذل فكل قلب صار كذلك
فقد اتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون
سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق
بالدنيا حتى يرتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير
ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها
رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو
ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا
الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة وقلما
ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى يميل الى
احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك
لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق وقال الله تعالى

ولن

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي
الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة
وجب على كل عبد ان يدعو الله سبحانه في كل يوم سبعة عشر مرة في قوله
اهدنا الصراط المستقيم اذ قد وجبت قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة
فراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال قد قلت
يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت كذلك فقال صلى الله عليه وآله
لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء الطريق في غاية
الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان
لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا
بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد
كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على
الترتيب

بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته
لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق
جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا
يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله
اربع طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس
مطلع على خفايا الافات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته
هذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه
وشيخه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان
وجوده الثاني ان يطلب صديقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على
نفسه ليراقب احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه
الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعله الاكابر من ائمة الدين

كان بعضهم يقول رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي وكل من كان اوفر
عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا
ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب
او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن
حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي
عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس
فقيل له لم لا تخالط الناس قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني ذنوبي
فقد كانت شهوة ذوي الدين ان ينبهوا على عيوبهم بنصيحة غيرهم
وقد آل الامر في امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا
عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق
السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا
لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما
نكايتها على البدن ويدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق
الرديئة على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابدا او آلافا من
السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل
بمقابلة الناصح بمثله ونقول انت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا
العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة
القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك من ضعف الايمان
فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا
بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله
الطريق الثالث ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه
فان عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن
يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه

ويخفي

ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل
ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه
فان مساويه لا بد ان ينتشر على السنتهم الطريق الرابع ان يخالط الناس
فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه بتركه وما يراه
محمودا فليطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن
فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع
الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن
اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن
كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما
يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من
ادبك فقال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله
حيل من فقد شيخا زكيا عارفا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في
الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا
لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه
من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب بترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات

اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت
لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان
عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل
التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجات كما ان
للعلم درجات والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق

بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه فهو من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرنا من اغواء الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه واله المؤمن بين خمس شدايد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدته وروي ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلم يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلم طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غايب لم يره وقال صلى الله عليه واله لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر فقال جهاد النفس وقال صلى الله عليه واله وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال ايضا كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذا تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر برحمته وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القلة من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء

والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتامن من بوائقها في ساير الايام وتصفيها من ظلم شهواتها فتنجو من غوائل افاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورانية حقيقية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفارة في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محبوسا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوايد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد من اراد ان شهوات الدنيا فليتهيأ للذل وروي ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلم بعد ما ملك خزاين الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة تصير الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى تصير العبيد ملوكا فقال يوسف عم قال الله انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال علي عليه السلم من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان الطريق الى سعادة الاخرة لا يتم الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا يتمتع النفس بشيء مما لا يوجد معها في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر

اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لم يمنع نفسه منها وانس به والفه واذا
مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من
لا حظ له في الاخرة بحال ولا خلاص عنه الا بان يكون القلب
مشغولا بمعرفة الله تعالى وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع
به عوائق الفكر والذكر فقط فمن لا يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه
فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا
الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة
الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني رجل
استغرق الدنيا قلبه فلم يبق لله عز وجل ذكر في قلبه الا من حيث
النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل
بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود
النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر قوة غلبة ذكر الله على قلبه والرابع
رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه
في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم
فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القائل ان
التنعم بالمباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله تعالى [illegible]
فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج
عن الحاجة من الدنيا ايضا وسياتي ذلك في كتاب ذم الدنيا فاذن لا
يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى ما لم يمنع النفس من التنعم
من المباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات
فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزم السكوت
الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته
عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم

يحفظ

لم يتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهيه
به الحلال هو بعينه يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على
العبد منعها عن الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة في
الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراء هذه آفة
اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها و
تطمئن اليها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة بها كالسكران الذي لا يفيق
من سكره وذلك لان الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج
من القلب الحزن والخوف وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو
موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا
في الاخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو
الى قوله تعالى الا متاع الغرور فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا
قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة
من التاثر بذكر الله تعالى واليوم الاخر وجربوها في حالة الحزن
فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن
الدائم والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها و
عودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب
وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب
فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا
والاخرة بالخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى
والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه
ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس اولا في
بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء
وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس

وبالف الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس
لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة
اولا ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر و
الدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عوضا عن الانس
بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية
كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة
فلذلك يكثر بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام
الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما
فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير
طبعا له فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن
ويالف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر من السرج واللجام و
الركوب ولكن تحمل عليه قهرا وتمنع عن الاسراح الذي الفته بالسلاسل
والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد
فكذلك يؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتاديبها بان تمنع عن
البطر والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت فيقال لها
احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه
فليسعى لا محالة لفراقه وشغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى
فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلايل
فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حيوة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض
باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغير ذلك شهرا ليتنعم به سنة
فكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد
من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة
والرياضة لكل انسان يختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان

يترك

يترك كل احد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او
بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع
في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء
من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع في الدنيا فكره
ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمان بها وذلك مهلك
في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب
قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو له في نفسه
من شهوة ووسواس حتى تقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا
يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد
اخر الا الموت والسلم **باب علامات حسن الخلق** اعلم ان كل انسان
فهو جاهل بعيب نفسه واذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك
فواحش المعاصي فربما يظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه
واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامات حسن الخلق
فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه
صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء
الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم بها حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح
المؤمنون الى قوله السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين اولئك
هم الوارثون وقال التائبون العابدون الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون الى قوله وبشر المو

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقوله
تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى اخر الاية
فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه
الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود
بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده
وحفظ ما وجده وصف رسول الله صلى الله عليه واله المؤمن بصفات
كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه
ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان الصفات المؤمنين هي حسن الخلق
فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال اذا رايتم المؤمن صموتا
وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته
فهو مؤمن وقال لا يحل للمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال
لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل
فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن
الخلق فقال ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح قليل الفساد
صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الفضول برا وصولا
وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا
ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشا
بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا
هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه واله عن علامة المؤمن
والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق
همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر

والعبر

والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن ايس من كل احد
الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن امن من كل احد
الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم
ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن
ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة
والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق
يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق
يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على
الاذى واحتمال الجفا ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على
سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول
الله صلى الله عليه واله كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذب
رداءه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال
انس حتى نظرت عنق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قد اثرت فيه
حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي
عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه واله فضحك ثم امر له
بعطاء ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وروي
ان عليا عليه السلم دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه
فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال
فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض
فانت حر لوجه الله اقول ثم ذكر ابو حامد حكايات عن الصوفية
زعم انها تدل على حسن اخلاقهم بتذليل انفسهم للناس وقد عرفت
من طريق اهل البيت عليهم السلم ان الله لم ياذن لعبده ان يذل نفسه

فلا حاجة بنا الى نقلها وقد ذكرنا في كتاب اخلاق الامامية وآداب الشيعة
من ربع العادات من اخلاق اهل البيت عليهم السلام وكلماتهم عليهم السلام
في محاسن الاخلاق وصفات المؤمنين ما فيه بلاغ لقوم عابدين
وكذا في كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من ذلك الربع وافعال اهل
البيت واقوالهم عليهم السلام هي الحجة والقدوة في كل باب والله الموفق
قال ابو حامد فهذه النفوس قد طالت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها
ونقيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى
وهذا منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية
سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم وبواطنهم كما ذكرناها
فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه
فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة
الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون
والصديقون **بيان** طريق رياضة الصبيان في اول النشو ووجه
تاديبهم وتحسين اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه
الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو
قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عوّد الخير وعلّم
نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل
معلم له ومؤدب وان اعتيد الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك
وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من
نار الدنيا فبان يصونه من نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه
ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوّده
التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبه

اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل
في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن
الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته
من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدا فيه مخايل التمييز
فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فاذا كان يحتشم
ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه
حتى راى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون
شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق
وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي
لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب
عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ
الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه ويأكل مما يليه ولا يبادر
الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام ولا الى من ياكل ولا
يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي اللقم ولا يلطخ
ثوبه ولا يده ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث
يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم
وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي
المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة
به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب
البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النساء
والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى
على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ
الصبي عن الصبيان الذين تعودوا التنعم والرفه ولبس الثياب الفاخرة

وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتدا
نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لجوجا
ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن
التاديب ثم ينبغي ان يشتغل في المكتب بتعلم القران وباحاديث الاخبار
وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ
عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادباء
الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في
قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل
محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى لاجل ذلك بما يفرح به ويمدح
بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي
ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه
يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في
اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة
بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال
له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا احد فتفتضح بين يدي الناس
ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة
وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا
هيبة الكلام معه ولا يوبخه الا احيانا وينبغي للام ان تخوفه
بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه
يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطئة حتى
تتصلب اعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود
الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله
في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل

القبيح

القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه
الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه
بل يضمهما الى صدره ويمنع عن ان يفتخر على اقرانه بشي مما والده
من مطاعمه وملابسه او لوحه او دواته ويعود التواضع والاكرام
من عاشره والتلطف معهم في الكلام ويمنع من ان ياخذ من الصبيان
شيا فيه بداله حشمته ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان
الرفعة في العطا لا في الاخذ لوم وخسة وان كان من اولاد الفقرا
فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من داب الكلب فانه
يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة
والطمع فيهما اكثر من افة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا
وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يمخط ولا يتمطط ولا
يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلاه على رجل ولا يضرب
كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل على الكسل
ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك
يدل على الوقاحة وانه فعل اولاد اللئام ويمنع اليمين راسا
صدقا وكذبا حتى لا يتعود ذلك في الصغر ويمنع من ان يبتدي بالكلام
ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السوال وان يحسن الاستماع
مهما تكلم غيره ممن اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع المكان
له ويجلس بين يديه ويمنع عن لغو الكلام وفحشه ومن اللعن
والسب ومخالطة من يجري على لسانه شي من ذلك فانه يسري لا محالة من
القرنا السو واصل تاديب الصبيان الحفظ من القرنا السو
وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل
يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ

يملكه

داب المماليك والنسوان وينبغي ان يوذن له بعد الفراغ من الكتب
ان يلعب لعبا جميلا ليستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في
اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دايما يميت قلبه
ويبطل ذكاه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا
وينبغي ان يتعلم طاعة والديه ومعلمه ومودبه وكل من هو اكبر سنا منه
من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك
اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة
والصلوة ويومر بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويجنب
لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف
من السرقة واكل الحرام والكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على
الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا وقارب البلوغ امكن ان يعرف
اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان
يقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ
لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الاخرة
دار مقر لا دار ممر وان الموت ينتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من
تزود من الدنيا للاخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان
نعمته فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا موثرا
ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف
ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس
والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبو الحايط عن التراب
اليابس فاوايل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره خلق
قابلا للخير والشر وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه

ويمجسانه وقال سهل بن عبد الله التستري كنت ابن ثلث سنين وكنت
اقوم بالليل وانظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما يا بني
الا تذكر الله الذي خلقك فقلت يا خال كيف اذكره قال قل بقلبك
عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي
الله ناظر الي الله شاهد علي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل
في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك فاعلمته فقال قل في كل ليلة احد عشر مرة
فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ
ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة
فلم ازل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة في سري فقال لي يوما يا سهل
من كان الله معه وهو ناظر اليه شاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت
اخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن
شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب
وحفظت القران وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر و
قوتي من خبز الشعير اثني عشر سنة لي مسئلة وانا ابن ثلث عشر
سنة فسالت هل ان يبعثوا بي الى البصرة اسال عنها فجئتها فسالت علماها
فلم يشف عني احد شيا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة
بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه
واتادب بادابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على ان يشترى
لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن لي ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة
اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم
سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلث ليالي ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم
خمسة وعشرين ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر
فكنت اقوم الليل كله بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة

بقلبه

وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة اعلم ان من شاهد الاخرة
شاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا لحرث الاخرة مشتاقا اليه سالكا
سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان عنده خرزة فرأى جوهرة
نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن
ليس مريدا حرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله فهو لعدم ايمانه بالله و
رسوله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان
بكلمة الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق
بان الجوهرة خير من الخرزة فلا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة
فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة
والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة
المذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريق المنبهين على حقارة الدنيا
وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في
شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان
تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء
وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف
الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله
عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى
غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان
تنبه منبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الاخرة
وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية
الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن
به ليأمن الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد له من ملازمتها
في وقت سلوك الطريق فاما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة

فيرجع مجامعها الى رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان
الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية والسد بين
المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب
المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة
فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى
وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار
الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق
عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان
يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان و
يخوض في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم
معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى
اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة
لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لعقيدته ولم يبق في قلبه متسع
لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء
الى مذهب معين اصلا اقول هذا انما يصح على مذهب العامة
حيث تفقهون في الاصول الاشعري والمعتزلي ونحوهما من اهل الاراء
وفي الفروع الحنفي والشافعي وشبههما من اصحاب الاهواء واما على
مذهبنا الحق من وجوب التمسك بحبل اهل البيت عليهم السلام الذين
شايعناهم وحصوننا فالانتماء اليهم شرط الاهتداء لاحكام الله
والتعصب لهم يزيد السالك في سلوكه يقينا الى يقين قال واما المعصية
فهي حجاب لا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم وتصميم العزم
على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم

فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار
الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره
وهو لا يعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القران لا بد من تقديمها
اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيها فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة
اولا بامتثال الاوامر والانزجار عن النواهي ثم الترقي الى اسرارها
فاذا قدم هذه الشروط الاربعة كان كمن تطهر وتوضأ ورفع
الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به وكذلك المريد
يحتاج الى شيخ واستاد يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل
فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن
له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك البوادي
المهلكة من غير خفير ودليل فقد خاطر بنفسه وربما اهلكها ويكون
المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان
بقيت مدة واورقت لم تثمر فالمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة
شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض
اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقي في متابعته
شيئا ولا يذر ويعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في
صواب نفسه لو اصاب اقول اذا جاز على الشيخ الخطأ فربما يكون
فساده اكثر من اصلاحه بل الحق انه لا يجوز الاعتماد والاعتقاد
والعمل الا على معصوم من الخطأ والزلل عرف عصمته من الله عز
وجل وليس الا ائمتنا عليهم السلم ثم ادنوا النائب الاخص فاذا وجد مثل
هذا المعتصم وجب معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع
عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر
فهذه محصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد

به ربه

به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه
نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة
كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق منه مسلك
العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى عليه السلم يا معشر
الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار
الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت و
الاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له
التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين
واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره وينضاف الى الصفاء
الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة
فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة
وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على
الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن
والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون ح
سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم
فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجمع راي
سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت
فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له
بطعام او شراب او تدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان
الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح
اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح
العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها
دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليزا القلب والقلب في

حكم حوض انصبا اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود
الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها
لينفجر اسفل الحوض فينفجر عنه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح ان
ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة
اكثر مما ينقص فلابد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس
يتم ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن له مكان مظلم
فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة
يسمع نداء الحق فيشاهد جمال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل
له يا ايها المدثر يا ايها المزمل فهذه الاربعة جنة وحصن تدفع
عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل
بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على
طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض
تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل
فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها في اول
الارادة واثارها اعني اثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات
الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلابد ان يخلي الباطن عن اثارها
كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول مجاهدة ويختلف
ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص مكفي قد كفي اكثر الصفات فلا
يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة هو مضادة الشهوة
ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك
او ضعف بالمجاهدة فلم يبق في قلبه علاقة يشغله بعد ذلك بذكر يلزم
قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض

والراتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني
ملازمة القلب لذكر الله بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به
ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي الحصري ان كان يخطر
على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تليها شيء غير الله فحرام عليك ان تاتيني
وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على
القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد
فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد فيها ويوكل من يقوم له
بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال
وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس
ويقول مثلا لا اله الا الله او الله الله او سبحان الله او ما يراه
الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة لسانه
ويكون ما كلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب
عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ في القلب
ثم لا يزال كذلك حتى ينمحي عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى
حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب
عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره اي شيء
كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا عن غيره لا محالة وعند
ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا
وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما
اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة
وكان ذلك نقصانا ابدا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس
كله ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة
وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا

ويثور عند ذلك خواطر يتفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه
من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها
لذلك ومتشمرا لاماطته من القلب لم يضره ذلك والخواطر منقسمة
الى ما يعلم قطعا ان الله منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في
قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله
ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم قال تعالى ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه
فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال
من فترة او نشاط او التفات الى علقه او صدق في ارادة فينبغي
ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان
شيخه ينبغي ان ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم
انه ان تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله
على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف
له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى
الاعتقاد الصحيح القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل
قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه
مهالك الطريق ومواقع اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة
فغلب عليه خيال فاسد فلم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه
واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك
العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه
لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان
سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين

ولذلك

ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي
اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال
باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك يجب على
الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد
الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة و
الاوراد المتواترة ويشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان
العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد
دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ
درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من
العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من
اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه
كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة
عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه
ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال
بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف
الطريق الى التحقيق قال ان تكون في الدنيا كانك عابر طريق
وقال قلت له مرة اخرى دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله
في كل وقت على الدوام فقال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم
ظلمة لا بد لي منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد
لي من ذلك قال فلا تعاملهم فانه وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد
لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة
قلت هذا لعلة قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام
الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله على

على الدوام هذا مما لا يكون ابدا فقال لي لا تنظر الى الخلق فان
النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي منهم قال فلا تسمع كلامهم فان
كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم
وحشة قلت انا بين اظهرهم ولا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن
اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا العلة قال يا هذا اتنظر
الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان
تجد قلبك مع الله على الدوام هذا مما لا يكون ابدا اقول
قد اطال ابو حامد في كلامه الخوض في اودية الضلال وادعى جواز
ما هو من قبيل المحال على انه ابداء شريعة واحداث بدعة شنيعة
مع اشتماله ما عرفه على المهالك والمفاسد التي لا تحصى منها من الف الف
واحد ولو كان طريق الى الحق اهدى مما ارسل به نبينا صلى الله عليه وآله
لجاد به ودونه لان شرعه خير الشرائع كما انه خير الانبياء وقد ورد
في التنزيل وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله فلا محالة فيما جاء به كفاية للاهتداء وليس فيما
جاء به شيء مما تكلفوه بل انما ورد النصوص على خلاف ما وضعوه
اما رفضهم المال والجاه ما لم يحرم فقد ورد الحث والتاكيد على طلب الحلال
والحث في السنة من المال وان من القى كله على الناس فهو ملعون
ومن اذل نفسه وهو ملوم مطعون وانما المذموم حب المال والجاه
لا حرزه بقدر الضرورة من دون حب واما ترك التعصب فقد
ورد ان افضل القربات الحب في الله والبغض في الله وان الدين
انما هو الحب والبغض وما في معناه واما الخلوة في بيت وحده فقد
ورد ان الشيطان احرى ما يكون على الانسان واشد ما يهم به اذا كان
وحده واما الاقتصار في الاوراد على كلمة واحدة فقد ورد في فضل تلاوة

القران والدعاء ما ورد وان مخ العبادة الدعاء وطلب الحاجة الى الله هذا
مع ما ورد في فضل الجمعة والجماعات وبركة التزاور والاجتماعات
وفي الحديث المتفق عليه بين الخاصة والعامة لا رهبانية في الاسلام
وان من رهبانية امتي الصيام وفي حديث اخر ان رهبانية امتي الجلوس
في المساجد الى غير ذلك مما يباين طريقة هؤلاء فهؤلاء المبتدعون
اجمعوا بين الجهل وسوء الادب مع الله ورسوله اما الجهل فلكونهم
ما عرفوا وجوه الحكمة فيما كلف الله به عباده من الاوامر والنواهي
على حسب ما يليق بهم وبما هو اوفق لافهامهم وامزجتهم واما سوء
ادبهم فمعارضتهم له سبحانه ولرسوله بما وضعوه من عند مما زعموه
طريقا الى معرفة الله وهم الذين ورد عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد وفي حديث اخر من غش
امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله
وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وفي اخرى ان
لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله لم تنله شفاعته
وهم الذين قالوا مثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة
بالنسبة الى من تذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته
بالنسبة الى من خالف امره في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما قلب
الدولة فلا ثم ما تقولونه لا يتم الا برفع الخواطر وهذا شيء ليس
في وسع البشر ولا سيما العوام منهم قيل لمولانا الصادق عليه السلام ان لي
اهل بيت قدرية يقولون نستطيع ان نعمل كذا وكذا ونستطيع ان
لا نعمل فقال عليه السلم قل له هل تستطيع ان لا تذكر ما تكره وان لا
تنسى ما تحب فان قال لا فقد ترك قوله وان قال نعم فلا تكلمه ابدا
فقد ادعى الربوبية ولا يتم ايضا الا بمتابعة شيخ لا تخالفه في شيء مما

به ويذكر كما قالوه والشيخ جائز الخطاء باعترافهم فانهم لا يشترطون
العصمة فيه وعلى هذا فيجوز ان يكلف المريد بما فيه هلاكه في دينه
او دنياه كما اعترفوا به ايضا ونحن قد راينا ذلك فمنهم من مات
من رياضته ومنهم من فسد دينه ولهذا قال مولانا الصادق عليه السلام
اياك ان تنصب رجلا دون الحجة فتصدقه في كل ما قال وهذا احد
معاني قوله سبحانه والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فان
متابعة مثل هذا الشيخ المبتدع الذي لا ينقل عن الله وجاز عليه
الخطاء عبادة الطاغوت على انا نرى اكثر مشايخهم الذين سلكوا هذه
الطريقة اشقاء وحملوا الناس عليها كانوا في حيرة وعمى من معرفة
الامام مع ان بناء معرفة الدين علما وعملا على معرفة الامام المنصوب من
الله سبحانه بالوحي وقد قال النبي صلى الله عليه واله في الحديث المتفق
عليه بين الخاصة والعامة من مات ولم يعرف امام زمانه فقد مات
ميتة جاهلية ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله
لا يهدي القوم الظالمين وعن الباقر عليه السلام كل من دان الله بعبادة
يجهد فيها نفسه ولا امام له من الله فسعيه غير مقبول وهو ضال
متحير والله شانئ لاعماله ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها
فهجمت ذاهبة وجائية يومها فلما جنها الليل بصرت بقطيع من
غير راعيها فحنت اليها واغترت بها وباتت معها في مربضها فلما ان ساق
الراعي قطيعه انكرت راعيها وقطيعها فهجمت متحيرة تطلب راعيها
وقطيعها فبصرت بغنم مع راعيها فحنت اليها واغترت بها فصاح
بها الراعي الحقي براعيك وقطيعك فانك تائهة متحيرة عن راعيك
وقطيعك فهجمت ذعرة متحيرة تائهة لا راعي لها يرشدها الى مرعاها
او يردها فبينا هي كذلك اذا اغتنم الذئب ضيعتها فاكلها وكذلك والله

من اصبح من هذه الامة لا امام له من الله ظاهر عادل اصبح ضالا تائها
وان مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق واعلم ان ائمة الجور
واتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا فاعمالهم التي يعملونها كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك
هو الضلال البعيد وعن الصادق عليه السلام والله لو ان ابليس سجد لله
تعالى بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله تعالى
ما لم يسجد لآدم كما امره الله ان يسجد له وكذلك هذه الامة العاصية
المفتونة بعد نبيها صلى الله عليه واله وبعد تركهم الامام الذي نصبه
نبيهم صلى الله عليه واله فلن يقبل الله لهم عملا ولن يرفع لهم حسنة حتى
ياتوا الله من حيث امرهم ويتولوا الامام الذي امروا بولايته ويدخلوا
في الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم فان قلت فما الطريق الى معرفة
اسرار الدين وتحصيل اليقين فاعلم ان الله سبحانه جعلنا ازواجا
وجعل لكل منا شرعة ومنهاجا وليس لعامة الناس ان يسلكوا مسالك
الحكماء الالباء وينهجوا منهج الربانيين من العلماء فان جناب الحق
جل ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد فالمؤمن
الموفق اعز من الكبريت الاحمر ثم لا بد لمن اراد الشروع في تحصيل
العلم المكنون عند اهله المضنون به عن غير اهله ان يكون شابا
صحيح المزاج ذكيا امينا عفيفا صدوقا مهذب الاخلاق بريا عن
الرياء والنفاق مبغضا لفضول الدنيا معرضا عن المكر والغدر والخيانة
ونحوها معظما للعلم والعلماء مقبلا على الوظائف الشرعية فرائضها
ونوافلها بعد ان تعلم احكامها وعرف حلالها وحرامها وكان قد
اخذها من اهلها واما مما قال الصادق عليه السلام ان الله اكبر ان
يخزن السماء والارض فاذا سال عن شيء من مسائل الحلال والحرام لم يكن

عدم شي ثم بعد ذلك كله اشتغل بتحصيل هذا العلم من طريقه وعلى
وجهه بتقديم الاتيان بالفرايض ثم النوافل ثم مراعات الادب والسنن
ثم الصبر على البلايا والمحن وملازمة الذكر ومداومة الفكر حب النفوس
والبعد من الشهوات النفسانية والخواطر الشيطانية بالمقدور وجعل
الهموم هما واحدا مع اخلاص النية وصفاء الطوية والعمل بما يتعلم
شيا فشيا ومراقبة النفس انا فانا حتى يصير العلم عيانا له بعد تعين وترقيا
من علم اليقين الى عين اليقين الى حق اليقين والعمدة فيه الزهد في الدنيا
ومتابعة الشرع من طريق ائمة الهدى وملازمة التقوى قال الله تعالى
واتقوا الله ويعلمكم الله وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال امير المومنين عليه السلم ان
من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب
الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات
وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة
اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى
قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من
العرى فادنى منتهى الرياضة ان يجد المريد قلبه مع الله ابدا ولا يمكن
ذلك الا بان يتخلى عن غيره ولا يتخلى عن غيره الا بطول المجاهدة
فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلالة الحضرة الربوبية وتجلى
له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف
بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شي من ذلك
فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا او نصحا او يتصدى للتذكير

فيجد

فيصل للنفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان
يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبر عنها وترتيب
ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القران والاخبار وتحسين
صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه
ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين من الله وانما
انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك
فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر
في اقرانه من ان يكون احسن كلاما منه واجزل لفظا واقدر على
جلب قلوب العوام فانه يتحرك باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان
محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله
عز وجل الى صراط المستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي
عضدني وايدني بمن يوازرني على اصلاح عباده كالذي وجب
عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذا وجده ضايعا وتعين عليه ذلك
شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسده معشر الغافلين
موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح
وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح بهم وهذا عزيز الوجود جدا
فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبايل الشيطان
في قطع الطريق على من انفتحت له اوايل الطريق فان ايثار الحيوة
الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل يوثرون
الحيوة الدنيا ثم بين سبحانه ان الشر قديم في الطباع غالب على
الانسان وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال سبحانه ان هذا
لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد
وتربيته في التدريج الى لقاء الله سبحانه اما تفصيل الرياضة في كل صفة

فسياتي بيانه فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه
اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند الحماية
الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس
بها احب الدنيا ولا يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال
والجاه حدث فيه العجب والكبر والرياسة واذا ظهر ذلك ولم
تسمح نفسه بترك الدين وانا تمسك من الدين بما فيه الرياسة
وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين
ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن
والفرج وكتاب في افة اللسان وكتاب في كسر الغضب والحسد
والحقد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في ذم
حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب
في الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور وبذكر هذه
المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها تم غرضنا من هذا الربع
ربع المهلكات ان شاء الله فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو
شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات
وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب
الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما ياتي في هذه
الكتب ان شاء الله والحمد لله رب العالمين هذا اخر كتاب
رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض
القلب من الجزء الثالث في احياء الاحياء
ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب
كسر الشهوتين شهوة
البطن والفرج

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس
والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل
فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه
المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل يفي بامانيه فهو الذي
يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه
واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم
يرضيه وهو الذي يحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام
والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت و
يقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به شهوة
النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد
ان يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه
ويؤكد دواعيه وكل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما
يهواه وينتقيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب
على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه و
رسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى
الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه **اما بعد**
فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها اخرج آدم وحوا
من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة
فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق

ينبوع

ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج
وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة
الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات
والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب
المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة
التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد
والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر
والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع
والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت
لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى
الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب
على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب
شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة
لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح آفة شهوة الفرج فانها
تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله ونبينه في فصول يجمعها وهي
بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة
البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع
وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة
ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد من ترك التزويج
وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين **بيان
فضيلة الجوع وذم الشبع** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد
في سبيل الله وانه ليس عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال

ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل ملكوت السموات
قلب من ملاء بطنه وقيل يا رسول الله اى الناس افضل قال من قل
طعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته وقال صلى الله عليه واله وسلم سيد
الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدرى
قال النبى صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف واشربوا وكلوا فى انصاف البطون فانه
جزء من النبوة وقال الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة
الطعام هى العبادة وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله
اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤم اكول شروب
وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اى مختارا لذلك
وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله يباهى الملائكة بمن قل طعمه فى
الدنيا يقول انظروا الى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا
فتركهما لاجلى اشهدوا يا ملائكتى ما من اكلة تركها لاجلى الا ابدلته
بها درجات فى الجنة وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تميتوا القلوب
بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء
وقال صلى الله عليه واله وسلم ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه
حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان هو فاعلا لا محالة
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفى حديث اسامة بن زيد
ان اقرب الناس الى الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه
فى الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا
لم يتفقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم
الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى وافترش الناس الفراش الوثيرة
وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوهم
تبكى الارض اذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم

احد لم يكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيفة اكلوا الفلق ولبسوا الخرق
شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا
وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولا خولطوا ولكن نظر القوم بقلوبهم
الى امر الله الذى اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا
عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف فى الدنيا ولهم الشرف
فى الاخرة يا اسامة اذا رايتهم فى بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا
يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض
اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك
الموت وبطنك جايع وكبدك ظمان فافعل فانك تدرك بذلك اشرف
المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلى
عليك الجبار وقال عيسى عليه السلم اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم
لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروى ذلك عن نبينا صلى الله عليه واله وسلم
وفى التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على
الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود
ان الله يبغض القارى السمين وفى حديث مرسل ان الشيطان ليجرى
من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفى الخبر
ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال الرسول صلى الله عليه واله وسلم
المؤمن ياكل فى معاء واحد والمنافق ياكل فى سبعة امعاء اى ياكل سبعة
اضعاف ما ياكله المؤمن او يكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون
المعاء كناية عن الشهوة لان الشهوة هى التى تقبل الطعام وتاخذه
كما ياخذه المعاء وليس المعنى به زيادة عدد امعاء المنافق على امعاء
المؤمن وعنه صلى الله عليه واله وسلم ادِيموا قرع باب الجنة يفتح لكم
قيل وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظماء وروى ان ابا

جحيفة تجشا في مجلس رسول الله صلى فقال له اقصر من جشائك فان
اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة
تقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتل شبعا قط وربما
بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك
من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد
صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي دونهم فان اصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص
حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى
وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك
منه بهذه الكسرة فقال اما والله انه اول طعام دخل فم ابيك منذ
ثلثة ايام وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم
اهل الشبع في الآخرة وان ابغض الناس الى الله تعالى المتخمون الملاء
وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة اقول
وروى في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلم قال كثرة الاكل مكروه
وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بئس العون
على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد وعنه عليه السلم
قال ان البطن ليطغى من اكله واقرب ما يكون العبد الى الله تعالى
اذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله تعالى اذا امتلأ بطنه
وعنه عليه السلم قال قال ابوذر رحمه الله اطولكم جشاء في الدنيا اطولكم

جوعا في الآخرة او قال يوم القيمة وعنه عليه السلم قال الاكل على الشبع
يورث البرص وعنه عليه السلم قال كل داء من التخمة ما خلا الحمى فانها
ترد ورودا وعنه عليه السلم قال ليس لابن ادم بد من اكلة يقيم بها صلبه
فاذا اكل احدكم طعاما فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب
وثلثه للنفس ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح وعن ابي جعفر عليه السلم
قال اذا شبع البطن طغى وعنه عليه السلم قال ما من شيء ابغض الى الله تعالى
من بطن مملو وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلم قال قلة
الاكل محمودة على كل حال وعند كل قوم لان فيه المصلحة للباطن
والظاهر والمحمود من الماكول اربعة ضرورة وعدة وفتوح وقوت
فالضرورة للاصفياء والعدة للقوام الاتقياء والفتوح للمتوكلين
والقوت للمؤمنين وليس شيء اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل وهي
مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن
وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه وقال داود عليه السلم
ترك اللقمة مع الضرورة اليها احب الي من قيام عشرين ليلة قال النبي صلى الله عليه
المؤمن ياكل معاء واحد والمنافق ياكل بسبعة امعاء وقال النبي صلى
ويل للناس من القبقبين فقيل وما هما يا رسول الله قال الحلق
والفرج وقال عيسى بن مريم عليهما السلم ما امرض قلب باشد من القسوة
وما اعتلت نفس باصعب من بغض الجوع وهما زماما الطرد و
الخذلان قال ابو حامد واما الآثار فقال لقمن لابنه يا بني
اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء
عن العبادة وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها
المجاعة وقال الفضيل الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم

الليالي بلا مصباح وانما نفعل هذا باوليائك فباى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين فتنة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب من قيام ليلة الى الصبح وايضا قال الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احب وكان سهل التستري يطوى نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يرى في يوم القيمة عمل بر اكبر من ترك فضل الكلام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه واله وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيا اضر على طلاب الاخرة من الاكل الكثير وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال جاء في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ فيكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ايضا ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر بين السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اذا اقبل الله تعالى على العبد ابتلاه بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالصبر والجوع والجهد وقال ما اظن

احدا على وجه الارض شرب من هذا الماء حتى يروى فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باى قيد اقيد نفسي قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من افاتها بدوام سوء الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله عز وجل ما صافى عبدا الا بالجوع ولا والاهم الله الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزمار وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلى فكذلك الجوف اذا خلى كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروى ان عيسى عليه السلم مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل ولم يخطر بباله الاكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى يا ولى الله بارك الله فيك ادع الله تعالى فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا حضر شيء اكلته من غير فكر ولا خاطر وروى ان موسى عليه السلم لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما ثلثين ثم عشرا على ما ورد في القران وانه امساك بعد ثلثين يوما فزيد عشرة ايام لاجل ذلك بيان فوائد الجوع وافات الشبع لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا

ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم
الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطع لحمه وتناوله
الاشياء الكريهة وما يجري مجراها فاعلم ان هذا يضاهي قول من
شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهيته فاخذ
يتناول كل ما هو مكروه في المذاق وهو غلط منه بل نفعه في خاصية
في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء وكذلك
لا تقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن اجاع نفسه مصدقا
لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة
كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعرف عين المنفعة وعلتها في وجه
كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان
الى درجة العلم يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
فنقول في الجوع عشر فوايد الاولى صفاء القلب وايقاد القريحة
ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار
في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب
بسببه عن الجريان في الافكار فيحرم عن سرعة الادراك بل الصبي اذا
اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك وقال
ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث
العلم السماوي وقال صلى الله عليه واله وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك
والشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل
الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه واله وسلم
من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه واله وسلم من شبع ونام قسى قلبه ثم قال ان
لكل شيء زكوة وزكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله تعالى

يوما الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى
ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار
بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب
من ابواب الجنة فبالحري ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب
الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة
وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد
الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال النبي صلى
نور الحكمة الجوع والبعد من الله الشبع والقربة من الله حب المساكين
والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي
في خفة من الطعام بات الحور العين حوله حتى يصبح الفايدة الثانية
رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر
بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب لا يلتذ به
ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد
يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجات
وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما يكون
الي العبادة اذا التصق بطني بظهري وقال الجنيد يجعل احدهم
بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة
وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش صفى ورق واذا شبع
عمي وغلظ فاذن تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء
تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهذه فايدة ثانية الفايدة الثالثة
الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا
الطغيان والغفلة عن الله ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما
تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها

وذللها اذ ضعفت منها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها
الدنيا لشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه
وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دايما
مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة
والقهر فليكن دايما جايعا ذليلا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار
بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
الدنيا وخزاينها فقال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت
صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج
باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من
ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد
فتح له بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق
والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر الفايدة الرابعة
ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان
ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا
ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات
القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون
الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب
عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن
لم يكن في قلة ولا علة ولا ذلة ولا بلاء نسي عذاب الاخرة ولم
يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في مقاساة
بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع
فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا احد
الاسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل

فالامثل ولذلك لما قيل ليوسف عليه السلم لم تجوع وفي يديك خزاين الارض
فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين
احدى فوايد الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة
على خلق الله والشبعان في غفلة عن الم الجايع الفايدة الخامسة
وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس
الامارة بالسوء فان منشاء المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة
القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة
وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة كلها في ان
تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع في
تضيرها فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس و
قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهدم فقال
لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان
احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال
ذو النون ما شبعت قط الا وقد عصيت الله او هممت بمعصية
قالت عايشة ان اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه واله
الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا
وهذه ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع
خزانة من خزاين الله تعالى واول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج
وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص
به من افات اللسان كالغيبة والفحش والنميمة والكذب وغيرها
فيمنعه الجوع عن كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة
باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم
واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع يكفي شرها فاذا شبع الرجل

لا يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما يزني
الفرج فان ملك عينه بغطاء التقوى فلا يملك فكره فيخطر له
الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته
وربما عرض له ذلك في اثناء الصلوة وانما ذكرنا افة اللسان والفرج
مثلا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة
بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة
لا يخلط معه شيا من الشهوات وياكل بنصف بطنه رفع الله عنه
مونة النساء الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من
شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه فلذلك كان يقول بعض
المشايخ لاصحابه على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا اجمع سبعون صديقا
على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت
التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس
مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة
التهجد لا يخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم
يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه
ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى
به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته صلوة الليل
ثم يحتاج الى مونة الحمام وربما يقع عينه على عورة في الحمام
فان فيه اخطارا قد ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك
اثر الشبع وقال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك
لانه يمنع عن عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع
الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له الفائدة السابعة

تيسر

تيسر المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه
يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في
شري الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده
الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى
الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع
علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت له ما دعاك الى هذا
فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته ولم يضيعه
في المضغ وكل نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغي ان يستوفى
منه خزانة باقية في الاخرة لا اخر لها وذلك بان يصرفه الى ذكر
الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة
وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته وفيه
ضرر ومن جملة الفوايد الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم
ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغله بالاكل واسبابه
الى العبادة فيه ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا
قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو
سليمان الداراني الى ست افات في الشبع فقال من شبع دخل
عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة
وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا
وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المومنين الجياع يدورون
حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل الفائدة الثامنة
يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة

وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات
وتشويش القلب ويمنع من الفكر والذكر وينغص العيش ويحوج
الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحوج الى
مؤن وتبعات لا تخلو الانسان منها بعد التعب من انواع من المعاصي
واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد
جمع اربعة اطباء هنديا وروميا وعراقيا وسواديا فقال ليصف
كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء
الذي لا داء فيه عندي الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب
الرشاد الابيض وقال العراقي هو الماء الحار وقال السوادي
وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد
يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهو داء قالوا
فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل طعاما
حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت
وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وآله
ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت
كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله
عليه وآله وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا
كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب من هذا الخبر جرى
لا من ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم
يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع
قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار من الاكل
ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان وان اضرها ادخل
معدته المالح ولان يتقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان

وفي

وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وقلة الاكل
صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان
والبطر وغيرهما الفائدة التاسعة المؤنة فان من تعود قلة
الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما
ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج
الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل
ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية
الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض الحكماء اني لاقضي
عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لنفسي وقال آخر اذا
اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من
نفسي فتركت الشهوة الزيادة فهو خير غريم لي وكان ابراهيم بن
ادهم يسال اصحابه عن الشيء من الماكول فيقال له انه غال فيقول
ارخصوه بالترك قال سهل الماكول سد موم في ثلث خصال ان
كان من اهل العبادة فيكمل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات
وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة
سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن و
الفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما
يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب
الجنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع
فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار
حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله
وتجارة الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله فانه لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما

المحتاج فليهيه لا محالة الفايدة العاشرة ان يتمكن به من الايثار والتصدق
بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين ويكون يوم القيمة في ظل
صدقته كما ورد في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته
فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى
او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع
ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى رجل سمين البطن
فاومى باصبعه الى بطنه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا
لك اي لو قدمته لآخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال
والله لقد ادركنا رجالا كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام
ما يكفيه فلو شاء لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في
بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشرة فوايد للجوع يتشعب عن
كل فايدة فوايد لا ينحصر عددها ولا يتناهى فوايدها فالجوع
خزانة عظيمة لفوايد الآخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع
مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح باب الدنيا وباب
الرغبة وكل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف
على تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك
علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت
لك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في ماكوله وبطنه اربع وظايف
الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع الاكل الحرام كالبناء
على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع
في كتاب الحلال والحرام ويبقى ثلث وظايف خاصة بالاكل وهو
تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته والابطاء

والرعه

والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها اما
الوظيفة الاولى في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج
فمن تعود الاكل الكثير وانتقل دفعة الى الاكل القليل لم يحتمله
مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا
قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان
ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى واحد فينقص في كل
يوم ربع سبع رغيف وهو ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا
او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به
ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة
فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه
اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى
دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال
استعبد الله الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف
العبد على اثنين منها وهي الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما
وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال
ينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى يصلي قاعدا وراى ان صلوته
قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قايما مع قوة الاكل اقول
هذا ليس بشيء لانه خلاف ما يظهر من اثار اهل البيت عليهم السلم
فالصواب ان يحافظ السالك على قوته مهما امكنه كما يحفظ على حيوته
وعقله قال الله عز وجل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ويأتي
تمام الكلام فيه قال الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة

في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة
منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره
رسول الله صلعم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة
وهو لما دون العشرة الدرجة الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار
المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق
الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى
شيء للذكر وفي بعض الالفاظ وثلث للذكر بدل قوله عليه السلام ثلث
للنفس الدرجة الرابعة ان يزيد على مقدار المد الى المن ويشبه
ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني
في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالشخص والسن
والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه
موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده عن
الطعام وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر
مع نفسه رغيفا او رغيفين فانه لا يتبين له حد الجوع الصادق
ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات
احدها ان لا تطلب النفس الادام بل تاكل الخبز وحده بشهوة اي
خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه او طلبت اداما فليس ذلك بجوع وقيل
ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة
فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد
ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها
فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام
لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة
من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا

ونصفا

ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون في كل يوم قريبا من نصف مد
وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط
النوى منه وقد كان ابو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة
صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والله لا ازيد
عليه حتى القاه فاني سمعته صلى الله عليه واله وسلم يقول اقربكم مني
مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان
يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن
ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان
الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا كذلك في عهد
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا
من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى
وقال بعض السلف المؤمن مثل المعزى يكفيه الكف من الحشف
والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري
بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله فوجهوا

خرطا خرطا

هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا
كان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر
القوام فقط الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره
وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلثة ايام فما
فوقها وفي بعض المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار
حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما او اربعين يوما وانتهى اليه جماعة
من العلماء يكثر عددهم كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة
وقال بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت
له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد وقف

بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره في حاله وطمع في اسلامه
وترك ما هو فيه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان
قال له الراهب كان المسيح يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا تكون
الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما
انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال
نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال
ازيدك ايضا فطوى على تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما
كنت اظن احدا ان يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه فهذه
درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل عما هدله
ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه
وحاجته الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلثة وليس ذلك
خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة
الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة
واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك فهو اسراف ومداومة
للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو
بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري انه كان صلى الله عليه واله
اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون
في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه واله وسلم لعايشة اياك و
الاسراف فان اكلتين في كل يوم من السرف فكان في يوم
اكلتان واكلة واحدة في يوم من اقتار واكلة في كل يوم قوام
بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله ومن اقتصر في اليوم على
اكلة واحدة فيستحب له ان ياكلها في السحر قبل طلوع الصبح فيكون
اكله بعد التهجد قبل الصبح ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع

الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم
وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عائشة
كان صلى الله عليه وآله قال لا تواصل الى السحر اقول وذلك بشرط ان لا
يجعل ذلك صوم وصال بل افطر بعد المغرب فان الوصال من
خصايص رسول الله صا وهو حرام على امته كما رويناه عن
اهل البيت عليهم السلام قال وان كان يلتفت قلب الصايم الى الطعام
بعد المغرب وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد ايضا
فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين فان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا
عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد
بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف
الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر
يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره قبل الظهر ويوم صومه وقت السحر
فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده اقول
روى في الكافي باسناده عن ابن اخي شهاب بن عبد ربه قال شكوت
الى ابي عبد الله عليه السلام ما القى من الاوجاع والتخم فقال لي تغد
وتعش ولا تاكل بينهما شيئا فان فيه فساد البدن اما سمعت الله
تعالى يقول لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعنه عليه السلام قال قال امير
المؤمنين عليه السلام عشاء الانبياء عليهم السلام بعد العتمة فلا تدعوه
فان ترك العشاء خراب البدن وعنه عليه السلام قال ترك العشاء
مهرمة وينبغي للرجل اذا اسن ان لا يبيت الا وجوفه من الطعام
ممتلي وعن الرضا عليه السلام ان في الجسد عرقا يقال له العشاء
فاذا ترك الرجل العشاء لم يزل يدعو عليه ذلك العرق الى
ان يصبح يقول اجاعك الله كما اجعتني واظماك الله كما اظماتني

فلا يدعن احدكم العشاء ولو بلقمة من خبز او بشربة من ماء وعن
النبي صلى الله عليه وآله قال ما بال اصحابي لا ياكلون اللحم ولا
يشمون الطيب ولا ياتون النسا اما اني آكل اللحم واشم
الطيب واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وآله
من اتى عليه اربعون يوما ولم ياكل اللحم فليستقرض على الله و
لياكله ولقد بالغ ابو حامد في التقشف في هذا الباب سابقا و
لاحقا ولم نتعرض له في كل من اقواله بل اكتفينا بما ذكرناه و
حذفنا بعض حكاياته عن الصوفية مما تمجه الطباع السليمة
كنقله عن سهل بن عبد الله انه اكل ورق النبق ثلث سنين ثم
اقتات بثلثة دراهم في ثلاث سنين الى غير ذلك قال الوظيفة الثالثة
في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو
غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام
اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان
من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع من الادام على
الدوام بل الامتناع على الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان
واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانس لقلبه بلذائذ
الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا
جنة في حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه من شهواتها
وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا عليه سجنا وضيقا
واشتهت نفسه الانفلات منها ويكون الموت اطلاقها واليه
اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا
انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس
فكلما ذكرناه من افات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول

اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات
من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وليس هذا بتحريم
بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن
داوم عليه فلا يعصى ايضا بتناوله ولكن يتربى نفسه في التنعم ويانس
بالدنيا ويسعى في طلبها فيجره ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة
لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي
وقال صلى الله عليه وآله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت
عليها اجسادهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس و
يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم واذكر انك
ساكن القبر فيمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف
السلف من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان
ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله ذلك عنهم غاية السعادة
حتى روى ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة
فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر
اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الاخر امرت باهراق زيت
اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات
ليس من علامات الخير وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ايما
امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثرها على نفسه غفر الله له وعنه
صلى الله عليه وآله وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز
من ماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان
المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا
وقد امتنع السلف من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات

وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها في بعض الاوقات لانه كان
لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات
ليست من الضرورات حتى قال بعضهم الملح شهوة لانه زيادة على
الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على
ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى
بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي
ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي عليه السلم من ترك اللحم اربعين
يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسى قلبه وقيل ان
للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جايعا وتاقت
نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين
فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط على الجماع ويستحب
ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاده الفتور و
يقسو قلبه لذلك ولكن ليصلي او يجلس فيذكر الله تعالى فهو اقرب
للشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا
عليه فيقسو قلوبكم ومهما اشتهى شيا من طيبات الفواكه فينبغي
ان يترك الخبز وياكلها الفاكهة بدلا عن الخبز ليكون قوتا ولا
يكون تفكها ولئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ومهما وجد
طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ
بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان
بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها
فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة
وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات في المباحات
واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان

ان يقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر
ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهوته وقال
تعالى كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية وكان
قد اسلفوا ترك الشهوات لا اكلها ولهذا قيل ترك شهوة من
شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها **بيان**

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس اعلم ان
المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير
الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في
فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات
ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف
الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على
وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضاده ما يقتضيه
الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط
لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب غاية
الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان
ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية
بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة
الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع
بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله
عليه واله وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم
الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة
الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس
بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل

بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم
الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا
بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون
عن ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا
لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن
الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن
هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت
في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب
من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال
تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على
الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة
المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة
بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في
الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله
بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط
مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر قوله صلى الله
عليه وآله وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا و
اشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسر له
العبادة والفكرة وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته
ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت
النفس جموحة متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال
لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام
الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا

ارتاضت

ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها
وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه بنفسه فيامره بالجوع وهو
لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ
عن تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس
الشره والشهوة والامتناع عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي
يحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد
بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع
من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة
نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى
الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه
الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما
تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فينظر المغرور الى الصديق ومسامحته
نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول
ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير
الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا
في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير بالغة رتبة
الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت
في طعامه قالت عائشة كان صلى الله عليه وآله وسلم يصوم حتى نقول لا
يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول اعندكم
من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذن صائم وقد
كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل و
خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما وقال اني صائم فقالت
له عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه

وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له ان اخاك بشرا لا يأكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت مالي وللاعتراض والتميز ودفع ابرهيم بن ادهم بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا يسيرا فقيل له اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في الثياب والاثاث فالبصير باسرار المعرفة يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال

بيان آفة الرياء المتطرق الى من يترك اكل الشهوات او يقلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكله في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة لا في الاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هما نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد الله امر المنافقين فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم اعين المخلوقين فمحا الكفر عن

ظاهره والاكابر في باطنه فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات فيعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذه تضاهي طريق من يأخذ ما يعطى جهرا ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل او بالفقر سرا اقول لا ادعي صدقا في تلبيس الحق ولا خير في مثل هذه الفعال بل ارى كذبا مجتازا ورياء صرفا ونظرا الى الناس حافظها دالماليس قال فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يخفي اظهار شهوته ونقصانه فالصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم له من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه على الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك تثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل فلا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات

الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر

شهوة الطعام فليأكل منها ولي له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة
وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها
فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك
اذا لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اذا قدمت
الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان
ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها
عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذه طريقة في عقوبة النفس على
هذه الشهوة الخفية اقول لا يشبه هذا الكلام كلام مولانا الصادق ع
بل هو بكلام الصوفية اشبه قال وبالجملة من ترك شهوة الطعام
ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان
شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام **القول في شهوة الفرج**
اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احداهما ان
يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت
لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم الام الجسد
فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك
الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه
الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود هذه فائدتها
ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر
ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق
اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل
اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول

اللهم

اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل
الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال
وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل عليه
ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوان فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه
ثم اتاه فقال السلام عليك فقال موسى من انت قال انا ابليس قال
فلا حياك الله ما جاء بك قال جئتك لاسلم عليك لمنزلتك
من الله ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال به اختطف
قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا
اعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة
لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه
دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به
ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم
يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء
بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم
وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس
ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة
بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح
وقال بعضهم ان الشيطان قال للمرأة انت نصف جندي وانت
سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي
في حاجتي فنصف جندي الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة
شهوة النساء وهذه الشهوة لها ايضا افراط وتفريط واعتدال
فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع بالنساء و
الجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى تجر الى

الى اقتحام الفواحش وقد ينتهى افراطها بطائفة الى امرين شنيعين
احدهما ان يتناولوا ما يقوى شهواتهم ليستكثروا من الوقاع
كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوى المعدة ليعظم شهوتها
للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلى بسباع ضارية وبهائم عادية
فتنام عنه فى بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم
يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على
التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب
الخلاص فان قلت فقد روى فى غرايب الحديث عن النبى صلعم
قال شكوت الى جبرئيل ضعف الوقاع فامرنى باكل الهريسة
فاعلم انه كان تحته تسع نسوة وجب عليه تحصينهن بالامتاع
وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا
للتنعم اقول هذا الحديث من طريق الخاصة هكذا شكوت الى
جبرئيل كثرة الانعاج فامرنى بالهريسة وهل هو اسقط السوال
قال والامر الثانى انه قد ينتهى هذه الشهوة ببعض الضلال والجهال
الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة فى
البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع
وهى اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منها حيث ما اتفق حتى
اعتقد ان الشهوة لا تنقضى الا من محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة
اين اتفق فتكتفى به وهذا لا يكتفى الا بواحد معين حتى يزداد
به ذلا الى ذله وعبودية الى عبوديته حتى يستسخر العقل لخدمة
الشهوة وقد خلق لكون مطاعا لا لكون خادما للشهوة وحيلة لا
لاجلها وانما العشق الا منبع افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ
لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر

والفكر

والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال
والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج
فان هذه الامور قد يستولى على طائفة بحيث ينقص عليهم الدين
والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق فى اول
انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله
وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال علاجها بعد استحكامها
مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ
بذنبها ويجرها وراءها وما اعظم التفاوت بين الامرين
فى العسر واليسر فليكن الاحتياط فى بدايات الامور فاما اواخرها
فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازى نزع الروح
فاذن افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم
جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو
ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل
والشرع فى انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع
وبالنكاح قال صلى الله عليه وآله وسلم معاشر الشبان عليكم بالباءة
فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء بيان
ما على المريد فى ترك التزويج وفعله اعلم ان للمريد فى ابتداء امره
لا ينبغى ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن
السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل
عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله فلا يقاس الملائكة
بالحدادين وكيف يقاس غير رسول الله به وكان استغراقه بحب الله تعالى
بحيث كان يخاف احتراقه فيه الى حد كان يخشى فى بعض الاحوال ان يسرى

ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا
ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور
طاقة قالبه عنه وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم طبعه الانس بالله
وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع
الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود
الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذه الامور
مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله ولذلك قال
ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رايت
مريدا تزوج فثبت على ما كان عليه وقيل له ما احوجك الى امراة
تستانس بها فقال ما آنسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله
وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم
فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم
تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم
الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ
العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن
الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ قلبه وتفرق همه وربما
وقع في بلية لا يطيقها اقول وقد مضى تحقيق هذه المباحث مفصلا
في كتاب آداب النكاح قال الحاجة الى النكاح في الابتداء اكثر منها
في الانتهاء فينبغي لمن اراد المعرفة ان يتزوج تزوجا لا يشغله عنها
كالمتعة ونحوها وزنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على
القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض
بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها
تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال داود لابنه عليهما السلام يا بني

امش

امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكريا عليه السلام
ما بدو الزنا قال النظرة والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي
القديمة وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظرة وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا
من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وآله
ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال عليه السلام اتقوا
فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء
وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الاية
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان
تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان
تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم ويتمنى
ويصدق ذلك كله الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام
مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال النبي صلى الله عليه وآله
احتجبا عنه فقلنا اوليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه افعمياوان
انتما وهذا يدل انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادة
في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة
مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة
الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه
عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به
فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول
الى استباحتها بالنكاح والنظر بالشهوة الى وجه الصبي حرام بل كل
من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين
الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين

الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة لا محالة
في قول قلت اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة
كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة
عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل
الى احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك
لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي
وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها ويدرك التفرقة بينها
وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل
النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك
تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن وبين الاثواب
المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا
مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون
وقال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب التائب من سبع
ضار يخرج عليه من غلام امرد يجلس اليه وعن بعض السلف قال
سيكون في هذه الامة ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف
يصافحون وصنف يعملون فاذن آفة النظر الى الاحداث عظيمة
فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر
شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم
غلبت علي شهوتي في بدء ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله
فرأيت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت
اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي
فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت
الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجد واضرب

عنقك

عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب
به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني
ذلك واشتد منه فرأيت شخصا في المنام يخاطبني فيما بين صدري
وجنبي ويقول ويحك كم تسأل الله رفع ما لا يحب رفعه تزوج
قال فتزوجت فانقطع عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا
ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في
ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام
بالحقوق الواجبة كما قد فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا
نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب
الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة
الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد
طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك
وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المرأة دون الرجل باربع والا استحقرته
بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال و
الادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح
الخلق الحسن تزوج بعض المريدين امرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت
المرأة وشكت الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله
منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء معي او قبلي اليه
وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق وكان يصبر عليها فقيل
له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتأذى
بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو له
اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان
ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك

غلته ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى كبراء اهل البصرة وعلمائها
في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها
بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تبارك وتعالى قد ملكني
من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس يمضي الليالي و
الايام حتى اتمها مائة الف درهم وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني
الى ما سالت فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان
الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن
فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك
ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا ميراثك وصم الدهر واجعل
فطرك الموت واما انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال الذي
خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذا
اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله
وقلبه فان وجده في العزوبة خاليا عن الشهوات بحيث لم يشوش
حاله فهو اقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدواء هذه الشهوة
ثلث الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم
تنفع هذه الثلثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا
كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن
المسيب ما ايس الشيطان من قلب ولي الا اتاه من قبل النساء وقال
سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه
وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن
ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما
جئته قال اين كنت فقلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا
اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت

امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثه
فقال انا فقلت وتفعل هذا قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلعم
وزوجني ابنته على درهمين او ثلثة قال فقمت
وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت اتفكر
ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي و
استرحت وكنت وحدي وكنت صائما فقدمت عشائي لافطر
وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا فقال سعيد
قال ففكرت في كل انسان اسمه سعيد بالمدينة الا سعيد بن
المسيب فانه لم ير منذ اربعين سنة الا بين داره والمسجد فقمت وخرجت
فاذا انا به فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد هلا ارسلت الي
فاتيتك قال لا انت احق ان تؤتى فقلت فما تامرني قال انك
كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان تبيت الليلة وحدك
وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها
في الباب ورد الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت و
الخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت
الجيران فجاءوني فقالوا ما شانك فقلت ويحكم زوجني سعيد بن
المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد
زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي
الخبر فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل
ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت ثلثة ايام ثم دخلت بها فاذا هي
من اجمل الناس واحفظ الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا
لا ياتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر اتيت سعيدا وهو في

في حلقته فسلمت عليه فرد السلام علي ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس
فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خيرا يا ابا محمد على ما يحب الصديق
ويكره العدو فقال ان رابك شي فالعصا فانصرفت الى منزلي
فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت
بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه
الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد
الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب
عليه جرة ماء بارد والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في
الزفاف في تلك الليلة تعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة
في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح بيان فضيلة من يخالف
شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات
على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها
قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن
مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمة
وليس في شي من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس
على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق
فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه
باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا
من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب
لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من عشق فعف فكتم فمات
فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سبعة يظلهم
الله يوم القيمة في ظله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجل دعته

امراة ذات

امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين
وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة
وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من
وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روى عبد الله
بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول انطلق
ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه
فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه
لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم
فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لي ابوان شيخان كبيران
وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا ولا مالا فنائ بي في طلب الشجر
يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين
فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او ولدا او مالا فلبثت والقدح في
يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون بين
قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء
وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيا
لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم انه كانت لي ابنة عم
وكانت من احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى
المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا
على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت
اتق الله يا عبد الله لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت
من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من احب الناس الي وتركت
الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت تعلم اني فعلت هذا ابتغاء
وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون

الخروج منها وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استاجرت اجراء واعطيتهم
اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى
كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اتق الله هات
اجرتي فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق
فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله
فاستاقه فلم يترك منه شيا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون فضل
فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن
من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسير
من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والافات كلها
تنشا منه فالنظرة الاولى اذا لم يقصدها لا يواخذ بها والمعاودة
يواخذ بها قال صلى الله عليه وآله وسلم الاولى عليك والثانية عليك
اي النظرة وقال العلا بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان
النظرة تجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في ترددا ته عن
وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع
المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة
عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن
الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ به و
يأثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما اليه فلا تخلو في كلتي حالتيه
عن معصيته وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق
اندفع عن قلبه كثير من الافات وان اخطا رت عينه وحفظ
الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق روي
عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه

فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها
فقالت له لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله
قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى
كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله
فقال ما لك فقال العطش قال تعال ندعو الله حتى تظلنا سحابة
حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت
فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية
فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له زعمت
انه ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا
سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره بالقصة فقال الرسول
ان التائب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد
بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد
ملازم للمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن
القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت
به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو
يريد المسجد فقالت يا فتى اسمع مني كلمة اكلمك بها ثم اصنع ما شئت
فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله
فقالت له يا فتى اسمع مني كلمة اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها
هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له
والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان
يشرف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا
الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم
معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شي يعيبه وجملة ما اكلمك به

ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى
الشاب الى منزله فاراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا
وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى
اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد
في المعصية ستره الله فاذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه
غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب
فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم
تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة
الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف
باصلاح غيري وان كان ما ذكرته حقا فاني ادلك على طبيب يداوي
الكلوم المرضية والاوجاع المومنة ذلك الله رب العالمين فاقصدي
على صدق المسألة وارجعي اليه فاني متشاغل عنك بقوله وانذرهم
يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من
حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
فاين المهرب عن هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له
على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت
يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل
وبكت بكاء شديدا وقالت اسال الله الذي بيده مفاتيح قلبك
ان يسهل علي ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة
احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ
نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت الجارية وبكت بكاء

شديدا من بكائها الاول ثم افاقت ومضت ولزمت بيتها واخذت
في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها
بعد موتها ثم يبكي عليها فقيل له مم بكاؤك وانت قد ايئستها
من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت
قطعها ذخيرة لي عند الله عز وجل وانا استحيي من الله ان استرد
ذخيرة ادخرتها عنده والحمد لله هذا آخر كتاب كسر

الشهوتين من ربع المهلكات من المحجة
البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه
ان شاء الله كتاب آفات اللسان
والحمد لله اولا و
آخرا

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله فاطلق بالحمد مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وبيان فصله ودين سبله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبره عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخي العنان سلك به

الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا ان يقيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفات الكلام فيما لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او جماد او الانسان ثم آفة الغناء والشعر ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين وغوائله ثم بيان ما رخص فيه من الكذب ثم بيان الحذر من الكذب بالمعاريض ثم بيان آفة الغيبة ثم بيان معنى الغيبة وحدها ثم بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان ثم بيان الاسباب الباعثة على الغيبة ثم بيان العلاج الذي

يمنع اللسان من الغيبة ثم بيان تحريم الغيبة بالقلب ثم بيان الاعذار
المرخصة في الغيبة ثم بيان كفارة الغيبة ثم افة النميمة وما
يجب في ردها ثم افة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين
ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم افة المدح ثم افة الغفلة عن
دقايق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته
ويرتبط بامور الدين ثم افة السؤال اعني سوال العوام عن صفات
الله وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وما يتعلق
بذلك وهي تمام الافات وجملتها عشرون افة **بيان** عظم خطر
اللسان وفضيلة الصمت اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره
الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى
الله عليه واله وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل
فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال
قلت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم اخبرني عن الاسلام
بامر لا اسئل عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت
فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت لرسول
الله صلى الله عليه واله وسلم ما النجاة قال املك عليك لسانك
وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه
ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه واله وسلم من وقي
شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب
الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث بها هلك اكثر الخلق
ولذلك اشتغلنا بذكر افات اللسان لما فرغنا من ذكر افة الشهوتين
البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن اكثر

ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما
يدخل الناس النار قال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون
المراد بالفم افة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن
لانه منفذه وقال معاذ قلت لرسول الله صلى الله عليه واله انؤاخذ بما
نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم
الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت لرسول الله صلى حدثني
بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم وقلت يا رسول الله
ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وقال انس بن مالك
قال رسول الله صلى الله عليه واله لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه
ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره
بوائقه وقال صلى الله عليه واله وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن
سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال
اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تستكفي اللسان اي تقول
اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا
وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي وهو يقول يا لسان قل
خيرا تغنم او اصمت تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن
اهذا شيء تقوله او شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى
يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله
من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه
ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال لرسول
الله صلى الله عليه واله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد
نفسك في الموتى وان شئت انباتك بما هو املك لك من هذا كله
واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى

الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من كان
يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقال الحسن ذكر
لنا ان النبي صلى قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال
سفيان قالوا لعيسى عليه السلم دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا
تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع على ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير
وقال سليمان بن داود عليهما السلم ان كان الكلام من فضة فالصمت
من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال
اطعم الجايع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان
لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه واله وسلم
اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال
صلى الله عليه واله وسلم ان الله تعالى عند لسان كل قائل فليتق الله
امرء علم ما يقول وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا رايتم المومن صموتا
وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال رسول الله صلى الله عليه واله
الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم
الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه
واله وسلم ان لسان المومن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره
بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم
بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلم العبادة
عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال
نبينا صلى الله عليه واله وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه
كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به اقول

اقول وروي في كتاب مصباح الشريعة عن مولانا الصادق عليه السلم انه
قال الصمت شعار المحققين بحقايق ما سبق وجف به القلم وهو
مفتاح كل راحة من الدنيا والاخرة وفيه رضاء الرب وتخفيف الحساب
والصون من الخطايا والزلل قد جعله الله سترا على الجاهل وزينا
للعالم ومعه عزل الهوى ورياضة النفس وحلاوة العبادة وزوال
قسوة القلب والعفاف والمروة والظرف فاغلق باب لسانك عما لك
منه بد لا سيما اذا لم تجد اهلا للكلام والمساعد في المذاكرة لله
وفي الله وكان الربيع بن خثيم يضع قرطاسا بين يديه فيكتب كل ما
يتكلم به ويحاسب نفسه عشية ما له وما عليه ويقول اوه نجا الصامتون
وبقينا وكان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
يضع حصاة في فمه فاذا اراد ان يتكلم بما علم انه لله وفي الله و
لوجه الله اخرجها فان كثيرا اصحابه كانوا يتنفسون تنفس الغرقاء
ويتكلمون شبه المرضى وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام
والصمت فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت
وفوايده فان ذلك من اخلاق الانبياء وشعار الاصفياء ومن
علم قدر الكلام احسن صحبة الصمت ومن اشرف على ما في لطايف
الصمت وائتمنه على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا
يطلع على عبادته هذه الا الملك الجبار وفي الكتاب المذكور عنه
عليه السلم ايضا انه قال الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفا
والكدر والعلم والجهل قال امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلم
المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة
فان كان لله وفي الله فتكلم به وان كان غير ذلك فالسكوت خير
منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم

قدرا عند الله من الكلام في رضاء الله ولو جهر ونشر الآية ونعمة
في عبادة الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله
معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير
الكلام وكذلك بين الرسل والامم ثبت بهذا انه افضل الوسايل
والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة
عند الله واشدها ملامة واعجلها اسامة عند الخلق منه واللسان
ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب وبه يكشف ما في سر الباطن و
عليه يحاسب الخلق يوم القيمة والكلام خمر يسكر العقول ما كان
منه لغير الله وليس شيء احق بطول السجن من اللسان قال بعض
الحكماء احفظ لسانك عن خبث الكلام وفي غيره لا تسكت ان
استطعت فاما السكينة فهو هيئة حسنة رفيعة من الله تعالى محبة
عند الله عز وجل لا هلها وهم امناء اسراره في ارضه

فصل

قال ابو حامد واما الاثار فقال طاوس لساني سبع ان اطلقته
اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة ال داود حق على العاقل ان
يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن
ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا
باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه وقال
بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن
صاحبه وقال محمد بن الواسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان
اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن
عبيد ما من احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في
ساير عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت

فقالوا

فقالوا مالك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم
ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك على ذم
الكلام ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا
اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمت بكلمة
ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت
للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع
انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر
لم يتكلم بعد العشاء الاخرة اربعين عاما وقيل ما تكلم الربيع بن
خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا
وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء

فصل

فان قلت
فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة افات اللسان
من الخطاء والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء
وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف و
الزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة فهذه افات كثيرة
وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب
وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر
على ان يزم اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك
من غوامض العلم كما سياتي تفصيله وفي الخوض خطر وفي الصمت سلامة
فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار
والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في
الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام
اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر و

منفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد
من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة والمنفعة لا تفي بالضرر
واما الذي لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع
زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط
ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به
ما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول
الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف
دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا
فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت
احاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من
الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله ونحن
الآن نعد آفات اللسان ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ
قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها
اطول وهي عشرون آفة **الآفة الاولى** الكلام فيما لا يعنيك
اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات
التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيرها وتتكلم
بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم
بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به تضيع زمانك و
تحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير
لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من
نفحات رحمة الله عند الفكرة ما يعظم جدواه اذ لو هللت الله و
سبحته وذكرته لكان خيرا لك من كلمة تبني بها قصرا في الجنة ومن قدر

على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدلها مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا
مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان
لم ياثم فقد خسر من حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فان المؤمن لا
يكون صمته الا فكرا ونظره الا اعتبارا ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى
ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل
ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد ووجد
على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا
لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك لعله كان
يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وآله
فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال
ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية
على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا
قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهنا الجنة لمن لا يحاسب
ومن يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنا له
الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن
كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اول من يدخل من
هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل رجل اسمه عبد الله بن سلام
فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله ص فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا
باوثق عملك في نفسك ترجو به ثوابا فقال اني لضعيف وان اوثق
ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر رضي الله عنه
قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على

على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله فقال هو الصمت وحسن
الخلق وترك ما لا يعنيك قال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس هن
احسن من الدُّرهم الموقفة لا تكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا امن
عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم
في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان
الحليم يقليك بصمته وان السفيه يوذيك عنطقه واذكر اخاك اذا تغيب
عنك بما تحب ان يذكرك به اذا غبت عنه واعفه مما تحب ان يعفيك
منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام
وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا
يعنيني وقال المورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر
عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال
اخر لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم
الا الامين ولا امين الا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتعلم من
فجوره ولا تطلعه على سرك استشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد
ما لا يعنيك ان تتكلم بما لو سكت منه لم تاثم ولم تتضرر في حال او
مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها
من جبال وانهار وما وقع لك من الوقايع وما استحسنته من الاطعمة
والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو
سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم تمتزج
بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة
الاحوال العظيمة ولا اغتياب الشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله
فانك مع ذلك كله مضيع زمانك فانى تسلم من الافات التي ذكرناها
ومن جملتها ان تسال غيرك عما لا يعنيك وانت بالسوال مضيع وقتك

وقد الجات ايضا صاحبك بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما
لا يتطرق الى السوال عنه افة واكثر الاسولة فيها افات فانك تسال
غيرك مثلا عن عبادته فتقول هل انت صايم فان قال نعم كان مظهرا
عبادته فيدخل عليه الريا وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان
عبادة السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان
كاذبا وان سكت كان محتقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة
الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسوال اما للريا
او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سوالك
عن ساير عباداته وكذلك سوالك عن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسوالك
عما يحدث به غيرك فتقول ماذا تقول وفيم انت وكذلك ترى
انسانا في الطريق فتقول من اين وربما يمنع مانع من ذكره فان ذكره
تاذى واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب وكذلك
تسال عن مسالة لا حاجة بك اليها والمسول ربما لا تسمح نفسه بان يقول
لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس
فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روى ان
لقمان عليه السلم دخل على داود عليه السلم وهو يسرد الدرع ولم يكن راها
قبل ذلك فجعل يتعجب مما راى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته الحكمة
فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسها فقال نعم الدرع
للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من
غير سوال فاستغنى عن السوال وقيل كان قد يتردد اليه سنة وهو
يريد ان يعلم ذلك ولم يسال عنه فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم
يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه
من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على

على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او
تزجية الوقت بحكايات احوال لا فايدة فيها وعلاج ذلك كله ان
يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله
وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه
خسران هذا علاجه من حيث العلم فاما علاجه من حيث العمل
فالعزلة او ان يضع في فيه حجرا او ان يلزم نفسه السكوت عن بعض
ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على
غير المعتزل شديد جدا **الآفة الثانية** فضول الكلام وهو ايضا مذموم
وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة
فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره
ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول
اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم كما سبق وان لم يكن فيه اثم
ولا ضرر قال عطا بن ابي رباح ان من كانوا قبلكم كانوا يكرهون
فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله
او سنة رسول الله عليه السلام او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او تنطق
لحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها وتقولون انكرون ان
عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي احدكم ان لو نشرت
عليه صحيفته التي املاها صدر نهاره وكان اكثر ما فيها ليس من
امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة انه قال ان الرجل ليكلمني بالكلام
لجوابه اشهى الي من الماء البارد على الظمآن فاترك جوابه خيفة
ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه
عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام

لا تنحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تبارك وتعالى لا خير في كثير
من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه
وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا
فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن
ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله في رهط من بني عامر فقالوا انت
والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا
وانت الجفنة الغراء وانت انت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم
الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق
فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود
انذركم فضول الكلام بحسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وعن مجاهد انه قال
ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول له سابتاع لك
كذا وكذا فيكتب عليه كذابا او قال فقد جاء من طريق الخاصة الاحض
بمثل هذه الكذبة قال وقال الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة
ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واكثر او اقل و
روي ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون
ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق رافعا راسه الى السماء
ثم نظر الى الناس وهز راسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من
الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين هم اسفل
منهم ما اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم
نظر فان كان له خيرا تكلم والا امسك والفاجر انما يرسل لسانه ارسالا
ارسالا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن
ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وآله

فاكثر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كم دون لسانك من باب فقال شفتاي
واسناني فقال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية اخرى انه
قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستغرق في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرًا
من فضل في لسانه وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه
الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن
ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع
وان وجد من يكفيه فلا يتكلم فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين
وزيادة ونقصان وراى ابو الدرداء امراة سليطة اللسان فقال لو كانت
هذه خرساء لكان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في خصلتين فضول
المال وفضول الكلام اي ما لا يعني فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله و
سببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني **الآفة الثالثة**
الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكايات احوال مخالطة النساء
ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم
المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه
فهذا حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى
ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا بد من ان يغلب عليه
الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو
كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل
لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار
على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات
ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة

وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب
الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال فكان علقمة يقول كم من كلام
قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم
خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين
وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال
سلمان ان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله
وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا
فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو
وراء ما سياتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض
في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في الوصول اليها من غير
حاجة دعت الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكايات
البدع والمذاهب الفاسدة فان الحديث في ذلك كله خوض
في الباطل **الآفة الرابعة** المراء والجدال وهو كذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وآله
لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وآله
ذروا المراء فانه لا يفهم حكمته ولا يؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وآله من ترك المراء
وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له
بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان اول ما عهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب
الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا
الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء
والجدل وان كان محقا وقال ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان

الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن
والصبر على المصائب واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو
صادق وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال
بلال بن ابي سعد اذا رايتم الرجل لجوجا ممارياً معجبا برايه فقد تمت
خسارته وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال ممارياً وقال
عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته
ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن
مهران مالك لا تفارق اخاك عن قلى فقال لاني لا اشاريه
ولا اماريه وما ورد في ذم الجدال والمراء كثير وقال صلى الله عليه وآله وسلم
تكفير كل مراء ركعتان وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير
باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم
وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان
حقا فصدق به وان كان باطلا لم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت
عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه
من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة العربية او من جهة النظم
والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة
وتارة يكون لطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار
خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه
كذا وكذا واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس
قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه
وهذا الجنس ان جرى في مسالة علمية ربما خص باسم الجدل وهو
ايضا مذموم بل الواجب السكوت عنه او السؤال في معرض الاستفادة
لا على صيغة العناد والنكارة والتلطف في التعريف لا في معرض الطعن

فاما

فاما المجادلة عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه من جهة
القدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان
يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروهة عند المجادل بل يحب
ان يكون هو المظهر له خطاه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه
ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت
واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العقل والفضل والتهجم على الغير
باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان اما اظهار
الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد
من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية
واما تنقيص الاخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق
غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان
مهلكتان وانما قوتهما بالمراء والجدال فالمواظب عليهما مقو لهذه
الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما
حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج
الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق
او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشاجر بين المتمارين
كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض
صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما
علاجه فبان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية
الباعثة له على تنقيص غيره كما سياتي ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب
ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرنا
ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر
الصبر عنه قيل لداود الطائي لم اثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي

بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت
ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من سمع من غيره
خطاء وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت
في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب
والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه
حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطاء محض بل ينبغي للانسان
ان يكف لسانه عن اهل القبلة فاذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على
خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انه حيلة منه في التلبيس
وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو
ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتاكد فاذا عرف ان النصح
لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه
قال هشام بن عروة كان عليه السلم يردد قوله هذا سبع مرات وكل
من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببها عزا
وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا
اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والريا وحب الجاه والتعزز بالفضل
واحاد هذه الصفات تشق مجاهدتها فكيف مجموعها **الافة الخامسة**
الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء
طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى
تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق
باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي
به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا

والمراء

والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق فقد قالت عائشة قال رسول الله ص
ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وآله من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله
حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال
ما خاصم قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله
بن ابي بكرة فقال ما يجلسك فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي
فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجازيك بها واني
والله ما رايت شيا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة
ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي
ما لك قلت لا اخاصمك ابدا قال عرفت انه حقي قلت لا ولكني اكرم
نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيا هو لك فان قلت اذا
كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه
مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان
هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بالحق
بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب
يتوكل في الخصومة من اي جانب هو فيخاصم من غير علم ويتناول
الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد
في الخصومة على قصد التسلط وعلى قصد الايذاء ويتناول الذي
يمزج بالخصومة كلمة موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار
الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم
وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من
يصرح به فيقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني اذا اخذت
منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج

وهو مذموم جدا واما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع
من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد
وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا
فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة
توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه
وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه
ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدأ بالخصومة
فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشوش خاطره حتى
انه في صلوته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب
فالخصومة مبدأ كل شر وكذلك الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح
بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب
عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في
خصومته سلم عن الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا
عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون
اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام
وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة
ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله
اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه
فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال رسول الله ص
يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى
وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله
فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت

عليه

عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في الجنة لغرفا يرى
ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم
الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير
فقال له مر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره
ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة الطيبة صدقة
وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقيل البر شيء
هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط
ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك
منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن
المستكنة في الجوارح وهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده
الخصومة والمراء واللجاج والجدال فانه الكلام المستنكر الموحش
المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر

الافة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة

التقعر

والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين
المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت
الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا والاتقياء من
امتي براء من التكلف وقال ص ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا
الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة عليها السلام قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون
الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا هلك المتنطعون ثلث مرات و
التنطع هو التعمق والاستقصاء وهذا ايضا من افات اللسان ويدخل
فيه ايضا كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك

تكلف السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغرة
الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا
صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
اسجعا كسجع الكهان فانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين
عليه وينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم
للغرض فما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا الجنس تحسين
الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان المقصود
منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها او بسطها ولرشاقة اللفظ
تاثير فيه فهو لائق به واما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات
فلا يليق بها التسجيع والتشدق والاشتغال به من التكلف
المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة
وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

الآفة السابعة

الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره
الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وآله اياكم والفحش
فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله ص عن ان يسب
قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم
شيء مما يقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش
ولا البذي وقال ص الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال ص
اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم
والجحيم ويدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال
له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد
كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال

وقال صلى الله عليه وآله يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء
وقال ص البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون
المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في
الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين
وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى
من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس
واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره
مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان
من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف و
البيان وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش
الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله ص
وابي امامي فقال ص ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام
في شيء وان احسن الناس اسلاما احسنهم اخلاقا فهذه مذمة الفحش
فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة الصريحة
ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد
عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون
عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون
ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حي كريم يعفو
ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمس واللمس والدخول والصحبة
كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح
ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة
في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة
البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات

يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والتغوط اولى من لفظ التغوط والخراة وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى فكل ما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او قيل من وراء الستر كذا او قالت ام الاولاد كذا والتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منه فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي تشكوه وما يجري مجراه فالتصريح في ذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من افات اللسان والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا من خلق الله قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من باس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال صلى الله عليه واله وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه واله سباب المومن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه واله وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه فقال يسب الرجل فيسب اباه فيسب الاخر اباه اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلم قال

قال خرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لعرض الخيل فمر بقبر ابي احيحة فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فوالله ان كان ليصد عن سبيل الله ويكذب رسول الله فقال خالد ابنه بل لعن الله ابا قحافة فوالله ما كان يقري الضيف ولا يقاتل العدو فلعن الله اهونهما على العشيرة فقدا فالقى رسول الله صلى الله عليه واله خطام راحلته على غاربها ثم قال اذا انتم تناولتم المشركين فعموا ولا تخصوا ثم وقف فعرضت عليه الخيل ثم ساق الحديث الى ان ذكر نفر لعنهم رسول الله صلى الله عليه واله وعد منهم ومن لعن ابويه قال فقال رجل يا رسول الله ايوجد رجل يلعن ابويه فقال نعم يلعن اباء الرجال وامهاتهم فيلعنون ابويه اقول ويدخل في قوله ومن يلعن ابويه ابو بكر بن ابي قحافة لعن ابا احيحة فلعن ابنه اباه ومعلوم انه من لعنه رسول الله صلى الله عليه واله لا يصلح لخلافة

الافة الثامنة اللعن اما الحيوان او الجماد او الانسان وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه واله وسلم المومن ليس بلعان وقال صلى الله عليه واله لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في بعض اسفاره اذ امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه واله خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة تمشي في الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وقال صلى الله عليه واله وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه واله على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه واله يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون

وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى
وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهي
الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين
وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا عظيما لانه
حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله
ويطلع عليه رسول الله اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن
ثلثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحدة ثلث مراتب
الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة
والفسقة والثاني اللعن باوصاف اخص منها كقولك لعنة الله على
اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج وعلى الزنادقة
والظلمة واكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اصناف المبتدعة
خطر لان معرفة البدعة غامضة وما لم يجي فيه لفظ ماثور فينبغي
ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا
بين الناس وفسادا واما الثالث اللعن على الشخص بعينه وهذا فيه نظر
كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل
فيه ان كل شخص ثبت لعنه شرعا فيجوز لعنه كقولك فرعون
لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا على
الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص في زماننا كقولك زيد لعنه الله
وهو يهودي فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله
فكيف يحكم بكونه ملعونا اقول قد ثبت عن اهل البيت عليهم السلم
جواز لعن المتامرين على امير المومنين عليه السلم ظلما وعدوانا والمتسمين
بخلفاء رسول الله زورا وبهتانا ومن والاهم على ذلك من اعوانهم
وانصارهم باشخاصهم واعيانهم وما ثبت عنهم عليهم السلم فقد ثبت عن

الله وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عندنا وعلى هذا فقد ثبت
جواز لعنهم لنا باشخاصهم على ما ذكره ابو حامد ثم اقول قد تكرر
ذكر اللعن في كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وكلام اهل البيت عليهم السلم على وجه افاد انه من جملة العبادات
المقربة الى الله سبحانه وانه يجوز ان ينسب الى الشخص المعين اذا
عرف بكفر او نفاق او فسق قال الله سبحانه اولئك عليهم لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين وهذا في معنى الامر وقال عز وجل اولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وجعله الله وسيلة الى اثبات دعوى
النبوة وحجة على الجاحدين في المباهلة لنصارى نجران حيث قال
سبحانه ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ولذلك انقطعوا
ولجاوا الى الصلح وبذل الجزية ولم يجدوا الى ترد اول القول سبيلا
وكذا اللعان بين الزوجين مسقط للحد عنهما وموجب لنفي الولد
بحيث لا ينسب الى الملاعن ابدا وربما اوجب الحد على المراة اذا
نكلت من غير شهود ولا بينة وقد روي ان النبي صلى الله عليه واله
قال لعن الله الكاذب ولو كان مازحا وقال في جواب ابي سفيان
حين هجاه بالف بيت اللهم اني لا احسن الشعر ولا ينبغي لي اللهم
العنه بكل حرف الف لعنة الى غير ذلك وقد لعن امير المومنين عليه السلم
جماعة وروي انه عليه السلم كان يقنت في الصلوة المفروضة بلعن معوية
وعمرو بن العاص وابي موسى وابي اعور السلمي مع انه عليه السلم اعلم
الناس عن ذنب واعظم قدرا من ان يخرج نفسه النفيسة ذلة
بشر فلولا انه كان يرى لعنهم من اقرب القربات لما كان يخير
محله في الصلوة المفروضات وقد روى العامة ان عائشة لعنت
عثمن ولعنها وخرجت تخضبني عليه الحكمة وقد روى اصحابنا ان امير المومنين عليه السلم

كان يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش يعني بهما ابا بكر وعمر
وقد روى الشيخ الطوسي ره في التهذيب ان الصادق عليه السلام كان
ينصرف من الصلاة بلعن اربعة رجال منهم ابو بكر وعمر ومن نظر
الى ما وقع للحسن عليه السلام مع معاوية واصحابه وكيف لعنهم وقد فهم
بالفحش على ما رواه العامة ويتتبع ما ورد من الآثار من ائمتنا
الطاهرين عليهم السلام في الكافي للكليني ره وغيره من كتب الحديث والادعية
في لعن من يستحق اللعن من رؤساء الضلال والتصريح باسماء
هؤلاء علم ان ذلك من شعب الدين وشعائره بحيث لا يخالجه
ولا يقربه مرية وفي الكافي عن ابي الحسن موسى عليه السلام انه قال لعن
الله ابا حنيفة كان يقول قال علي وقلت وفي رواية قالت الصحابة
وقلت واما حديث لا تكونوا لعانين فلعله نهي عن ان تكون
السب خلقا لهم بسبب المبالغة فيه او اكثاره بحيث يلعنون كل احد
كما يدل عليه قوله لعانين لا انه نهي عن لعن المستحقين والا لقال
لا تكونوا لاعنين فان بينهما فرقا يعلمه من احاط بدقائق لسان
العرب واما ما روي ان امير المؤمنين عليه السلام نهى عن لعن اهل
الشام فان صح فلعله عليه السلام كان يرجو اسلامهم ورجوعهم اليه
كما هو شان الرئيس المشفق على الرعية ولذلك قال ولكن قولوا
اللهم اصلح ذات بيننا وهذا اقرب من قوله تعالى في قصة فرعون
فقولا له قولا لينا فاما ما ذكره ابو حامد في هذا الباب من الكلام
في لعن يزيد لعنه الله فينبغي ان يطوى ولا يروى قال ولا يجوز
ان يرمى مسلم بفسق او كفر من غير تحقيق قال رسول الله صلى الله عليه وآله
لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم
يكن صاحبه كذلك وقال ص ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما

ان

ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا
معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها
كان مخطئا لا كافرا والتعرض للاموات اشد قال صلى الله عليه وآله
لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا ويقرب من اللعن
الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان لا صحح
الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر
ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضلة
يوم القيامة **الآفة التاسعة الغناء والشعر** وقد ذكرنا في كتاب
السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده اقول حاصل ما ذكره
هناك ما اورده في آخر ذلك الكتاب من ان السماع قد يكون
حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون مكروها
اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبتهم شهوة الدنيا
فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات
المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكن
يتخذه عادة له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو
لمن لا حظ له منه الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب فهو لمن
غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة
هذا كلامه وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالى فاجتنبوا
الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور قال هو الغناء وعنه عليه السلام
في قوله عز وجل والذين لا يشهدون الزور قال هو الغناء وعنه
عليه السلام قال الغناء عش النفاق وعن الباقر عليه السلام الغناء مما وعد
الله عز وجل عليه النار وتلا هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو
الحديث ليضل عن سبيل الله وعنه عليه السلام اذا ميز الله بين الحق والباطل

فاين يكون الغنا وفي التهذيب عن الصادق عليه السلام انه سئل عن بيع الجواري
المغنيات قال شراؤهن وبيعهن حرام وتعليمهن كفر واستماعهن نفاق
وعنه عليه السلام المغنية ملعونة ملعون من اكل كسبها وعنه عليه السلام اجر المغنية التي
تزف العرائس ليس به باس ليست بالتي يدخل عليها الرجال وعن
الباقر عليه السلام انه سئل عن كسب المغنيات فقال التي يدخل عليها الرجال
حرام والتي تدعى الى الاعراس ليس به باس وهو قول الله عز وجل ومن
الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وفي كتاب من لا يحضره
الفقيه سأل رجل علي بن الحسين عليهما السلام عن شراء جارية لها صوت فقال ما عليك
لو اشتريتها فذكرتك الجنة يعني بقراءة القرآن والزهد والفضائل التي
ليست بغناء فاما الغناء فمحظور انتهى وفي الكافي عن الباقر عليه السلام
قال رجع بالقرآن صوتك فان الله تعالى يحب الصوت الحسن يرجع به ترجيعا
وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرؤا
القرآن بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكبائر
فانه سيجيء بعدي اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح و
الرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم
وقد ذكرنا في كتاب آداب تلاوة القرآن من ربع العبادات اخبارا اخر
في هذا الباب ويستفاد من مجموعها اختصاص حرمة الغنا وما يتعلق
به من الاستماع والاجر والتعليم وغيرها بما كان على النحو المتعارف في
زمن بني امية وبني العباس من دخول الرجال عليهن وتكلمهن
بالاباطيل ولعبهن بالملاهي والعيدان والقضيب واما ما سوى ذلك
فاما مندوب اليه كالترجيع بالقرآن وما يكون منه وسيلة الى ذكر الله
والدار الآخرة واما مباح او مكروه كما ذكرهما ابو حامد ولا يبعد
ان يختلف الحكم في بعض افراده بالاضافة الى تفاوت درجات الناس

فانه

فانه لا يليق بذوي المروات ما يليق بمن دونهم قال ابو حامد واما الشعر
فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وآله
لان يمتلي بطن احدكم قيحا ودما حتى يراه خير له من ان يمتلي شعرا
وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان
ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن
فيه كلام يكره قال صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر لحكمة نعم
مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخلها الكذب وقد امر
رسول الله صلى الله عليه وآله حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا
فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن في
كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله فان هذه عبارة عن الوصف
بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة
من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشد بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشعار منها لو تتبعت لوجد
فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخصف
نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر
الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك
يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير الهذلي لعلم
انك احق بشعره قال وما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول
شعر ومبرأ من كل غبر حيضة ٭ وفساد مرضعة وداء معضل ٭ واذا نظرت
الى اسرة وجهه ٭ برقت كبرق العارض المتهلل ٭ قالت فوضع رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان بيده وقام الي فقبل ما بين عيني
قال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك اليوم ولما

قسم الغنايم امر للعباس بن مرداس باربع قلايص من الابل فانبعث
العباس فشكوه شعراله وفي اخره وما كان بدر ولا حابس يفوقان
مرداس في المجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
وقد كنت في الحرب ذا تدرء ولم اعط شيا ولم امنع فقال صلى الله عليه واله
اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار ماة من الابل ثم
رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه واله اتقول الشعر فجعل
يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد الشعر دبيبا على لساني
مثل دبيب النملة ثم يقرصني كما تقرض النمل فلا اجد بدا من ان اقول
فتبسم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقال لا تدع العرب الشعر
حتى يدع الابل الحنين اقول لم يتبين ابو حامد معنى الشعر
وانه على اي كلام يطلق كما كان يبين نظايره من الافات فاعلم ان
الشعر يطلق على معنيين احدهما الكلام الموزون المقفى سواء كان
حقا او باطلا وعلى حقه يحمل حديث ان من الشعر لحكم وحديث
ان لله كنوزا تحت عرشه مفاتيحه في السنة الشعراء وكذا كل ما ورد
في مدح الشعر ونفي الباس عنه كما سنذكره فان المراد منه ما كان
حقا من الموزون المقفى ليس فيه لهو وكذب والمعنى الثاني
الكلام المشتمل على التخيلات الكاذبة والتموهات المزخرفة
التي لا اصل لها ولا حقيقة سواء كان لها وزن وقافية ام لا و
عليه يحمل ما ورد في ذمه وهو المراد من قول قريش حيث نسبوا القران
الى الشعر وقالوا للنبي صلى الله عليه واله انه شاعر فان القران ليس بموزون
ومن هذا القبيل مجادلات المتكلمين في المذاهب وشبهاتهم المزخرفة
المضلة قال الباقر عليه السلم في قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون هل رايت
شاعرا يتبعه احد انما هم قوم تفقهوا لغير الله فضلوا واضلوا وقال الصادق عليه السلم

هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال بعض علمائنا طاب
ثراهم انها نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا امر الله عز وجل هل
رايت شاعرا قط يتبعه احد وانما عنى بذلك الذين وضعوا دينا بارائهم
فيتبعهم الناس على ذلك قال الم تر انهم في كل واد يهيمون يعني
يناظرون بالاباطيل ويجادلون بالحجج المضلين وفي كل مذهب
يذهبون يعني بهم المغيرين دين الله وانهم يقولون ما لا يفعلون
يعني يعظون الناس ولا يتعظون وينهون عن المنكر ولا ينتهون
ويامرون بالمعروف ولا يعملون قال وهم الذين غصبوا ال محمد
حقهم فاما ما ورد في مدح الشعر بالمعنى الاول ما كان منه حقا
من طرق الخاصة فمنه ما رواه الصدوق قدس سره في كتاب عيون اخبار
الرضا عليه السلم باسناد حسن عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال
قال ابو عبد الله عليه السلم من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتا في
الجنة وباسناده عنه عليه السلم قال ما قال فينا قايل بيت شعر حتى
يؤيد بروح القدس وباسناده عن الحسن بن الجهم قال سمعت الرضا
عليه السلم يقول ما قال فينا مؤمن شعرا يمدحنا به الا بنى الله له مدينة
في الجنة اوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب و
كل نبي مرسل وباسناده عن امير المؤمنين عليه السلم انه ساله رجل عن
اول من قال الشعر فقال ادم قال وما كان شعره قال لما انزل الى
الارض من السماء فراى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هابيل
فقال عليه السلم تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل
ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح الحديث وفي التهذيب
باسناده عن خلف بن حماد عن الرضا عليه السلم قال قلت ان اصحابنا
يروون عن ابائك عليهم السلم ان الشعر ليلة الجمعة ويوم الجمعة وفي

شهر رمضان وفي الليل مكروه وقد هممت ان ارثي ابا الحسن عليه السلام
وهذا شهر رمضان فقال رث ابا الحسن عليه السلام في ليلة الجمعة وفي شهر
رمضان وفي الليل وفي ساير الايام فان الله عز وجل يكافيك على ذلك
وفي الصحيح عن علي بن يقطين عن الكاظم عليه السلام قال سالته عن انشاد
الشعر في الطواف فقال ما كان من الشعر لا باس به فلا باس به وفي
الصحيح عن علي بن جعفر عن اخيه الكاظم عليه السلام قال سالته عن
الشعر ايصلح ان ينشد في المسجد فقال لا باس واما ما ورد في ذم الشعر
بالمعنى الاول ما كان منه باطلا فمنه ما رواه جعفر بن ابرهيم في
الصحيح عن زين العابدين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
انه قال من سمعتموه ينشد الشعر في المسجد فقولوا فض الله فاك انما
نصبت المساجد للقران فانه محمول على الشعر الباطل وكذا ما رواه سماعة
في الموثق قال سالته عن نشد الشعر هل ينقض الوضوء او ظلم الرجل
صاحبه او الكذب فقال نعم الا ان يكون شعرا يصدق او يكون يسيرا
من الشعر الابيات الثلثة والاربعة فاما ان يكثر من الشعر الباطل
فهو ينقض الوضوء والمراد نقصان ثواب الوضوء به واستحباب
اعادته لا وجوب ذلك واما ما رواه حماد بن عثمان وغيره في الصحيح
عن الصادق عليه السلام قال لا ينشد الشعر بليل ولا ينشد في شهر رمضان
بليل ولا نهار فقال له اسمعيل يا ابتاه وان كان فينا قال وان كان
فينا وما رواه حماد ايضا في الصحيح عنه عليه السلام قال يكره رواية الشعر
للصايم والمحرم وفي الحرم وفي يوم الجمعة وان يروى بالليل قال قلت
وان كان شعر حق قال وان كان شعر حق فمحمول على الموزون المشتمل
على التخيلات المزخرفة الكاذبة وذلك لان كون موضوعه حقا كحكمة
او موعظة او كونه فيهم عليهم السلام لا يخرجه عن المبالغات الشعرية الكاذبة

ليلة الجمعة

فان

فان لم يكن مشتملا على شي منها فلا باس بالوزن **الآفة العاشرة المزاح**
واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة
ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا واما المزاح
فطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم نهي عنه فاعلم ان المنهي عنه
الافراط فيه والمداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب
والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموما واما الافراط
فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب ويورث الضغينة
في بعض الاحوال ويسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور
فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني
لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا
حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس
كيف كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل
ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال
بعضهم من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من
شي عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن
قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل
على الغفلة من الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو
علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي
هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج
منها فقال لا فقال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكا حتى مات و
نظر بعضهم الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر
لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين

وقال اخر لنفسه اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي فهذه
افات الضحك فالمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي
لا ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم وقال هشيم بن معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قلوص
له صعب فلم فجعل كلما دنى الى النبي صلى الله عليه واله وسلم ليسلم نفر به
وجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يضحكون به ففعل ذلك
ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه
قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملاء من دمه واما اذا ادى
المزاح الى اسقاط الوقار فقد قيل من مزح استخف به وقال بعضهم
لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ
عليك وقال اخر اياكم والممازحة فانها تورث الضغينة وتجر
القطيعة تحدثوا بالقران وتخالطوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن
من احاديث الرجال وقيل اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا
قال لانه زاح عن الحق ويقال لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح
ويقال المزاح مسلبة للبهاء ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد
نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان
قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ان يمزح ولا يقول الا حقا
ولا يؤذي قلبا ولا يفرط فيه ويقتصر عليه احيانا وعلى الندور
فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان
المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو خطاء اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن
المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا

نعم

نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال
اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطا ان رجلا سال ابن
عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمزح قال نعم
فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه صلى الله عليه واله
كسى ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي
الله وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبي
كان من افكه الناس وروي انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت
عجوز الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم انه لا تدخل الجنة
عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن
انشاء فجعلناهن ابكارا عربا وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال
لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقالت ان زوجي
يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت لا والله
ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا قالت لا والله فقال صلى الله عليه
واله وسلم ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة
وجاءته امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال صلى الله عليه وآله وسلم
نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
هل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به وروى علقمة عن ابي سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يدلع لسانه للحسين بن علي
عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له قال عيينة بن بدر الفزاري
والله ليكونن لي الابن رجلا وقد خرج وجهه وما قبلته قط فقال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان من لم يرحم لم يرحم فاكثر هذه
المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه واله وسلم

لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما
اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله ص قال بعض الرواة حتى نظرت
الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني
كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا ابا
عبد الله ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال
فمضى رسول الله ص لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك
الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك
اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت
المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت
الصلوة فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله
اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت
اتفرر منه حتى لقيني وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد
فقال لي يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال قلت والذي
بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم
اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري
رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه
قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال النبي ص لا تفعل فانه
يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا
اشترى منها ثم جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول
هذه اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به
الى النبي ص وقال يا رسول الله اعط ثمن متاعه فيقول رسول الله ص
اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي ثمنه واحببت

ان

ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويامر لصاحبه بثمنه
فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة
عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب الآفة الحادية عشر
السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار
والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقايص على وجه يضحك منه وقد
يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة
والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى
الغيبة قالت عايشة حكيت انسانا فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما احب
اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم
بالاستهزاء بالمومن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان
الضحك على الناس من الجرايم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه
سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة
وقال علام يضحك احدكم مما يفعل مثله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم
فيجي بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم
هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه فما يزال كذلك حتى
ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن
جبل قال رسول الله ص من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت
حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة
به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم
اي لا تستحقره استصغارا ولعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من

لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما
اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله صلعم قال بعض الرواة حتى نظرت
الى نواجذه وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بنى
كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا ابا
عبد الله ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود قال
فمضى رسول الله صلعم لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك
الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك
اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت
المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلى في المسجد فجلس الى فطولت
الصلوة فقال لا تطول فانى انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله
اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت
اتفرر منه حتى لقيته وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد
فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال قلت والذى
بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم
اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصارى
رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم
فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه
قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال النبى صلعم لا تفعل فانه
يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا
اشترى منها ثم جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول
هذه اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به
الى النبى صلعم وقال يا رسول الله اعط ثمن متاعه فيقول رسول الله صلعم
او لم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندى ثمنه واحببت

ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويامر لصاحبه بثمنه
فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام ...

منتخب من قصيدة انشدها الصاحب شمس الدين محمد الجوينى فى السجن

مَن يُبلغنَّ حماماتٍ ببطحاء — ممتعاتٍ بسلسالٍ وخضراءِ
كُلٌّ مع الالفِ فى رضراض ساقيةٍ — كلٌّ مع الزوج فى ضحضاح غناءِ
كلٌّ تراودُ من غلبٍ الى غدبٍ — كلٌّ تحلّى بشمان ونعماءِ
كلٌّ تطير بوحف الريش ناعمِه — وبيضها مودعٌ احماد وعشاءِ
سلامُ ماخذٍ فى قعر كسرتِ — جناحها الهيث فى جح ظلماءِ
بينا بقاعهم تلهو وفاغية — وتحتسى صفو انهارٍ وانهاءِ
ورانها افرخ حمرٌ حواصلها — كلا الى شجرٍ تاوى ولا ماءِ
تظلّ تدمع كالمطر وفحيث رات — تذوب منها على اطراف طرفاءِ
اذا تنفّس فى غبرائر ظهرت — من صفراء شعلة فى وجه خضراءِ

اى لم يسخر به استضعافا ولعله خيرٌ منك وهذا انما يجرى فى حق من

يتأذى فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كان السخرية به من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يحمد والمعنى المحرم منها استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجري بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا بعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها والمذموم امثالها **الآفة الثانية عشر افشاء السر** وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده **الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب** فان اللسان سباق الى الوعد ثم ان النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وآله وسلم العدة دين وقال صلى الله عليه وآله وسلم العدة عطية وقال الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل صلوات الله عليه فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره اقول وفي طريق الخاصة عن الصادق عليه السلام انما سمي اسمعيل صادق الوعد لانه وعد رجلا في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسماه الله صادق الوعد ثم ان الرجل اتاه بعد ذلك فقال له اسمعيل ما زلت منتظرا لك

قال

قال ابو حامد وعن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فواعدته ان اتيه في مكانه ذلك فنسيته يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء فاما من عزم على الوفاء ثم عن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز ايضا من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحدة فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تطلب منه خادما وهي تقول الا ترى اثر الرحى بيدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي

الهيثم فآثره بها على فاطمة لما سبق من وعده له مع انها كانت تدير الرحا
بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
جالسا يقسم غنايم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس
فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم
ما شئت فقال احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه
هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف
كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان
تردني شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم
به حتى جعل مثلا يقولون اشح من صاحب الثمانين والراعي وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته
ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد
فلا اثم عليه اقول قد سبق جواز خلف وعد النساء والصبيان
اذا وعدها في تطيب نفوسهن **الآفة الرابعة عشر الكذب في القول
واليمين** وهو من قبايح الذنوب وفواحش العيوب قال صلى الله عليه
وآله وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق
وانت له فيه كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا
ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجلين متبايعان شاة ويتحالفان
يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله
لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال
اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان التجار هم الفجار
فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع فقال نعم ولكنهم يحلفون

فيأثمون

فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلثة نفر لا
يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم المنان بعطيته
والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وآله
ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة
في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ثلثة يحبهم الله تعالى رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل
او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه
فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع
قوم في سفر او سرية فطال بهم السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض
فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشناهم الله
التاجر او البايع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه
ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال
صلى الله عليه وآله وسلم رأيت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه
فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيد القايم كلوب
من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه
فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت
للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى
يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وآله
فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا رسول
الله هل يكذب المؤمن فقال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال
ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويقول
اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الزنا ولساني من

الكذب فقال صلى الله عليه واله وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم
القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل
مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال
اعطك فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وما اردت ان تعطيه
فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعل كتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه
واله وسلم لو افاء الله تعالى على نعما عدد هذه الحصى لقسمتها بينكم ثم
لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه واله وسلم وكان
متكيا الا اخبركم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم
قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه واله
ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به
وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة فقالوا
وما هن يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد
فلا يخلف واذا اؤتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم و
احفظوا فروجكم وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ان للشيطان
كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب
واما كحله فالنوم وقال صلى الله عليه واله وسلم من حدث بحديث
وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه واله وسلم
من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي
الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان ويروى ان النبي صلى الله عليه واله
رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه واله وسلم على
كل خطلة يطبع او يطوى عنها المؤمن الا الخيانة والكذب
وقالت عائشة ما كان خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله

من

من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يطلع على الرجل
من اصحابه على الكذب فما ينحل ذلك من صدره حتى يعلم انه قد احدث
لله عز وجل منها توبة وقال موسى صلوات الله عليه يا رب اي عبادك
خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال
لقمان لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما
قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه واله وسلم في مدح الصدق
اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث و
حفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال معاذ قال لي رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم اني اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث و
اداء الامانة ووفاء العهد وبذل الطعام وخفض الجناح وقال علي
عليه السلم اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة
يوم القيمة وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب
الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا
قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال ابن السماك ما
ارى اني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة

بيان ما رخص فيه من الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما
فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد
المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به
ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك
الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا كما لو كان في
الصدق قتل نفس بغير حق فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد
فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا
فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق

فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان
تحصيل المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في
الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما
كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب
المجني عليه الا بالكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه
ما يمكن لانه اذا فتح على نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى
عنه والى ما لا يقتصر فيه على حد الواجب ومقدار الضرورة فكان الكذب
حراما في الاصل الا لضرورة فالذي يدل على الاستثناء ما روي عن
ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يرخص
في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل
يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها
وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليس بكذاب من
اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل
كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين
من اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم كلام حتى تصادما فلقيت احدهما
فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن الثناء عليك ولقيت الاخر
فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت
بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال يا ابا كاهل
اصلح بين الناس ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي ص
اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا
جناح عليك وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله ص
ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب

مكتوب

مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة
او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها وقال
علي عليه السلام اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلان
اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم
فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها
اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله
عن ماله فله ان ينكره او ياخذه السلطان فيساله عن فاحشة بينه وبين
الله ارتكبها فله ان ينكرها فيقول ما زنيت ولا شربت قال رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات
فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ
دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا
واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح
بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة
انها احب اليه او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه
فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان بالكذب وكان
لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب او زيادة تودد فلا باس به ولكن
الحد فيه ان الكذب محظور ولو صدق في هذه المواضع
تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن
بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق
اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك
المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل
الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى
لان الكذب مباح بضرورة او حاجة مهمة فاذا شك في كون

الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب
المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك
مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب
فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز المسامحة بحق الغير والاضرار
به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات
المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي
عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك
حرام قالت اسماء سمعت امراة سالت رسول الله صلى الله عليه وآله
قالت ان لي ضرة وانا اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك
فهل علي فيه شيء فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال
لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم
القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية الحديث
الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك
يستنكف من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء
الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او
وعيد او تخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان
ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب
عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح لقصد
الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له
حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح
فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد
ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق

اولا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز
تركه كما يؤدي الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن
ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد
في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض اذ قال
صلى الله عليه وآله وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة ههنا اذ في الصدق مندوحة
عن الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول
القايل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعها وما هو جديد
على الاسماع فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض
التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم
خير هذا الشر اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من الكباير التي لا يقاومها شيء **بيان** الحذر من الكذب بالمعاريض
قد نقل عن السلف ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب قال ابن عباس
وغيره اما في المعاريض ما يغني الرجل عن الكذب وانما ارادوا من
ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة
فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال
المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض
فقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال
ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله
ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف النفي عند
المستمع وعنده للابهام وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري
لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق

له ذلك وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي له
اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس ههنا لئلا يكون كاذبا وكان
الشعبي اذا طلبه في البيت وهو يكرهه فخط دائرة ويقول للجارية
ليس ههنا لئلا يكون كا ضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا
كله في موضع الحاجة واما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم
للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي
عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت
وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المومنين فكنت
اقول جزى الله امير المومنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك
والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن
كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل فلا فائدة فيه
نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح
كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك
بياض ونحملك على ولد البعير فاما الكذب الصريح فكما يعتاده
الناس من ملاعبة الحمقاء بتغريرهم اياه بان امراة قد رغبت
في تزويجك فان كان فيه ضرر يودي الى ايذاء قلب فهو حرام وان
يكن لا لمطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك
من درجة ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستكمل المرء
الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب
في مزاحه واما قوله صلى الله عليه وآله ان الرجل ليتكلم بالكلمة
يضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه
غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي
لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك

كذا

كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يراد بها تفهيم المرات بعددها
بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا
وان طلب مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ
مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر
الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل
الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم
يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت
صاحبة عائشة التي هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه
ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من
لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا
تردي يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذي منه قالت
فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن
لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله
ان قالت احدانا لشيء نشتهيه لا نشتهيه ايعد ذلك كذبا قال
ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل
الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث
بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص
خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول
الطبيب وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه
من مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره
فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن
خثيم عائدة الى بني لي فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس
الربيع فقال ارضعته فقالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي

فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلم قال عيسى صلوات الله عليه
ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم
لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى
غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم يريا او يقول علي ما لم اقل وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كذب في حلمه كلف يوم القيمة
ان يعقد بين شعيرتين **الآفة الخامسة عشر الغيبة** والنظر فيها
طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع
وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم
الميتة فقال ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله كل
المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض
وقد جمع بينه وبين الدم والمال وقال صلى الله عليه وآله لا تحاسدوا
ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا
وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل قد يزني فيتوب
فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه
وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة
اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافرهم فقلت يا جبرئيل
من هؤلاء قال هم الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم
وقال سليمان بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو
ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى اخاك ببشر حسن

واذا ادبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم
يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع
عورة اخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو
في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا
من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول
من يدخل النار وقال انس امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس
بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس
حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت
صائما فأذن لي لافطر فيأذن له ثم الرجل ثم الرجل حتى جاء رجل
فقال يا رسول الله فتاتان من اهلي ظلتا صائمتين وانهما تستحييان
ان تاتياك فأذن لهما فلتفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه
ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم
ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا
فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة
من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وآله فاخبره فقال والذي نفسي
نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما
اعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد
ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ائتوني
بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحدهما قيئي فقاءت من
قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت
كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله وافطرتا على
ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم

لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه واله فذكر الربا وعظم
شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة
من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل واربى الربا عرض الرجل المسلم
وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في مسير فاتى على قبرين
يعذب صاحباهما فقال اما انهما ليعذبان في كبيرة اما احدهما فكان
يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يتنزه من بوله او قال يمشي بالنميمة
ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرها ثم امر بكل كسرة فغرست على
قبرهما فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم اما انه يهون من عذابهما ما كانتا
رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه واله ماعزا في
الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله
عليه واله وسلم معهما في طريقه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله
ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وسمع علي بن
الحسين عليهما السلام رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب
النار وعن مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة قال الهمزة الطعان
في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وكان الصحابة يتلاقون
بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون
خلافه عادة المنافقين وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون
العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس
وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك
وقال بعضهم يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في
عين نفسه وقال اخر يا ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى
لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا بصلاح ذلك العيب
فتصلحه من نفسك واذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك

واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى بن مريم
عليهما السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح
هذا الكلب فقال عيسى ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة
الكلب ونبههم على انه لا يذكر شيء من خلق الله الا احسنه اقول قال
بعض علمائنا انه ليس المقتضي لما قاله عيسى عليه السلام كون كلام الحواريين
غيبة بل الوجه فيه ان نتن الجيفة ونحوه مما لا يلايم الطباع غير
مستند الى فعل من يحسن انكار فعله وكلام الحواريين ظاهره الانكار
كما لا يخفى وكان عيسى عليه السلام نظر الى ان الامور الملايمة وغيرها
مما هو من هذا القبيل كلها من فضل الله تعالى على مقتضى حكمته وقد
امر بالشكر على الاولى والصبر على الثانية وفي اظهار الحواريين لانكار
نتن الرائحة دلالة على عدم الصبر او الغفلة عن حقيقة الامر ففهم
عنه الى امر ملايم طباعهم وهو شدة بياض اسنان الكلب وجعله
مقابلا للامر الذي لا يلايم وشاغلا لهم عنه وهذا معنى لطيف يتبين
لي من الكلام ومن طريق الخاصة ما رواه الصدوق رحمه الله باسناده الى
النبي صلى الله عليه واله وسلم قال من مشى في غيبة اخيه وكشف
عورته كانت اول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف الله عورته
على رؤس الخلايق ومن اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه فان
مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وعن ابي عبد الله
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الغيبة اسرع
في دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه قال وقال رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم الجلوس في المسجد انتظارا للصلوة عبادة ما لم يحدث فقيل يا رسول
الله وما الحدث قال الاغتياب روى ابن ابي عمير عن ابي عبد الله عليه السلام
قال من قال في مؤمن ما راته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال

الله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم
عذاب اليم وعن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد الله عليه السلام من روى
على مومن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط عن اعين
الناس اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان
وعن الصادق عليه السلم قال الغيبة حرام على كل مسلم وانها لتاكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب بيان معنى الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة
ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في
نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى
في ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع
والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به
مما يكرهه واما النسب فان يقول ان اباه نبطي او هندي او فاسق
او خسيس او اسكاف او زبال او جزاد او شي مما يكرهه كيف كان
واما الخلق فبان يقول انه سيئ الخلق بخيل متكبر مرائي شديد الغضب
جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله
المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب وشارب خمر وخاين وظالم
ومتهاون بالصلوة وبالزكوة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز
عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا
يحسن قسمها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض
الناس واما فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل الادب متهاون
بالناس ولا يرى لاحد على نفسه حقا ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام
كثير الاكل وانه نوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما
في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب كبير العمامة وقد قال
قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه

يجوز بدليل ما روي انه ذكرت لرسول الله صلى الله عليه واله امراة وكثرة
صومها وصلوتها ولكنها توذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت
امراة اخرى بانها بخيلة فقال عليه السلام فما خيرها اذن وهذا فاسد
لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسوال
ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه
فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت فيه مغتاب عاص
لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه واله وسلم
قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك
بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما
تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر
رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقالوا ما اعجزه فقال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله
قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عايشة
انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم
اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير بالسوء ثلثة اقسام الغيبة والبهتان
والافك في كتاب الله تعالى الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه
والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل
الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين
ابرهيم فقال النخعي ولم يقل الاعور وقالت عايشة لا يغتابن منكن
احد احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه واله وسلم
ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم

اقول هذه الاخبار العامية لا تصلح لاثبات حكم شرعي ولا سيما مع وجود الداعي لهم الى اختلاف مثلها فان كثرة عيوب ائمتهم ونقايص رؤسائهم يحوج الى استدراك اظهارها بكل وجه ليروج حالهم ويامنوا نفرة الرعية عنهم وكما ان في التعرض لاظهار عيوب الناس خطرا ومحذورا فكذا في حسم مادته وسد بابه فانه تقوية لاهل النقايص ومرتكبي المعاصي على ما هم عليه كذا قال بعض علمائنا وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام صفة الغيبة ان تذكر احدا بما ليس هو عند الله عيب ويذم ما يحمده اهل العلم فيه واما الخوض في ذكر غايب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله واما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو ماخوذ بفساد مراده وان كان صوابا وعنه عليه السلام الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا وفي خبر اخر هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد وخص بعض علمائنا تحريم الغيبة بمن يعتقد الحق لان ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال لان الحكم فيها منوط بالمؤمنين او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عايشة

ودخلت

ودخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي انها قصيرة فقال صلى الله عليه وآله وسلم قد اغتبتها ومن ذلك المحاكاة بان تمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم بها عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صنعة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون لجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الريا والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين

المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا
بالعبادات من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك
عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض
الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغى الى المغتاب
ويعلم بما يقول فيذكر الله ويستعمل اسمه الله له في تحقيق خبثه
وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول لقد
ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الاستخفاف فنسال الله
ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء
له بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوة او عقيب صلوة ولو كان
يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين
قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر
الدعاء والله تعالى مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله
لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا
ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر
التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيه فكانه يستخرج
الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت ما علمت انه كذلك ما عرفته
الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه
فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق للغيبة غيبة بل الساكت
شريك القائل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستمع احد
المغتابين وقد روى عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان
فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لياكلا
مع الخبز فقال رسول الله قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه فقال بلى بما
اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر

المستمع

المستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما لصاحبه اقعص الرجل كما يقعص
الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة
الا بان ينكر بلسانه وان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام
بكلام آخر فلم يفعله لزمه الاثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشتهى
لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرج عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا
يكفي ان يشير باليد اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار
للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة
على رؤس الخلايق وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم
القيمة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان
يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار
كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة
ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل
الدين والخاصة اما الثمانية **الاول** تشفي الغيظ وذلك اذا جرى
سبب يغضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى الغيظ بذكر مساويه فيسبق
اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثمة دين وازع وقد يمتنع عن تشفي
الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا ويكون
سببا دائما للذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على
الغيبة   موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام
فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر وقطع المجلس
استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن

انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي فيهلك معهم **الثالث** ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما هو فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله **الخامس** ارادة التصنع والمباهات وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقرين الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب **الثامن** السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري ايضا في الغيبة ومنشاؤه التكبر

واستصغار المستهزئ به واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان الشر به **الاول** ان يبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطاء في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد اغمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا التعجب ولكنه ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدري والترحم والغم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل بذلك ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا راه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهر على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطاء بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي روي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حيوة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فسلم عليهم فردوا السلم عليه فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال اهل

المجلس والله لبئس ما قلت حاشا لبنية قم يا فلان لرجل منهم فادركه فاخبره
بما قال قال فادركه دونهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وآله
وحكى له ما قاله وسأله ان يدعوه فدعاه فسأله فقال له قد قلت
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تبغضه قال انا
جاره وانا به خبير والله ما رأيته يصلي صلوة قط الا هذه المكتوبة
قال فاسأله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسأت
الوضوء لها والركوع والسجود فسأله فقال لا قال والله ما رأيته
يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال
فاسأله يا رسول الله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه
شيئا فسأله فقال لا قال والله ما رأيته يعطي سائلا قط ولا مسكينا
ولا رأيته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها
البر والفاجر قال فاسأله هل رآني نقصت منها شيئا او ماكست فيها
طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك
اقول في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام ان اصل الغيبة يتنوع
بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه
وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين قال فلان اردت
السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان
الاثم ثوابا

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما
علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان
عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما على
الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها
وان يعلم انها محبطة حسناته فانه ينقل يوم القيمة حسناته الى من اغتابه

بدلا عما احتاج من عرضه فان لم يكن له حسنة نقل اليه من سيئاته وهو
مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل
النار بان يترجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه
فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من
ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب
والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما النار في اليبس
باسرع من الغيبة في حسنة العبد وروي ان رجلا قال لآخر بلغني
انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي
فمهما آمن العبد بما وردت به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة
خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا
اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن
شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي
من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن
نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق
بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان
من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه
فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في
نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس
واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه
بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب
وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان
لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه
لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر الى السبب

الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا
الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب افات الغضب
وهو ان يقول انى امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي
بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من
شفى غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اتقى ربه
امسك لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس
الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله يا ابن ادم
اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن
امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت
سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك
وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله
وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان
تغضب لله تعالى على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم اعصوا
ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة
الخيانة الى الغير حيث تستغني عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف
ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت
بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط
الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة
وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر
دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك
كقولك انى ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان

ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز
الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان
ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه
ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها
الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك
وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعز تردي نفسها من الجبل
فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر
وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك افعل
لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك
من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل
بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك
عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص
اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند
الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين
اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة
للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت
معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الاخرة
فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الاخرة
لتجمع بين نكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك و
اهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا
تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل
اليك سيئاته ولا ينفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة
وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود ولما الاستهزاء
فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى
وعند الملائكة والنبيين ولو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك
وخزيك يوم تحمل سيآت من استهزات به وتساق الى النار لادهشك
ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك
منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك
في القيمة على ملاء من الناس ويسوقك تحت سيآته كما يساق الحمار
الى النار مستهزيا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصر الله اياه و
تسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن
حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو
اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما
وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت
من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فانما حبب
اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير متعرضا
لغضب الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فينبغي
ان تتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او
بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله
سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذن علاج جميع ذلك
المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان
فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة **بيان**
تحريم الغيبة بالقلب اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول
فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك
ان تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به

من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه
في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته
فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم
وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عليه بادلال الوعظ
وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك
اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه ذلك من غير
نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك
كنت جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة
له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع
بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال
الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنها
في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله
فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا
عنك لكان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته **بيان** الاعذار المرخصة
في الغيبة اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع
لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور
الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة
كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى
السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد
قال صلى الله عليه واله وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني
ظلم وقال لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته **الثاني** الاستعانة
على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح اباحة هذا بالقصد الصحيح

فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما **الثالث** الاستفتاء كما تقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في الخلاص و الاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه واله وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه قال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء

الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى اهل الشر او مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غير ذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق و كذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا على المشتري وفي ذكرك ضرر على العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اترعوون عن ذكر الفاجر لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه

الخامس

الخامس ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج و الاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج و سليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص

السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكل من يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم عليه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وذلك لانه ربما يتفاخر به فكيف يكره ذلك وهو يقصد اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم اقول قال السيد العلامة فضل الله بن علي الحسني في شرح الشهاب في تفسير قوله صلى الله عليه واله وسلم ليس لفاسق غيبة ان الغيبة ذكر الغائب بما فيه من عيب من غير حاجة الى ذكره ثم قال فاما اذا كان من يغتاب فاسقا فانه ليس ما يذكر به غيبة وانما سمي ما يذكر به غيبة غيبة اذا كان تائبا نادما اما اذا كان مصرا عليه فليس بغيبة كيف وهو يرتكب ما يغتاب به جهارا. انتهى كلامه ويؤيده الاخبار وكلام اهل اللغة قال الجوهري الغيبة ان يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه فان كان صدقا سمي غيبة وان كان كذبا سمي بهتانا وعن الصادق عليه السلام الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا والبهتان ان تقول فيه ما ليس فيه وعن ابي الحسن ع

من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره
بما ليس فيه فقد بهته وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام
ما هو ابلغ من ذلك كله واوسع فانه عليه السلام قال وصفة الغيبة
ان تذكر احدا بما ليس عند الله عيب وتذم ما يحمده العلم فيه واما
الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم
فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا
عنه مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان
لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والرجل في دين الله واما
اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو ماخوذ بفساد مراده
وان كان صوابا **بيان** كفارة الغيبة اعلم ان الواجب على المغتاب
ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج عن حق الله ثم
يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو
حزين متاسف نادم على ما فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه
الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى
وقيل يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما
روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كفارة من اغتبته
ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني
عليه وتدعو له بخير وسئل بعضهم عن التوبة عن الغيبة فقال
تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت واسات فان شئت
اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل
العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام
ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وثبت المطالبة به بل في
الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من كانت

لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان ياتي يوم
ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته فان لم يكن له حسنة
اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته اقول الكلام الصحيح
الجامع بين الاخبار والاقوال الواردة في هذا الباب ما قال
الصادق عليه السلام انه ان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه وان لم
يلحقه فاستغفر الله وذلك لان في الاستحلال مع عدم البلوغ
اليه اثارة للفتنة وجلب للضغاين وفي حكم من لم يبلغه من لم
يقدر على الوصول اليه بموت او غيبة قال ابو حامد فان كان
غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات
فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه نوع تبرع والتبرع
فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في
الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم
يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها
سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحل الظالم قال
سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها
عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم
الله ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله غير ممكن فنقول المراد به
العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين
حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة
فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايعجز احدكم
ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد
تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به

فصل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول
معناه انى لا اطلب مظلمة في القيمة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير
الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا
انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم
كان قياسه قياس ساير الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان
من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الاخرة
مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل فقد ورد اذا جثت الامم
بين يدى الله عز وجل يوم القيمة نودى ليقم من كان اجره على الله
تعالى فلا يقوم الا من عفى عن مظلمته في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم يا جبرئيل ما هذا العفو فقال ان الله يامرك ان تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك وروى عن بعضهم
ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب
وقال بلغنى انك قد اهديت الى من حسناتك فاردت ان اكافيك
عليها فاعذرنى فانى لا اقدر ان اكافيك على التمام **الآفة السادسة
عشر النميمة** قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم
عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك هو ولد الزنا لا يكتم
الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة
دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم
والزنيم هو الدعى وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام
واللمزة المغتاب وقال تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة
للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت
امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر انه مجنون وقد

وقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر
لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وعنه صلى الله عليه واله وسلم
احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون و
يؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة بين الاحبة المفرقون
بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال صلى الله عليه واله وسلم
الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤن بالنميمة
المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق
شانه الله في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى
ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه بها في الدنيا
كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وعنه
ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال
الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس
لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام
ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول
على عهد الله ان افعل كذا وكذا ثم لم يف به اقول ومن طريق
الخاصة ما رويناه عن الصادق عليه السلم قال قال امير المؤمنين عليه السلم
شراركم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة المبتغون للبراء المعايب
وعن الباقر عليه السلم قال الجنة محرمة على القتاتين والمشائين بالنميمة
قال ابو حامد وروى كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى
موسى مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه انى لا استجيب لك ولمن
معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى
نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا

باجمعهم فشقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما
قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله من العلم فاخبرني عن
السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى
منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما
اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال البهتان على البريء اثقل من السموات
والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد
احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب
الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم ويقال ان
ثلث عذاب القبر من النميمة

بيان حد النميمة وما ينبغي في ردها

اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول
فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا او كذا وليست النميمة مخصوصة
بالمقول فيه بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او
المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او
الرمز والايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء
كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة
افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال
الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية
كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود
عليه فاما اذا كان رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر
فان كان ما ينم به نقصانا فاحشا وعيبا في المحكي عنه او لاظهار الحب
للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من حملت اليه
النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك كذا وكذا
او هو يدبر في افساد امرك او في ممالأة عدوك او تقبيح حالك

او

او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام
فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان
جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الآية الثاني ان ينهاه
عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن
المنكر الثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من
يبغضه الله الرابع ان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى
اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس
والبحث لتتحقق قال الله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك
ما نهيت عنه النمام فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا
فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي
عن علي كرم الله وجهه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل
عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك فان
شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وعن عمر بن عبد
العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان
شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه
الاية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك قال العفو يا امير المؤمنين
لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه
واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت عن الزيارة واتيتني
بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك
الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري
فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا
فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني كان

كان صادقا فقال الهدهد لا يكون النمام صادقا فقال له سليمان صدقت
اذهب بلا مرة وقال بعضهم من نم اليك نم عنك وهذا اشارة
الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض
وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد
والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في
قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض وقال عز وجل انما السبيل على
الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من شر الناس من اتقاه الناس لشره و
النمام منهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة قاطع قيل هو
قاطع بين الناس بالنميمة وهو النمام وقيل قاطع الرحم وذكرت
السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق
من كل طبقة من الناس الا منهم والسعاية هي النميمة الا انها اذا
كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه وآله
الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس ولد حلال وقال
لقمان الحكيم لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بها لم تزل بها
سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم
واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول ساع
او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا
فارقتهم وفارقوك لم تغتبهم ولم يغتابوك وقال بعضهم النميمة
مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم
لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه
اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي

طال ... **السابع عشر كلام ذي اللسانين** وهو الذي
يأتي هؤلاء بوجه ويتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام
يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق
قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان
له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وعنه
صلى الله عليه وآله وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين
الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ الذي يأتي
هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال مالك بن دينار قرأت في التورية
بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم
القيمة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ابغض خليقة الله تعالى يوم القيمة الكذابون والمتكبرون والذين يكثرون
البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم و
الذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان
وامره كانوا سراعا انتهى ومن طريق الخاصة ما رواه الصدوق
باسناده الى علي عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

واحد ولا سيفان في غمد واحد وكذلك الاذهان ... ابو حامد
واتفقوا على ان ملاقات الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات
كثيرة وهذه من جملتها وقد روى ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تصلي عليه فقال يا امير المومنين انه منهم فقال عمر نشدتك الله انا
منهم ام لا فقال اللهم لا ولا اومن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا
يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين
وجاهل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا
لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة
لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة
الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد
الى الاخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان
ينقل من احد الجانبين فقط فان نقل من الجانبين فهو شر من النميمة
وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة
مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما انه ينصره

وكذلك

رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة
الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه
او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المومن يراجع قال ابن المبارك
قد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلوب العوام واما ما قاله مطرف
ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الى نفسي فقال زياد قلوب الخواص
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا
له من ان يثني عليه في وجهه وقيل المدح الذبح وذلك لان المذبوح
هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر
والعجب وهو مهلك كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه
الافات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا
اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة ولكنه
قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا و
عجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر
اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم
وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه من الله لا بولد ادم وتقدمه
عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه
يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الافات تقدر
على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه وآله
وجبت الجنة لما اثنوا على بعض الموتى بخير قال انتم شهداء الله
في الارض وقال مجاهد ان لبني ادم جلساء من الملائكة فاذا ذكر
اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة
يا ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك فهذه افات المدح

بيان ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور والرياء ولا ينجو عنه الا بان يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال وانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا قد تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي عليه السلام اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون **الآفة التاسعة عشر** الغفلة عن دقائق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء والفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل ولكن الله يعفو عنه لجهالته مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وآله اجعلتني لله عديلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى

وكره

وكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وعن ابن عباس انه قال ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة وعن النبي صلى الله عليه وآله ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولا امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد والرب واحد وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وآله من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك من الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين **الآفة العشرون** سؤال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف قديمة هي او محدثة وحقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال

يجب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها
العامي فهو اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله
وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات بالايمان بما
ورد به القران والتسليم بما جاءت به الرسل من غير بحث وسوالهم
عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله
ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسوال ساسة الدواب عن اسرار الملوك
وهو موجب للعقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه
تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال صلى الله
عليه واله وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسوالهم
واختلافهم على انبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا
منه ما استطعتم وروي انه سال الناس رسول الله صلى الله عليه واله
يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسالوني
عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال
ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا
فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله
اانا في الجنة او في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم امسكوا وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
عن القيل والقال وكثرة السوال واضاعة المال وقال صلى الله عليه واله وسلم
يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق
فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى تختموا
السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان
الرجيم وقال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السوال وفي قصة
موسى والخضر صلى الله عليهما تنبيه على المنع من السوال قبل اوان استحقاقه

اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما
سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تواخذني بما نسيت
ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى سال ثلثا قال هذا فراق
بيني وبينك وفارقه فسوال العوام عن غوامض الدين من اعظم
الافات وهي من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من الخوض في حروف
القران ونظائر ذلك من العلوم ونظرهم في ذلك يضاهي اشتغال من
كتب اليه الملك بكتاب يرسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منه وضيع
زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق او حادث فاستحق به العقوبة لا محالة
فكذا تضييع العامي حدود القران واشتغاله بحروفه انها قديمة او محدثة
وكذا ساير صفات الله تعالى هذا اخر الكلام في كتاب افات اللسان من
ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء
ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب افات الغضب والحقد
والحسد والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا
والصلوة على محمد واهل بيته وسلم

كتاب آفات الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نقتي

الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الراجون ولا يحذر سوى غضبه وسطوته الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم بان يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمتقون وعلى آله واصحابه الذين هم الائمة المهديون والسادة المرضيون صلوة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والآخرون **اما بعد** فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب والاضطرام ومنه قوله تعالى

يظهر ما في بطونهم ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومغيضهما مضغة اذا اصلحت صلح بها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان فيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني الاعمام والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب **بيان ذم الغضب** قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم الله عليهم من السكينة وروي ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل ما ذا يبعد من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله

ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك
ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ليس
الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وعنه صلى الله
عليه وآله وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود
يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب يستخف فؤاد الرجل الحليم
وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه
الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني
الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع
الا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى ان شاء الله
تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد
الصبر العسل وقال ص ما غضب احد الا اشفى وقال رجل يا رسول الله
اي شي اشد قال غضب الله تعالى قال فما يبعدني من غضب الله قال
لا تغضب اقول ـــ ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي
عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغضب
يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وعن ميسر قال ذكر الغضب
عند ابي جعفر عليه السلام فقال ان الرجل ليغضب فما يرضى ابدا حتى
يدخل النار فايما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره
ذلك فانه سيذهب عنه رجز الشيطان وايما رجل غضب على ذي رحم
فليدن منه فليمسه فان الرحم اذا مست سكنت وعن ابي حمزة
الثمالي عنه عليه السلام قال ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد
في جوف ابن آدم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت
اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم
الارض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك وعن ابي عبد الله ع

قال

قال الغضب مفتاح كل شر وعنه عليه السلام قال سمعت ابي يقول اتى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل بدوي فقال اني اسكن
البادية فعلمني جوامع الكلم فقال آمرك ان لا تغضب فاعاد
الاعرابي عليه المسألة ثلث مرات حتى رجع الرجل الى نفسه فقال
لا اسأل عن شي بعد هذا ما امرني رسول الله الا بالخير قال وكان
ابي يقول اي شي اشد من الغضب ان الرجل فيقتل النفس التي حرم الله
ويقذف المحصنة وعنه عليه السلام قال من كف غضبه ستر الله عورته
وعنه عليه السلام قال ان في التورية مكتوبا يا ابن آدم اذكرني حين تغضب
اذكرك عند غضبي فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت بمظلمة فارض
بانتصاري لك فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك و
عنه عليه السلام قال الغضب ممحقة لقلب الحكيم وقال من لم يملك غضبه
لم يملك عقله وعنه عليه السلام قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
علمني قال اذهب ولا تغضب فقال الرجل قد اكتفيت بذلك فمضى الى
اهله فاذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفا ولبسوا السلاح
فلما راى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله ص
لا تغضب فرمى السلاح ثم جاء يمشي الى القوم الذين هم عدو قومه
فقال يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة او قتل او ضرب ليس فيه اثر
فعلي في مالي انا اوفيكموه فقال القوم فما كان فهو لكم نحن اولى بذلك
منكم قال فاصطلح القوم وذهب الغضب وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كف نفسه عن اعراض الناس
اقال الله نفسه يوم القيمة ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه
عذاب يوم القيمة وعنه عليه السلام قال مكتوب في التورية فيما ناجى الله به موسى
يا موسى امسك غضبك عمن ملكتك عليه اكف عنك غضبي قال ابو حامد

الآثار عن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به
ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم
حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك
اذا عجلت اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبار
عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا سأل الشيطان اي اخلاق بني آدم
اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب
الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن آدم
اذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه
وقال جعفر بن محمد عليهم السلام الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار
راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم
الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق
جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلث
اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما
احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه
ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا
لا تذله الشهوات ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم
اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقال عبد الله بن
مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك
بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وقال بعضهم
لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في
التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان
دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب
عدو العقل والغضب غول العقل وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا

حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه
من يتكفل لي ان لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي
فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا فوفى به
فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب
ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة
والخرق والطمع **بيان حقيقة الغضب** اعلم ان الله تعالى لما
خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه
واسباب خارجة منه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه
الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه
ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة و
مضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى
تفشي اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من
الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء
الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول
الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا
له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض
لها الانسان للهلاك فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي
يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فيدفع المهلكات
عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته
فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار
الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع
الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي على النار
يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة

بصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاج لون ما
فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر المقدرة عليه
فان صدر الغضب على من هو فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد
منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا و
لذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه
تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب
محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما
تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها
والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة
وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة
على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال
اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وذلك هو
الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قيل من استغضب فلم
يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فمن فقد قوة الحمية
والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة
والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من
اثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة
حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها
بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته
امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة
الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك
حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قاله رسول الله صلعم

فرودة

فرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهي ان
يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك
شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال
ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل له ولا حلم ثم يذكره في معرض
الفخر بجهله فمن سمعه فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه
بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي
اضطرامها اعمت صاحبه واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم
يسمع بل يزيده الموعظة غضبا وان اراد ان يستضيء بنور عقله
ويراجع نفسه لم يقدر على ذلك اذ ينطفي نور العقل وينمحي في
الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند
شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي
على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه
حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه
على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي بالنار مستقره
وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى وانمحى
نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة
ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر
الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق وكذلك يفعل الغضب بالقلب
والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حيوة
القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق
وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبها من
القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فكذا حال القلب مع الغضب
وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة

البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة
من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب
فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه
ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في
الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة
والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب
المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته
لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم
من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن
اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن
فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه
بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي يستحيي منه ذووا العقول و
يستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل
والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او
فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب
نفسه ويلطم وجهه وقد يضرب يده على الارض ويعدو عدو الواله
السكران المدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو
والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب
الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكسر
المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة
والجماد ويخاطبه بالشتم ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كانه
يخاطب عاقلا حتى انه ربما رفسته الدابة فيرفسها ويقابلها واما اثره

في

في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة
والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الاستار والاستهزاء
وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية
الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة
والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا
مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهي خنوثة قال صلى الله عليه واله
ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد وان الله اغير مني وانما خلقت الغيرة
لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك
قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن
ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله
عليه واله وسلم خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ
تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل
الى الشهوة الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر
اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن
الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى
بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفترة حتى احس
من نفسه ضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في
غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه
الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج
نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين
فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه

فليطلب الاقرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن
الاتيان بالخير كله ينبغي ان يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون
من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا اعلم انه
قد ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة
اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا
رأي من يظن ان الخُلق كالخَلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين
ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا
ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء و
يخالفه آخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب
يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة فاذا قصد بمكروه
غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول
ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة
البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك
اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من
داره التي هي مسكنه واريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات
لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها
القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير
والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة
والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما
فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما بالقوت
فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا

كان

كان له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ
يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب
باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب بالضرورة
على اخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت
والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه
فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب
ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره
فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان و
مكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان
صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر
النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته
وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض
الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب
لو قيل له انه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر
على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل
فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري
القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض
كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه
ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا
يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري
والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما
الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما خيرت له

الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا محققا بتوحيد الله وسلمت له هذه
الثلث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلننظر
غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة
فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب
ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل
وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير
الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب
فذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه
حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر
اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا
لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء
غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن
حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل
اليه بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج
حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان بان وطنه القبر ومستقره
الاخرة وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما
وراء ذلك فهو عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو
حبها عن القلب فلو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا
ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا قد ينتهي الى قمع
اصل الغضب وهو نادر جدا وقد ينتهي الى المنع من استعمال
الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من
القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له
شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل

فيه كراهة فليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتالم بالفصد
والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد
حتى يرى الاشياء كلها من الله تعالى فلا يغضب على احد وان كان
يحصل من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب
ومن وقع عليه ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ولا يغضب
على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى
الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع
ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا
يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه
وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان
الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد
على هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال مختلفة
ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا
طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور
لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه
حتى قال اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم
سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلوة وزكوة وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول
الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي
بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني
لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل
بموجب الغضب وغضبت عايشة مرة فقال صلى الله عليه واله وسلم
ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان فقال بلى ولكني دعوت الله

فاعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي عليه السلام كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات منع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم رجل الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة كؤودا ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل بعضهم فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون ذلك قد اثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه الا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص

من

من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب الدنيا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سيأتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل وهما اصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفتها واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس

وصيانة النفس عن ان يستهزئ بك ولها التعبير والحذر عن القول القبيح
وصيانة النفس عن حيا الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش
فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن
ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات
يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها ترجع
الى معرفة غوائلها ليرغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة
على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة
هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه
الرذايل وتخلصت ايضا عن الغضب الذى يتولد منها ومن اشد
البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية
وغيرة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا
حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب
من الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه
بالاكابر ويهيج الغضب في القلب بسببه وتسميته هذا عزة نفس وشجاعة
جهل محض بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس
ونقصانها وآية انه لضعف النفس ان المريض اضعف قلبا واسرع
غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل والصبى
اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل
وذو الخلق السئ والرذايل القبيحة اسرع غضبا من صاحب
الفضايل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة والبخيل اذا فاتته
الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوى من يملك
نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه واله وسلم ليس الشديد
بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب بل ينبغى

ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل العلم والعفو وما
استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء
والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك
والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل بيان
علاج الغضب بعد هيجانه اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب
وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجانه فعنده يجب
التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما
يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو
ستة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التى سنورد ها في فضل
كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة
الحرص على ثواب الكظم عن التشفى والانتقام وينطفى غيظه
غضب بعضهم على رجل فقال الرجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين فخلى عنه الثانى ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان
يقول قدرة الله على اعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو امضيت
غضبى عليه لم آمن ان يمضى الله غضبه على يوم القيمة احوج ما
اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن ادم اذكرنى
حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وصيفا له الى حاجة فابطاء عليه
فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اى القصاص في
القيمة وقيل ما كان فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب
اعطاه صحيفة فيها ارحم المساكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان
يقرءها حتى يسكن غضبه الثالث ان تحذر نفسه عاقبة العداوة و
الانتقام وتشمر العدو بمقابلته والسعى في هدم اعراضه والشماتة

بمصايبه وهو لا تخ عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا
ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضبه
وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه
العاجلة تقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش
عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون ح
مثابا عليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان تذكر صورة
غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه
بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك
الغضب بالانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب
والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبياء والعلماء في عادتهم
ليميل الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل
الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من
كظم الغيظ ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا
يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في
اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك يا نفس تانفين من احتمال الآن
ولا تانفين من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك
وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين
من ان تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين بانتقامك من هذا
فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فما له و
للناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله لو انتقم الآن افلا
يحب ان يكون هو القايم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله
فلا يقوم الا من عفى عن حق فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي
ان يقرره على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء

على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من
مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله عليه اعظم من غضبه
واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقال عند الغيظ وكان
صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضبت عايشة اخذ بانفها وقال يا عويش
قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني
من مضلات الفتن ويجب ان تقول ذلك فان لم يزل بذلك
فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض
التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس و
الاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة
اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا
الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان
كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضا
بالماء البارد او ليغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء وقد قال صلى الله
عليه وآله وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا وليغتسل فان الغضب من
النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار
وانما يطفى النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس
قال رسول الله صلعم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي ص
اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب
غيظه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي ص الا ان الغضب جمرة
في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد
من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وهو
تمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر النفس

الذل ويزايله العزة والزهو الذى هو سبب الغضب وكان رجل
ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلثة صحائف فاعطى كل
صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطنى هذه الصحيفة وقال
للثانى اذا سكن بعض غضبى فاعطنى هذه وقال للثالث اذا ذهب
غضبى فاعطنى هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى
فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك
ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها
ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء ثم اعطى الثالثة فاذا فيها
خذ الناس بحق الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك اى لا تعطل الحدود
فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس وذكره تعالى ذلك فى معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه واله
من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله
عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه واله وسلم
اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفى عند القدرة
وقال صلى الله عليه واله وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه
ملاء الله قلبه يوم القيمة رضاه وفى رواية اخرى امنا وايمانا
وعنه صلى الله عليه واله وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة
غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان لجهنم بابا
لا يدخلها الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه واله وسلم
ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها
عبد الا ملاء الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه واله وسلم من كظم غيظا
وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يخيره فى اى
الحور شاء وقال لقمن لابنه يا بنى لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا

تف

تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال النبى
حلم ساعة يدفع شرا كثيرا اقول ومن طريق الخاصة ما رواه
فى الكافى عن على بن الحسين عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
من احب السبيل الى الله تعالى جرعتان جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة
مصيبة تردها بصبر وعن ابى عبد الله عليه السلام قال كان على بن الحسين
عليهما السلام يقول ما احب ان لى بذل نفسى حمر النعم وما تجرعت جرعة
احب الى من جرعة غيظ لا اكافى بها صاحبها وعن ابى جعفر عليه السلام
قال من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه امنا
وايمانا يوم القيمة وعن ابى عبد الله عليه السلام قال نعم الجرعة الغيظ
لمن صبر عليها فان عظيم الاجر لمن عظيم البلاء وما احب الله قوما الا ابتلاهم
وعنه عليه السلام ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله تعالى عزا فى الدنيا و
الاخرة وقد قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين واثابه الله مكان غيظه ذلك وعنه عليه السلام من كظم
غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملاء الله قلبه يوم القيمة رضاه وعن
ابى الحسن الاول عليه السلام قال اصبر على اعداء النعم فانك لن تكافى من
عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه **فضيلة الحلم**
اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن
التحلم اى تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه
ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار
ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون فى كظمه تعب
وهو الحلم الطبيعى وهو دلالة على كمال العقل واستيلائه وانكسار
قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء التحلم وكظم الغيظ
تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم

ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم
طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وعنه صلى الله عليه
وآله وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ولينوا لمن تعلمون ولمن
تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا
الى ان التجبر والتكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان
من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني
بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وعنه صلى الله عليه وآله وسلم
ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتحلم عمن ظلمك او جهل عليك وقال صلى الله عليه وآله
خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال
علي عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم
درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته
وروي ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني
واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال صلى الله عليه وآله
لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت
على ذلك المل يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي
صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة
فاوحى الله الى النبي عليه السلام ان قد غفرت له وقيل في قوله تعالى ربانيين
اي حلماء وعلماء وفي قوله يمشون على الارض هونا اي حلما واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما اي حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقيل
في قوله عز وجل واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وفي
قوله وكهلا قيل الكهل منتهى الحلم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل

الملحف

الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من
لم يكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي
الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل
الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم
الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل
الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا
اسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة
فنعم اجر العاملين وقال علي عليه السلام ليس الخير ان يكثر مالك وولدك
ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة
ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وعن علي
بن الحسين بن علي عليهم السلام انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه و
امر له بالف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال الحلم واسقاط
الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله تعالى وحمله على الندم و
التوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من
الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام انه وقع بيني وبين
قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له
ذل فقال جعفر عليه السلام انما الذليل الظالم ومر المسيح بن مريم عليهما السلام
بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم
يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده
وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند
الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا تعرف اخاك الا عند حاجتك
اليه اقول ـــــ ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام

فال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب الحيي الحليم العفيف
المتعفف وعن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله ص ما اعز الله بجهل
قط ولا اذل بحلم قط وعن ابي جعفر عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام
يقول انه ليعجبني الرجل ان يدركه حلمه عند غضبه وعن ابي عبد الله ع
قال كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلم وعن حفص بن ابي
عائشة قال ابو عبد الله عليه السلام غلاما له في حاجة فابطأ فخرج
ابو عبد الله عليه السلام في اثره فوجده نائما فجلس عند راسه يروحه
حتى انتبه فلما انتبه قال له ابو عبد الله عليه السلام يا فلان والله
ما ذلك لك تنام الليل والنهار لك الليل ولنا منك النهار وعن
ابي عبد الله عليه السلام قال اذا وقع بين رجل منازعة نزل ملكان
فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت وانت اهل لما قلت ستجزى بما قلت
ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان اتممت ذلك
فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان وعن ابي الحسن الرضا عليه السلام
قال لا يكون الرجل عابدا حتى يكون حليما وان الرجل كان اذا
تعبد في بني اسرائيل لم يعد عابدا حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين
قال ابو حامد ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه
الطعام فخرجت امراة الحكيم وهي سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت
على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر
يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما
عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم فقال احسب ان هذه مثل تلك
الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء
من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك
فقال اقمته مقام حجر تعثرت بها فوقعت وذبحت الغضب وقال المحمود

الوراق سر سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت منه علي الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلثة شريف ومشروف ومثل مقاوم فاما الذي
فوقي فاعرف فضله واتبع فيه الحق والحق لازم واما الذي دوني
فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لائم واما الذي مثلي فان زل
او هفى تفضلت ان الفضل بالخير حاكم بيان القدر الذي يجوز
الاقتصار والتشفي به من الكلام اعلم ان كل ظلم صدر من شخص
فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة
التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي
وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في
كتب الفقه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان امرؤ عيرك بما
فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم
رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا لينتصر منه قام رسول الله ص
فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان
الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان
فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما
لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه
بل الافضل تركه ولكنه لا يعصي بفعله والذي يرخص فيه ان يقول
من انت وهل انت الا من بني فلان ومثل قوله يا احمق قال
مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل
حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم
حمقى في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل
فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا صفيق الوجه
الاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت

وما احترك في غيبي بما فعلت وجزاك الله وانتقم منه فاما النميمة
والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق والدليل على جواز
ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي
المظلوم اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الكاظم عليه السلام
في رجلين يتسابان قال البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم
يتعد الى المظلوم قال ابو حامد فاثبت للمظلوم انتصارا الى
ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه وهو رخصة في الايذاء جزاء
على ايذائه السابق ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه
لانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت
عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد
الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب
ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام
والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود
وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود
وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود
بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا
فهذه بتلك قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم
سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء
الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب
البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج وشق دفعه كان يجب على
السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب

ولا

ولانه يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا الغيظ ومريحا نفسه صاحب حظ فيه
وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه وراى بعض الولاة سكران
فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع وقال لانه اغضبني ولو
عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي

القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن
واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة
له والنفار عنه وان يدوم على ذلك ويبقى وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد
يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى
زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به
وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه الثاني ان تزيد على
اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره
وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه
ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب
وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به
وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه الثامن ان تمنعه
حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل
درجات الحقد ان تحترز من آفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب
الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبك
عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية
والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او
بترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله

مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل فان كان لا يعرضك لعقاب والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في احسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللمحقود ثلثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان **فضيلة العفو** اعلم ان العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الاية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك حرمة من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن مأثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وآله

ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفى عنكم فليعفو بعضكم عن بعض وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة طاف بالبيت وسعى وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال رسول الله اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لوالي امر الحق يجد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ فليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفى عن قاتله قيل او احدهن يا رسول الله قال او احدهن اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة الا اخبركم بخير خلايق الدنيا والآخرة العفو عمن ظلمك

وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك
وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم
بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله
وعن ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال سمعته يقول
اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى الاولين والاخرين في صعيد
واحد ثم ينادي مناد اين اهل الفضل قال فيقوم عنق من الناس
فتلقاهم الملائكة فيقولون وما فضلكم فيقولون كنا نصل من
قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا قال فيقال لهم صدقتم
ادخلوا الجنة وعن ابي جعفر عليه السلام قال الندامة على العفو افضل
وايسر من الندامة على العقوبة وعنه عليه السلام قال رسول الله ص
اتي اليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها ما
حملك على ما صنعت فقالت قلت ان كان نبيا لم يضره وان كان
ملكا ارحت الناس منه قال فعفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عنها وعن ابي عبد الله عليه السلام ثلث من مكارم الدنيا والاخرة تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم اذا جهل عليك وعن ابي
الحسن عليه السلام قال ما التقت فئتان قط الا نصر اعظمهما عفوا وعن
عن معتب قال كان ابو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم
فنظرت الى غلام له قد اخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط
فاتيته واخذته وذهبت به اليه فقلت له جعلت فداك اني
وجدت هذا وهذه الكارة فقال للغلام فلان قال لبيك قال
اتجوع قال لا يا سيدي قال فتعرى قال لا يا سيدي قال فلاي شيء
اخذت هذا قال اشتهيت ذلك قال اذهب فهي لك وقال خلوا
عنه قال ابو حامد الاماد قيل لراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا

قال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر
عفى واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال
بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم
فحلم ثم قدر فعفى وقيل القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب
وروي ان سارقا دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه
فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة
وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم
وكانت في عمامته فوجدها وقد حلت فقال لقد جلست وانها
لمعي فجعلوا يدعون على السارق اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها
فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له
فيها وان كان حمله على الذنب جرأة فاجعله اخر ذنوبه وقال
الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي
في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي
فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل
فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقيل مكتوب في
الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب
والفظاظة والرفق واللين نتيجتا حسن الخلق والسلامة وقد
يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه
بحيث يدهش عن الفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة
لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب
وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله ص
على الرفق وبالغ فيه فقال انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه

من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير
الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل
عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي
على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون
الرفق الا قد حرموا حظهم من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله
ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال من يحرم
الرفق يحرم الخير كله وقال اتدرون من يحرم على النار كل هين لين
سهل قريب وقال الرفق يمن والخرق شوم وقال التأني من الله و
العجلة من الشيطان اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي
عن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان الرفق خلقا
يرى ما كان من خلق الله احسن منه وعنه عليه السلام قال قال رسول الله
ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وعنه عليه السلام
قال ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق وعنه عليه السلام ان الله رفيق
يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وعن ابي عبد الله
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرفق يمن والخرق
شوم وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اصطحب
اثنان الا كان اعظمهما اجرا واحبهما الى الله تعالى ارفقهما بصاحبه
وعنه عليه السلام من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وعنه عليه
السلام ان الله رفيق يحب الرفق فمن رفقه بعباده تسليله اضغانهم
ومضادته لهواهم وقلوبهم ومن رفقه بهم انه يدعهم على امر يريد ازالتهم
عنه رفقا بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان ومثاقلته جملة واحدة
فيضعفوا فاذا اراد ذلك نسخ الامر بالآخر فصار منسوخا وعن ابي
الحسن موسى عليه السلام قال الرفق نصف العيش وعنه عليه السلام قال لمن جرى

بينه وبين قومه كلام فرفق بهم فان كف احدكم في غضبه فلا خير فيمن
كان كفه في غضبه وعن عمرو بن ابي المقدام رفعه الى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ما زوي الرفق عن اهل بيت الا زوي عنهم الخير قال
ابو حامد بعد ذكر هذه الآثار هذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك
لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى
العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق
عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة واشكل
عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح
معه في الاكثر **القول في ذم الحسد** وفي حقيقته واسبابه ومعالجته
وغاية الواجب في ازالته **بيان** ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا
من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع الغضب
والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى
وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا
ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وروي انه
صلى الله عليه وآله وسلم شهد لرجل من الانصار بانه من اهل الجنة
فلما فتشوا عن حاله ما رأوه يعمل عملا كثيرا غير انه اذا انقلب على
فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر فقيل له في ذلك
فقال ما هو الا ما ترون غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي
غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ثلاث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج
من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت

فلا تبغ وفي رواية ثلث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وآله وسلم دبّ اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلم بينكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلم لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلم قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض لقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وآله وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب لستة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب

بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلم قال ان الرجل ليأتي باي بادرة فيكفر وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب وعن ابي عبد الله عليه السلم قال آفة الدين الحسد والعجب والفخر وعنه عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما اتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وعنه عليه السلم قال اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا ان عيسى بن مريم عليهما السلم كان من شرايعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من اصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى جازه بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى فدخله العجب بنفسه فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا امشي على الماء فما فضله علي قال فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فاخرجه ثم قال له ما قلت يا قصير قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء وانا امشي فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت قال فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضا وعنه عليه السلم قال ان المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلم قال الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى

والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان
ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع
الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب وجحود
فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن ادم في حسرة الابد وهلك
مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد به مطبوع
فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج
قال ابو حامد الامام قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي
الحسد حسد ابليس ادم اذ امر ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وقال
بكر بن عبد الله المزني كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء
الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه مساويه
فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا
الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم ان الملك ابخر فقال له
الملك فكيف يصح ذلك عندي قال تدعو به اذا اليك فاذا دنى منك
وضع يده على انفه ان لا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر
فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج
الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه
والمسيء سيكفيكه مساويه فقال له الملك ادن مني فدنى منه فوضع يده
على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه
ما ارى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا
جائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل
كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ
الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال
خط الملك امر لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى

الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان
الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الى الملك قال
ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث
به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك
وقال وما فعلت بالكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له
فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلما
وضعت يدك على انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت
ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه
وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان
كان من اهل الجنة فكيف احسده على امر الدنيا وهي حقيرة في الجنة
وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار
وسئل بعضهم هل يحسد المومن قال ما انساك بني يعقوب نعم
ولكن غمه في صدرك وانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال
ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقيل
كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها
ولذلك قيل كل العداوة قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك
من حسد وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرئ وحسب المحسود ما يلقى
وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة
عليك نقمة عليه وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة
وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا
وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف
الا فضيحة ونكالا **بيان** حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه
اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان

احدهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد
حده كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه الحالة الثانية ان
لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك
مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة
حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حجر
في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان
المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا
نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة و
افساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك
لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة
الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار
التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض
عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد
على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيها مضرة والى هذا اشار
القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان وقال تعالى ود
كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من
عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال ودوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله حسد اخوة يوسف
وعبر عما في قلوبهم فقال قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه
ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له ساءهم ذلك
واحبوا زوالها عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم

حاجة

حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم اي لا يضيق به صدورهم ولا
يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام
يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة
واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
قيل في التفسير حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم
ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم
ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس
كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا قاتلوا
قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي
تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية
بنت حيي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء ابي وعمي من عندك
يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به
موسى قال فما ذا ترى قال ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم
الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة
واما مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد
والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل
ان ياتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة
لعلي عليه السلام حين قال لهما علي لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها
فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا

ذلك عليك اى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة
فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذى يدل على اباحة المنافسة
قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة
من ربكم واما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان
الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى
عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه
الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به
ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابى كبشة الانصارى فقال
مثل هذه الامة مثل اربعة رجال رجل اتاه الله مالا وعلما
فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول
رب لو ان لى مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر
سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب
زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق في معاصى الله
ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لى مال فلان كنت اعمل بمثل
عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة
تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له
فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهى لنفسه مثلها مهما لم
يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة
نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة
واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك فيكون
راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق
الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت

نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع
الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة
وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر
ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو
تخلف نفسه ويحب مساواته ولا حرج على من يكره تخلف نفسه و
نقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد
والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان
وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة
وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما
يزول نقصانه اما بان ينال مثلها او بان تزول نعمة المحسود فاذا
انسد احدى الطريقتين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريقة
الاخرى حتى اذا زالت النعمة من المحسود كان ذلك اشهى عنده
من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره عليه وهذا لا يكاد
ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القى الامر اليه ورد الى اختياره
لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يزعه
التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من ارتياح الى
زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه
ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث لا ينفك المؤمن
عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت
فلا تبغ اى ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون
الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل
الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد من
المنافسة تزاحم الحسد الحرام فينبغى ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من

انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقاربه من يحب ان يساويه
ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين
التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصان عن غيره يجره
ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه
حتى ينزل هو الى مساواته اذا لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته
بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان
في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عند ذلك ما لم يعمل به
ان شاء الله ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة
الحسد واحكامه اما مراتبه فاربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه
وان كانت لا تنتقل اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة
عنه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او
ولاية نافذة واسعة نالها غيره وهو يحب ان يكون له ومطلوبه تلك
النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة ان لا
يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها عنه
كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل
فلا يحب زوالها عنه وهذه الاخيرة هو المعفو عنه ان كان في الدنيا
والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم
والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا
فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم اما تمنيه عين ذلك
فمذموم **بيان** اسباب الحسد والمنافسة اما المنافسة فسببها
حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله تعالى
وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها

وانما

وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر
جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف
من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها
فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا
يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته
لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون
من حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره و
تفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه
ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر
واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك
النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب
نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب
الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا
يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله
ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب الاول العداوة والبغضاء
وهو اشد اسباب الحسد فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب
وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ
في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض
عن ان يتشفى منه بنفسه احب ان يتشفى منه بتغير الزمان
وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصاب عدوه
بلية فرح بذلك وظنها مكافاة من جهة الله له على بغضه وانما
اصابه ذلك لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده
وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه

الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة
ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه
فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن
وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد والعداوة اذ قال تعالى
واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم
حسنة تسوهم وكذلك قال ودوا ما عنتم قد بدت البغضا
من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع
والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل بالسعاية
وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني التعزز وهو ان
يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية
او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا يسمح
نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل
غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بترفعه
عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره
ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه
فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته وربما
يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان
كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول
الله صلى الله عليه واله وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطا
له روسنا فقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى
يصف قول قريش اهولاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة

منهم السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم
الا بشر مثلنا وقالوا انومن لبشرين مثلنا وقالوا ولئن اطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي
والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا
ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة
وتقدم عداوة او سبب اخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث
الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى اوعجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد
وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد منهما يحسد
صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس
تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في
التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال
وكذلك تحاسد التلميذين لاستاد واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاد
وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه
والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة
اذ كان غرضهما نيل المال والقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين
المتزاحمين على طائفة من المتفقهين المحصورين اذ يطلب كل واحد
منزلة في قلوبهم للتوصل الى اغراضهم السبب السادس حب الرياسة
وطلب الجاه لنفسه من غير توسل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي
يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذ اغلب عليه حب الثناء
واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه
وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب
موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة
او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس

السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوت
مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين
آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد
سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم
السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله مما انعم عليه
فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده
حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا
وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص
عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده
الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب
ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته
شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور
زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض
فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه اسباب الحسد وقد
يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد
فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء
والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة
واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد
سبب واحد منها **بيان** السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران
والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته وضعفه في غيرهم اعلم
ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى

بين

بين قوم تجمع لهم جملة من هذه الاسباب ويتظاهر فيهم اذ الشخص الواحد
يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير
ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط
يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف
واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد
فيه فعند ذلك يريد ان يحتقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته
لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ويترادف جملة
هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متباينتين فلا
يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق
او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد يتناقض فيها اغراضهم فيثور
من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد فلذلك
ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم
والتاجر يحسد التاجر والاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز
الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه
اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد
ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون
على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون
وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل
البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف
السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع
ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه
الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم
ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه

المحاسدة

والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص واصل هذه
العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد فالغرض الواحد لا يجمع
بين متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه
على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل
من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشاء
جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما
الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب
معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه
وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق
عن العارفين بل معلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته
ويلتذ به ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين
زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين
علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله وهو بحر واسع لا ضيق
فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما
عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق
بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء
بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت
في يد واحد خلت عنها يد اخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما
امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه
لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلاء قلب بالفرح بمعرفة
الله لم يمنع ذلك ان يمتلي قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين
العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل من اليد الاخرى
والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل

عن

عن قلبه وان المال اعيان واجسام ولها نهاية فلو ملك انسان
جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية
له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته
وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك عنده الذ من كل نعيم ولم يكن
ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من
الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل
زادت لذته لموانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت
على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين
الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن
زوالها وهو ابدا يجتني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة
علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو
وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا يرتع في جنة عالية ورياض
زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا
كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فما ذا تظن
بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا
يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة
في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة ولا مزاحمة فيها ولا تنال
الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة
براء من الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين
عن سعة العليين الى مضيق السجين ولذلك وسم به الشيطان
اللعين وذكر من صفاته انه حسد ادم على ما خص به من الاجتباء
ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد

الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس
يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين
التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة
الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن
فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا
ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا
الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب صنعه في ملكوت
السموات والارض ولا ينال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان
كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها ففتر عنه رايك
وضعفت فيه رغبتك فانت فيه معذور فالخنث والعنين لا يشتاق
الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات
يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة
المعرفة انما يختص بادراكها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد
الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم
يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين
في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين

بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض
القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف
تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على
المحسود في الدين والدنيا بل ينتفع بها في الدنيا والدين ومهما
عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت

الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت
قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه
في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على
حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على
الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت
نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت
ابليس وسائر الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه
خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها
كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم
بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم
الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم
بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب ضيق النفس
كما تشتهيه انت لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد
المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة
على المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى
الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب
ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب
الشديد في الاخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله من
غير نفع يناله مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من
غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه
فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال
ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل
كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكى نبي من الانبياء

من امراة ظالمة مستولية على الخلق بالاذى فاوحى الله تعالى اليه ان فر
من قدامها حتى تنقضى ايامها اى ما قدرناه في الازل لا سبيل الى
تغييره فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء لدوام اقبالها فيها
ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون
عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود
بحسدى وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا
لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله
عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون
المومنين على الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو
يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اذ ما يريده الحسود
لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر
كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان
يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان
تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا
غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقا الحساد ايضا يشتهى
ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في
ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك
تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته
في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى
القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه
هدايا تهديها اليه اعنى انك بذلك تهدى اليه حسناتك حتى
تلقاه يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت فى الدنيا عن
النعمة وكانك اردت زوال النعمة فلم تزل نعم كان لله عليك نعمة

اذ

اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك
شقاوة الى شقاوتك واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض
الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين
ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك
ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك
ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهى عدوك موتك بل يشتهى ان تطول
حيوتك ولكن في عذاب الحسد والغم لتنظر الى نعمة الله عليه فـ
ينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل لا مات اعداؤك بل خلدوا
حتى يروا فيك الذى يكمدوا لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل
من يحسد ولا خلالك الدهر من حاسد فانما الفاضل من يحسد
ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك
من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت
فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا
عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت
به في الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما
عند الخالق والخلائق شقيا في الحال والمال ونعمة المحسود دائمة
شئت او ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت
الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذى هو اعدا اعدائك لانه
لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذى
اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب
بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق
بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس
ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فتفوز بثواب المحبة

فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي
صلى الله عليه وآله وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال
ما اعددت لها كثرة صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انت مع من احببت قال الراوي فما فرح المسلمون
بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر همتهم كان حب الله
ورسوله وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا
يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشيا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
هو مع من احب وقيل ان لم تكن عالما ولا متعلما فكن محبا والا
فلا تبغضهم فانظر الان كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب
ثم لم يقنع به حتى بغضه اليك وحملك على الكراهة حتى اثمت فكيف لا
وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله وينكشف
خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا
يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق به واغتممت
بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة
ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد
والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل
الثلثة حتى لا تدخل فيها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ
حسدك في عدوك بل في نفسك بل لو كشفت بحالك في يقظة او
منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه
ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها
فيزيد غضبه ثانيا فيعود فيرميها اشد من الاول فيرجع على عينه

الاخرى

الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرميها فيعود على راسه فيشجه
وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه
حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذه حال الحسود وسخرية
الشيطان منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العائد
الى راسه لم يفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة
والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب
الله والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير من ان تبقى له
عين يدخل بها النار فيقلعها لهب النار فانظر كيف انتقم الله
من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم
ازالها من الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم
والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر
السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه فقلما يشمت
شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة ما تمنيت لعثمان
شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد
نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق و
اطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو
الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية
فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه
نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص
عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكلما يتقاضاه
الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضها فان بعثه
الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان
حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه

على كف من انعام عنه الزم نفسه الزيادة في انعامه فمهما فعل ذلك
عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد
الحاسد واحبه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان
التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم
عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك
الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا
ولا يصدنه من ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه
حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة
فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او
طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل من غرتها وتعود القلب
الى التالف والتحاب وبه تستريح القلب من الم الحسد وغم التباغض
فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا لكن النفع
في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما
يهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح
والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب
الرضا بقضاء الله وحب ما احبه الله وعزة النفس وترفعها عن ان
يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك يريد ما يكون
اذ لا مطمع في ان يكون ما تريد وفوات المراد ذل وخسة ولا
طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون
ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف
والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة
ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء
المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا

يغني

يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا
المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تنقمع المادة لم يحصل مما
ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد
في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد ان يحسد من
استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما
غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهره بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا
فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي
ممقوت بالطبع ومن اذاك لا يمكنك ان لا تبغضه غالبا واذا تيسرت
له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال
عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال
الشيطان ينازعك في الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى بعثك
على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك
الاختيارية فانت اذن حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية
الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت
ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء
وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم واما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل
صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم
هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى
وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح واما اذا كففت ظاهرك
والزمت مع ذلك قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال
النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة
العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل

تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي
والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة او ينصب عليهما من بلية سواء فهذا
مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا
بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل
احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل
عباد الله وافعالهم افعال الله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف
لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان
فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية الزم قلبه فقد ادى ما
كلفه وذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه وروي
مرفوعا انه قال ثلثة في المومن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى
ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة
حب الطبع لزوال النعمة عن العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الايذاء فان
جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهرها على ان كل حاسد اثم والحسد
عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذا كونه
اثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد وقد عرفت من هذا ان لك
في اعدائك ثلثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك
وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة
ذلك الميل منك وهذا معفو عنك قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه الثاني
ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا
الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن
غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها
وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه هذا اخر
كتاب ذم الغضب والحقد والحسد من ربع المهلكات [illegible] ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم الدنيا
والحمد لله اولا واخرا

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات في المحجة البيضاء في احياء الاحيا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوايل الدنيا وافاتها وكشف لهم عن عيوبها
وعوراتها حتى نظروا في شواهدها واياتها ووزنوا بحسناتها سياتها
فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم
طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل الناس بجمالها
ولها اسرار سوء قبايح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها
شحيحة باقبالها واذا اقبلت لا يومن من شرها ووبالها فهي ان احسنت
ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدواير اقبالها على
التفاوت دايرة وتجارة بنيها خاسرة بايرة وافاتها على التوالي لصدور
طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل
مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب من طالبيها والطلب لهاربيها
من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوايب
الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها
لا يسوق الا الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة
طيارة فرارة لا تزال متزينة لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها
كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن
مكنون عجايبها فاذاقتهم قواتل سمها ورشقتهم بصوايب سهمها فبينما
اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام
ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم
تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته
عن قريب حصيدا كان لم تغن بالامس تمني اصحابها سرورا و
تعدهم غرورا حتى ياملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا

وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة
على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من
كان من اله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم
كثيرا **اما بعد** فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله
وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق
على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها
لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها
حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله
فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها
وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة
تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على
فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال
لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت
غوايل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا ما هي
وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها
فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم
الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة
بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله
بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله

بيان ذم الدنيا

الايات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القران مشتمل
على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو
مقصود بعثة الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشها

بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد
روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر على شاة ميتة فقال
اترون هذه الشاة الميتة هينة على صاحبها قالوا نعم من هوانها
القوها قال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله عز وجل من هذه
على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما كان لله منها وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من احب دنياه
اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى
وقال صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال صلى الله
عليه وآله وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى
لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف على
مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك
المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان
زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير
عظاما بالية وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الدنيا حلوة خضرة
وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما
بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب
وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا
اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه لكم فان صاحب كنز الدنيا يخاف
عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا يا معشر
الحواريين اني قد اكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي
فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة

لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل
كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال
ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك
والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم في الدنيا فانهم لن يتعرضوا
لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم و
الصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة
تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا لا تطلبه الآخرة
حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله
جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها
منذ خلقها وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير
تظله والجن والانس عن يمينه وعن يساره قال فمر بعابد من عباد
بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما
قال فسمع سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود
فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقرأ صلى الله عليه وآله
وسلم الهاكم التكاثر وقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من
مالك الا ما تصدقت به فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال
صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد
من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع
خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا
لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها

الله عز وجل لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى
اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شي اني لم ارضك لهم في الدنيا
ارضاك لهم اليوم وروي ان الله عز وجل لما اهبط ادم من الجنة
الى الارض قال لد ان للخراب ولد للفناء وروي في اخبار ادم عليه السلم
انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك
مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهي الله عن
اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال
له قل له اي شي تريد قال ادم اريد ان اضع ما في بطني من
الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تريد ان تضعه اعلى الفرش
ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا
موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه واله وسلم
ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار
فقيل يا رسول الله كانوا مصلين قال نعم كانوا يصومون ويصلون
وياخذون هنة من الليل فاذا اعرض لهم من الدنيا شي وثبوا عليه
وقال صلى الله عليه واله وسلم في بعض خطبه المومن بين مخافتين بين
اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري
ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته
ومن حيوته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا قد خلقت لكم و
انتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب
ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلم
لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مومن كما لا يستقيم الماء
والنار في اناء واحد وروي ان جبرئيل عليه السلم قال لنوح عليه السلم
يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من

احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى عليه السلم لو اتخذت بيتا فقال
يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه واله وسلم احذروا
الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وروي انه صلى الله عليه واله
وسلم خرج ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب
الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال فيها
امله اعمى الله سبحانه وتعالى قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا
وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية
الا انه سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر
ولا الغنى الا بالفقر ولا البخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن
ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغناء
وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على
العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله بذلك ثواب خمسين
صديقا وروي ان عيسى عليه السلم اشتد به المطر والرعد والبرق يوما
فجعل يطلب بيتا يلجا اليه فرفعت اليه خيمة من بعيد فاتاها فاذا
فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع
يده على راسه وقال الهي جعلت لكل شي ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى
الله اليه ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء
خلقتها بيدي ولاطعمنك في عرسك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا
ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا احضروا عرس الزاهد عيسى
بن مريم عليه السلم وقال عيسى عليه السلم ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها
ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون
وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن اصبحت الدنيا همه
والخطايا عمله كيف يفتضح غدا عند الله بذنبه وقيل اوحى الله الى موسى عليه

يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك و
فارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي
يا موسى اني بمرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاءه بمال من البحرين فسمعت
الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء
قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر
اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان يبسط عليكم الدنيا كما بسطت على
من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال
ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اكثر ما اخاف
عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض
فقال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر
الدنيا فهي عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن ياسر مر عيسى
عليه السلم بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر
الحواريين ان هولاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا
فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه فاوحى الله
اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز
من الارض ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله
فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية
قال وكيف ذلك قال بحبنا للدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف
كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا
ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون

بلجام

بلجام من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم
قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق
على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح عليه السلم للحواريين
لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية
الدنيا والآخرة وروي ان ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العضباء
لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه
وقال عيسى عليه السلم من ذا الذي يبني دارا على امواج البحر تلكم الدنيا
فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلم علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه
قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت
عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون
ما اعلم لخرجتم الى الصعدات ولبكيتم على انفسكم ولتركتم اموالكم بلا حارس
لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة
وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون
فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا
تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم
الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في
امر الدنيا ولا تناصحون في امر الدين ولا يملك احدكم النصيحة لمن
يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم
لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم
طلب الآخرة لانها املك باموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا
نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالشقة

كنز [illegible]

ولا احرار في طلب امر لعلكم لا تكونوا فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم
بما يعرف به الايمان البالغ فيكم وان كنتم في شك مما جاءكم به محمد صلى الله
عليه وآله وسلم فأتونا نطبب لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم
والله ما انتم بالمنقوصة قلوبكم فنعذركم لتبينون صواب الرأي في دينكم
وتاخذون بالرخصة في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه
وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وتظهر
على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون عليها المآتم وعامتكم قد تركوا
كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لارى
الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه
بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم
على الدمن وتصافيتم على رفض الآجل ولوددت ان الله اراحني منكم و
الحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد
اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله استعين على نفسي
وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة
الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

شعر

ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال صلى الله
عليه وآله وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب
واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا
فلن تأتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي
ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال
يا بن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له

وهو

وهو يحب الدنيا وقال علي عليه السلام من جمع ست خصال لم يدع للجنة
مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان
فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا
فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال رجل لعلي عليه السلام يا امير المؤمنين
صف لنا الدنيا فقال وما اصف لك من دار من صح فيها ما امن
ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في
حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له عليه السلام ذلك مرة اخرى
فقال اطول ام اقصر فقال اقصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب
وقال عليه السلام انما هي ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب
ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب و
اشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات
الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال
واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين
احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها واشرف المشمومات المسك وهو
دم حيوان اقول ومن طريق الخاصة عن اهل البيت عليهم السلام في
ذم الدنيا ما فيه بلاغ لقوم عابدين ومطاعن مولانا امير المؤمنين
عليه السلام وناهيك ما في كتاب نهج البلاغة من كلماته عليه السلام في هذا الباب
وقد اسلفنا كلاما له عليه السلام فيه في كتاب العلم من ربع العبادات
عند ذكر علامات علماء الآخرة وفي الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام
قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو محزون فاتاه ملك ومعه
مفاتيح خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض
يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عنده فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له

فقال له الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك
يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجدي اسك ملقى على مزبلة ميتا
فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا لعله لو كان حيا لم يساوي درهما
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده الدنيا اهون على
الله من هذا الجدي على اهله وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان في طلب الدنيا اضرارا بالآخرة وفي طلب الآخرة
اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنه عليه السلام قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لي وللدنيا وما انا والدنيا
انما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال من قيله
القيلولة تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال ما اعجب رسول الله ص
شيء من الدنيا الا ان يكون فيها جائعا خائفا وعنه عليه السلام قال
انه في كتاب علي عليه السلام انما مثل الدنيا كمثل الحية ما الين مسها
وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوي اليها الصبي
الجاهل وعنه عليه السلام قال كتب امير المؤمنين عليه السلام الى بعض اصحابه
يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى غيره
ولا الغنى الا به فان من اتقى الله تعالى عز وقوي وشبع وروي ورفع
عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين
الآخرة فاطفاء بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر
حرامها وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له
منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته من اغلظ ما يجد واخشنه
ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه
على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت

العينان فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له
في الآخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم و
يذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غدا وبعد غد فانما
اهلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله
بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة
وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من
رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله واياك على
طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال علي
بن الحسين عليهما السلام ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة قد ارتحلت
مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من
ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة
الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا
والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن
الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا
هانت عليه المصائب الا ان لله عبادا كمن راى اهل الجنة مخلدين
وكمن راى اهل النار في النار معذبين شرورهم مامونة وقلوبهم
محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا الى
عقبى راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على
خدودهم وهم يجارون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما
النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من
العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا
فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها وعن عبد الله بن شهاب
قال سئل علي بن الحسين عليهما السلام اي الاعمال افضل عند الله تعالى قال ما من عمل

بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من بغض
الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصي الله به
الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص
وهي معصية آدم وحوا حين قال الله تعالى لهما كلا من حيث شئتما ولا
تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل
ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا
حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله
فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة
وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن
كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب
الدنيا راس كل خطيئة والدنيا دنياان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن
جابر قال دخلت على ابي جعفر عليه السلام فقال يا جابر والله اني لمحزون
واني لمشغول القلب قلت جعلت فداك وما شغلك وما حزن
قلبك فقال يا جابر انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل
قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام
اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا
الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم الآخرة يا جابر الآخرة
دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان
المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا
باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة باعينهم ففازوا
بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم واعلم يا جابر ان اهل التقوى
ايسر اهل الدنيا مؤنة واكثرهم لك معونة تذكر فيعينونك وان
نسيت ذكروك قوالون بامر الله قوامون على امر الله قطعوا محبتهم

بمحبة

بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم ونظروا الى الله تعالى والى محبته
بقلوبهم وعلموا ان ذلك هو المنظور اليه لعظيم شانه فانزل الدنيا
كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك فاستيقظت
وليس معك منه شيء اني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل
اللب والعلم بالله كفيء الظلال يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله من
دينه وحكمته ولا تسالن عما لك عنده الا ما له عند نفسك فان
تكن الدنيا على ما وصفت لك فتحول الى دار المستعتب فلعمري لرب
حريص على امر قد شقي به حين اتاه ولرب كاره لامر قد سعد به
حين اتاه وذلك قول الله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق
الكافرين وعنه عليه السلام قال مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز
كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما
وعنه عن عبد الله بن القسم عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا اراد الله
بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن
اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والآخرة وقال ما طلب احد الحق
بباب افضل من الزهد في الدنيا وهو ضد لما طلب اعداء الحق
قلت جعلت فداك مما ذا قال من الرغبة فيها وقال الا من صبار كريم
فانما هي ايام قلائل الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى
تزهدوا في الدنيا قال وسمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اذا تخلى المؤمن
من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند اهل الدنيا كانه
قد خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره
قال وسمعته يقول ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو
وعنه عليه السلام قال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجد الرجل حلاوة الايمان

في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه عليه السلم قال من زهد في الدنيا
اثبت الله الحكمة في قلبه وانطلق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها
ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار السلم وعنه عليه السلم قال
مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله
وعن ابي ابرهيم عليه السلم قال قال ابو ذر رحمه الله جزى الله الدنيا
عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدا باحدهما واتعشا بالاخر
وبعد شملتي الصوف اتزر باحدهما وارتدي بالاخرى وعن الرضا عليه
السلم قال قال عيسى بن مريم عليه السلم للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا
على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا
اصابوا دنياهم قال ابو حامد في ربع الاثار قال لقمن لابنه يا بني
ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فليكن سفينتك فيها تقوى الله
عز وجل وحشوها الايمان بالله عز وجل وشراعها التوكل على الله
لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء
من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس
لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك نفسك في اكله
وصم الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها
النار وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد
الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به
تعب ومن فاته نصب وقد قيل شعر ومن يحمد الدنيا لعيش يسره
فسوف لعمري عن قريب يلومها اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان
اقبلت كانت كثيرا همومها وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها
وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها
كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية

وقال

وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما تزيد
واما تنقص وقال اخر اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت
في غير اهلها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق
من حانوته شيئا فيجيء في طلبك ويأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا
من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا
يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى
وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة
اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم ما حقره الله وقال
ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية
فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل شعر وما المال والاهلون
الا ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع وزارت رابعة اصحابها
فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت لهم اسكتوا عن ذكرها فلولا
موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره
وقيل لابرهيم بن ادهم كيف انت فقال شعر نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فطوبى لعبد اثر الله ربه وجاد بدنياه لما
يتوقع وقيل شعر ارى طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا
وانعما كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما وقيل
ايضا شعر هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم اذن بالزوال وقال لقمن لابنه
بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما
جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين
رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان
الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر

والمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة
فمن اراد شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب ومنها وشتمهم وقيل يا خاطب
الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم ان التي تخطب غدارة قريبة العرس
من المأتم وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الله
الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل وما الناس الا هالك
وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق وقيل يا راقد الليل مسرورا باوله
ان الحوادث قد يطرقن اسحارا افنى القرون التي كانت منعمة كر
الجديدين اقبالا وادبارا يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح
في دنياه سفارا هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس
ابكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ان لا تأمن النارا
وقال ابو امامة الباهلي لما بعث النبي صلى الله عليه واله وسلم اتت
ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا
قالوا نعم قال ان كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان
وانا اغدو عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه
وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وقيل اتقوا السحارة فانها
تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب
الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها
فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك استدبرت
الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها
اقرب من دار تباعد عنها وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت
حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن
يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق

كيف

كيف ينصب وقدم على معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن
الدنيا كيف وجدتها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم بيوم
وليلة بليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا
الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له معوية سل ما شئت
قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة
لي اليك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما سأله طول الوقوف
بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق
به شيء يسوءك وقال اخر لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات
ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم
عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغناء فقال انما نال الغنا من عتق
من رق الدنيا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والاخرة
فاما مؤنة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك
لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليها وقيل
لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له والاخرة لمن هي قال لمن
طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة
دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها فقال ابرهيم بن ادهم لرجل ادرهم
في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال
كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي تحبه
في الاخرة كانك تحبه في اليقظة وقال يحيى بن معاذ العلماء ثلثة
من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه
قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا من شومها ان تمنيك لها يلهيك
عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقيل من اقبل على الدنيا احرقته
نيرانها يعني الحرص يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته نيرانها

فضار سبكة ذهب ينتفع بها ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته **بيان** الموعظة في ذم الدنيا وصفاتها خطب علي عليه السلم يوما فقال في خطبته اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة فكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما كان بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا

العم

اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت بكم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله تعالى يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه واحبائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال عليه السلم ايضا في خطبة اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها والمبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه اقول وفي الكافي عن ابي عبد الله عليه السلم قال فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلم يا موسى لا تركن الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها ابا واما يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اذا لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها يا موسى نافس في الخير اهله واستبقهم اليه فان الخير كاسمه واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها موكل الى نفسه واعلم ان كل فتنة بدؤها حب الدنيا ولا تغبط احدا بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب

لواجب الحقوق ولا تغبطن احدا برضاء الناس عنه حتى تعلم ان الله راض
عنه ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له فان طاعة الناس له واتباعهم
اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه وعنه عليه السلام قال فيما وعظ به
لقمان ابنه يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا
ولم يبق من جمعوا له وانما انت عبد مستاجر قد امرت بعمل ووعدت
عليه اجرا فاوف عملك واستوف اجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة
شاة وقعت في زرع اخضر فاكلت حتى سمنت فكان حتفها عند
سمنها ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها
ولم ترجع اليها اخر الدهر اخربها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها
واعلم انك ستسئل غدا اذا وقفت بين يدي الله تعالى عن اربع شبابك
فيما ابليته وعمرك فيما افنيته ومالك مما اكتسبته ومما انفقته فتاهب
لذلك واعد له جوابا ولا تاس على ما فاتك من الدنيا فان قليل الدنيا
لا يدوم بقاؤه وكثيرها لا يومن بلاؤه فخذ حذرك وجد في امرك
واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك وجدد التوبة
في قلبك واكمش في فراغك قبل ان يقصد قصدك ويقضى قضاؤك
ويحال بينك وبين ما تريد وعنه عليه السلام قال كان ابو ذر رضي الله عنه
يقول في خطبته يا مبتغي العلم كان شيئا من الدنيا لم يكن شيئا الا
ما نفع خيره وضر شره الا من رحم الله يا مبتغي العلم لا يشغلك اهل
ولا مال عن نفسك انت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت
عنهم الى غيرهم والدنيا والاخرة كمنزل تحولت منه الى غيره وما بين
الموت والبعث الا كنومة نمتها ثم استيقظت منها يا مبتغي العلم قدم
لمقامك بين يدي الله تعالى فانك مثاب بعملك كما تدين تدان يا
مبتغي العلم قال ابو حامد قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل

وكونوا

وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا
الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها و
فتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون
اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من
عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة
فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى
وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا
من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف
ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فيدعى
لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى ولماله احصى
ثم يقال قد ثقل لسانه فلا يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند
ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت
ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان
وهذا اخوك فلان منعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا
ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج
بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك
وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى
مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان
احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته
منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او
تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه
بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما
تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره

وبيناهي تبكي له اذا ابكت عليه وبيناهي تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها
بالاسترداد تعقد التاج براس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا
سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب
خلفا وترضى بكل من كل بدلا وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل
موسى وهرون عليهما السلم الى فرعون قال لهما لا يروعكما لباسه
الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا
يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا
وزينة المترفين ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون
حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن
ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها
كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها
كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذلك لهوانهم على
ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي
بالذل والخشوع والخوف والتقوى تنبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم
فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي
يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون
ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم
فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اذى لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيمة وقال بعض
الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه
ويخرمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك
مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك ولو كشف لك عما احدثت
الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت

ممر

ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد
طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصف
لعيوبها بظاهر افعالها وما تاتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ
فنستوهب الله رشدا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا
وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذي ترجع اليك فيه طرفك لان
ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم
مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير
والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول
والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب بعضهم فقال يا
ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانتم حمقى وان
كنتم تكذبون به فانكم لهلكى وقال محمد بن الحسين لما علم اهل العقل
والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم
يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه
واله زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها وقال كلوا منها قصدا وقدموا
فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر
العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا الى الدنيا
بعين انها فانية والى الاخرة بعين انها باقية فتزودوا من
الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى
الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها
بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا
طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا
ما كره لهم **بيان** صفة الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة
الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها

فترها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا
ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يتحسر عند
انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن
في الظاهر لا تدرك حركتها بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما
ذكرت الدنيا عند بعضهم انشد وقال شعر احلام نوم او كظل زائل
ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن علي عليهما السلم يتمثل بهذا
البيت شعر يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق
وكان يروى انه له ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما
فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته
الشمس فانتبه وقام وهو يقول شعر الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد
يوما ان ظلك زائل ولذلك قيل وان امرا دنياه اكبر همه لمستمسك
فيها بحبل غرور مثال اخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم
الافلاس منها بعد افلاتها يشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الدنيا حلم واهلها عليها
مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا
الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك اذا
انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس في ايديهم
شي مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شي اشبه بالدنيا فقال
احلام النيام مثال اخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها
اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك
اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان
عيسى عليه السلم كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز هتماء عليها من كل
زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك

اوكلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال لها عيسى عليه السلم بؤسا لازواجك
الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون
منك على حذر مثال اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم
ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة
تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن
وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف
عقولهم في الاغترار بظواهرها وعن ابن عباس قال يؤتى بالدنيا
يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة
خلقها فتشرف على الخلايق فيقال لهم هل تعرفون هذه فيقولون
نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها
وبها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم
يقذف بها في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله
عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بن عياض بلغني
ان رجلا عرج بروحه الى السماء فاذا امراة على قارعة الطريق
عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته
فاذا هي ادبرت كانت احسن شي راه الناس واذا اقبلت كانت اقبح
شي راه الناس عجوزا شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك
قالت لا والله لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت
من انت قالت انا الدنيا مثال اخر للدنيا وعبور الانسان بها اعلم
ان لك احوالا ثلثة حالة لم تكن فيها شيا وهي ما قبل وجودك الى
الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد
وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا
فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل

من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لي
وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له
شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين
لم يركن الى الدنيا ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة
ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة ورأى صلى الله عليه وآله وسلم بعض
اصحابه يبني بيتا من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر
ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا
تعمروها وهذا مثال واضح فان الحيوة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد
هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة
قريبة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها
ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل
عنها وكيف ما كان فلا بد له من العبور فالبناء على القنطرة وتزيينها
باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان **مثال آخر**
للدنيا في لين مأخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل امور الدنيا
تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خفضها كحلاوة الخوض
فيها وهيهات فان الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة
شديد وقد كتب علي عليه السلام الى سلمان الفارسي رضي الله عنه بمثالها
فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك
منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها
وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها
الى سرور اشخصته عنك مكروهة والسلام **مثال آخر** للدنيا في تعذر
الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما

مثل

مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان
لا يبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا
بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وتلك مكيدة
من الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها
فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتزق بالقدم فكذلك
ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع
الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى صلوات الله عليه بحق اقول لكم
كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة المرض كذلك صاحب
الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا
بحق اقول لكم الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك
القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول
لكم ان الزق ما لم ينخرق او ييبس يوشك ان يكون وعاء العسل كذلك
القلوب ما لم تخرقها الشهوات ويدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون
اوعية للحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انما بقي من الدنيا بلاء
وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله
واذا خبث اعلاه خبث اسفله **مثال آخر** لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة
الى ما سبق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب
شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط
ان ينقطع **مثال آخر** لتأدية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك
قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا
ازداد عطشا حتى يقتله **مثال آخر** لمخالفة آخر الدنيا اولها ولنضارة
اوائلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة
كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا

في قلبه من الكراهية والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في
المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة
كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ
واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا
مشاهدة فان من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله فتكون مصيبته
والمه وتفجعه في كل ما فقده بقدر لذته فيه وحبه له وحرصه عليه
فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر
وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح و
قزح ثم تشرب اللبن عليه والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت
يا رسول الله قال فان الله عز وجل قد ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه
طعام ابن ادم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم
ابن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا مثلا فانظر الى ما يخرج
من ابن ادم وان قزحه وملحه قيل قد رايتهم يطيبونها بالافاويه
والطيب ثم يرمون به حيث رايتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان
الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه قيل لبعضهم اذا اقضى احدنا حاجته
فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك ليقول له هذا ما بخلت به
انظر الى ما ذا صار **مثال اخر** في نسبة الدنيا الى الاخرة قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل
احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل **مثال اخر**
للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وخسرانهم
العظيمة بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا
سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة

وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة
فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ
اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر
الى ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها
الطيبة والحانها الموزونة الغريبة فصار يلتقط من احجارها
وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر
العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها
ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا
ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار
واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في
السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه
ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها ولم يجد في السفينة مكانا
لوضعها فحملها في السفينة على عنقه وهو متاسف على اخذها وليس ينفعه
التاسف وبعضهم تولج في الغياض ونسي المركب وسيره عاجلا وبعد
من متفرجه ومتنزهه منها حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل
تلك الثمار واستشمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو
مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات و
النكبات ولا ينفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه
وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق
ثيابه ويهتك عورته ويمنعه من الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء
السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي
على شاطئ البحر حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغهم النداء وسارت
السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك

ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف
المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من ازهارها والحجارة
المزججة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها
وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكلت
الوان الاحجار فظهر نتن رائحتها فصار مع كونه مضيقا عليه متاذيا
بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هاربا منها
وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت
عليه من السقام بتلك الروايح فبلغ سقيما مدنفا ومن رجع
قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما
وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل
الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم
بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن
عاقبة امورهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض
وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الحياة الدنيا وشيء
منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال
شاغل له بالخوف والحزن عليه وهذا هو حال الخلق كلهم
الا من عصمه الله عز وجل **مثال اخر** لاغترار الخلق بالدنيا
وضعف ايمانهم بقول الله تعالى في تحذيره اياهم عن غوائل الدنيا
ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم
ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا
منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني
المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبيناهم كذلك اذ خرج
عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف وما

جاءكم

جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا
قال على ما انتم فقالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء
ورياض ورياحين خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال اعطوني
عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه
شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله
ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء
ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا
هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت
طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله
ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في
اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدر بهم عدو فاصبحوا بين اسير
وقتيل **مثال اخر** لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فواتها اعلم ان
مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل بنى دارا وزينها وهو
يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد
داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه
لا ليتملكه وياخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك له فتعلق
به قلبه لما ظن انه فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما
برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك
من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين
لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون
بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فواتها
فهذه امثلة الدنيا وافاتها وغوائلها **اقول** وهنا مثال اخر اورده شيخنا
الصدوق رحمه الله في كتاب اكمال الدين واتمام النعمة ناقلا عن بعض

الحكماء لا بأس بإيراده وهو هذا **مثال آخر** لما اشتبه حال الانسان في اغتراره
بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات
العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص مدلّى في بئر مشدود
وسطه وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه
فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزال
يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ولا يفتران عن قرضه آناً من الآنات
وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل
آناً فآناً قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه
واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه متلذذ بما
اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله باجمعه الى ذلك
غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر
والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان
للاعمار والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات
والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشد
انطباق هذا المثال على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة ونعوذ
به من الغفلة والغواية **بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد**
اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي
وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد ان نبين
الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله
عز وجل فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك
فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر
يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب
وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان

جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة اقسام
القسم الاول ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو
شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله
وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه
واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله وقد يأنس العالم بالعلم
حتى يصير ذلك الذّ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في
لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا
ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلاً بل قلنا
انه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث
لو منعت عنه لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم
ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل
وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود
في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل
فاسم الدنيا قد ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا
لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حبّب
الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة
من جملة ملاذ الدنيا ذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة
فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح
بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا
الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه
ليست من الدنيا **القسم الثاني** وهو المقابل للقسم الاول على الطرف
الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلاً كالتلذذ
بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات

الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري
والخيول والمواشي والقصور والدور المشيدة ورفيع الثياب ولذائذ
الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد
فضولا او في محل الحاجة نظر طويل القسم الثالث وهو متوسط
بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الاخرة كقدر
القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه
ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا
ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة
اليه فمهما تناوله العبد من الدنيا على قصد الاستعانة بها على العلم
والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان
باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم
الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث
صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله
وحبه لله واعلم ان صفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن
شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب
لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر وهذه
الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات
الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات
اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الخبر ان اعمال
العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل
يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث
واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة

الله

اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل
الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه
روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن
الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من
السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع
امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا
ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه
وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وقد قيل في ذلك
ما حال من كان له واحد يوخذ منه ذلك الواحد وليس
الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن
سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات
الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا
ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة
البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن
ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه
الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا
وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك على قصد
التنعم ولحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها
الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب
الله في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات
العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان
طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن
نوقش في الحساب فقد عذب فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله

حلالها حساب وحرامها عذاب فقد قال ايضاً حلالها عذاب يعني الحساب
فان الحساب عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو
لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما
يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء
لها هو ايضاً عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى
اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنياوية كيف يتقطع قلبك عليها
حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها او منغصة بكدورات
لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها
وتنقطع الاذهان والدهور دون غايتها وكل من تنعم في الدنيا
ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فهو
ينقص من حظه في الآخرة اضعافه والتعرض لجواب السؤال فيه ذل
وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ فالدنيا
قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله
فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن
كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع رأسه
على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال يا ابن مريم رغبت في
الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس من لذايذ
الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا
وشدة فان الصبر عن لذايذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى
الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فكان يطوي اياما
وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن
على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظراً لهم وامتنانا
عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه

ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحباً له لا بخلاً به عليه وقد
عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا
فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء ثلاثة اقسام منها ما لا
يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات
وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا
صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهي
ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فهذه الثلاث اذا جرت سراً
ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الآخر فهي لله وليست
من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب
القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوات
حفظ المال والحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار
هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله ومنها
ما صورتها لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله وذلك كالاكل
والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ
النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى
فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وآله
وسلم من طلب من الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه
غضبان ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم
القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد
فاذن الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة
ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى واعلم ان مجامع الهوى خمسة امور وهي
ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة

وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل
هذه الامور الخمسة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده
حسن المآب فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر
ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس فهو لله ان قصد به
وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم و
الضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف
يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة
غير ممكن وطرف يتاخم جانب التنعم ويقرب منه فينبغي ان
يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان
يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة
ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى
حد الضرورة حتى ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون
لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فياتي عليه السنة
والسنتان والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان
الى المسجد وياوي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه
ان يلتقط النوى فكلما اصاب الحشف خبأه لافطاره فان اصاب
ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما يقوته من
الحشف باع بالنوى واشترى ما يقوته وكان لباسه ما يلتقط
الى المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها
الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان
فيرجمونه بالحجارة ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان

كنتم

كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان ترموني فيحضر وقت
الصلوة ولا اصيب الماء وهكذا كانت سيرته ولهذا عظم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب
اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن الخطاب قال يا ايها الناس من
كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من
اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من من مراد فجلسوا فقال
اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له
عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه
له فقال نعم وما تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه
ولا اجن منه ولا احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر ثم قال ما قلت
الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يدخل في
شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول
من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا
القرني واسال عنه حتى سقطت عليه فوجدته جالسا على شاطئ الفرات
نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي
فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية عليه ازار
من صوف ورداء من صوف متغير اللون جدا كريه الوجه متهيب المنظر
قال فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر الي فقلت حياك الله من رجل
ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس
وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي
عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت فحياك
الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت
الله عز وجل فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا

لنفسي لا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك ولا راني
فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال
نبانی العليم الخبير عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان
الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المومنين ليعرف بعضهم بعضا
ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان
نات بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله
عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بحديث اسمعه منك قال اني
لم ادرك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولم يكن لي معه صحبة
بابي وامي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولكن رايت رجالا قد صحبوه
وبلغني من حديثه نحوا مما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب
على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا وفي نفسي شغل شاغل
عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي اية من القران
اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني
احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطي
الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم
بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه
واصدق الكلام كلامه ثم قال وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما لاعبين وما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون
حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه
قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك
ان تموت انت فاما الى الجنة واما الى النار ومات ابوك ادم وماتت
امك حوا ومات نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى
نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه واله

رسول رب العالمين ومات ابو بكر ومات عمر بن الخطاب قال واعمراه
واعمراه فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال وقد نعاه الي ربي ونعاه
الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي
ثم دعا لي بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم
بن حيان كتاب الله تعالى ونعي الصالحين المومنين فقد نعيت الي
نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق عليك طرفة عين ما بقيت
وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح لامة جميعا واياك ان
تفارق الجماعة بقدر شبر فيفارقك دينك وانت لا تعلم فتدخل النار
يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه
يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي
في دارك دار السلم واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم
عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا
فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه
عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلم عليك
ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله لا تطلبني فاني
اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هولاء
الناس ما دمت حيا فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال
وان لم ارك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك
ان شاء الله انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان
امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في
قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت
احدا يخبرني عنه بشي رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الاخرة
المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان ذم الدنيا ومن

سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء
الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الاخرة وهو كل ما
اريد به وجه الله عز وجل مما يوخذ بقدر الضرورة من الدنيا
لاجل قوة طاعة الله عز وجل فذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا
بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج
بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل
ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك
البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته
على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الاخرة لا من الدنيا نعم
اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا
عن الاخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني
شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة منا ديا
وانا بين اليقظة والنوم يقول الا ان من اخذ من الدنيا اكثر مما
يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه هذا بيان حقيقة الدنيا في حقك

بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى

انستهم انفسهم وخالقهم وموردهم ومصدرهم اعلم ان الدنيا عبارة
عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل
فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس كذلك
اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها
قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا فالارض فراش للادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها
لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلثة اقسام المعادن
والنبات والحيوان اما النبات فيطلبها الادمي للاقتيات وللتداوي

واما المعادن فيطلبها الادمي للالات والاواني كالنحاس والرصاص
او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان
فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للماكل و
ظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك
ابدان الناس ليستخدمهم ويتسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري
والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها فيغرس فيها التعظيم والاكرام
وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الادميين
فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن
وفيه تنبيه على غيرها من اللالي واليواقيت والخيل المسومة والانعام
وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي
اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو
حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او
المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب
المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والريا والسمعة وسوء الظن
والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا
الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها والعلاقة الثانية
مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه
وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون
بها والخلق انما نسوا انفسهم ومالهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين
العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو
عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان

التي سميتها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي تسير بها الى الله تعالى
واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا
يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في
نفسه وتسلكه مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال
يعلف الدابة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل
اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو
غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع
هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى
به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة
بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الاخرة لا يشتغل بتعهد
البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق
بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن واكثر ما شغل
الناس عن الله هو البطن فان القوت ضروري وامر الملبس والمسكن
اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها
لم تستغرقهم اشغال الدنيا فانما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها
وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا
واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في
كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا
وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى
يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله وكيف انستهم
عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات
والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان
الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء

والملبس

والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لذلك ولدفع اسباب الهلاك عن
الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث
يستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق الله ذلك للبهائم فان
النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في ابدانها
فتستغني عن البناء وتقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها
فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى
خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية
وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء
فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة
فللمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهي ايضا للمطعم والمركب والاقتناص
نعني به تحصيل ما خلق الله من صيد او معدن او حشيش او حطب
فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص
يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنعة ادمي وكذلك ما يأخذ من معادن
الارض ما يخلق فيها من غير صنعة ادمي ونعني بالاقتناص ذلك
وتحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات افتقرت الى ادوات
والات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والالات انما تؤخذ
اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص
وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من
الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الالات ونعني
بالنجار كل عامل على خشب كيفما كان وبالحداد كل من يعمل على جواهر
المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما
احاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات
واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش

وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما
حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع
الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم
والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد
لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع
مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم يجتمع
طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى
الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلات ويحتاج الآلة الى حداد ونجار
ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس
وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة
فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات
ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا
الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الاثاث
والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع اذى الجيران من اللصوصية
وغيرها ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص من
خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن
بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما
اجتمع الناس في البلاد والمنازل وتعاملوا تولدت بينهم خصومات
اذ تحدث بينها رياسة وولاية الزوج على الزوجة وولاية للابوين
على الولد لانه ضعيف يحتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية
على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها
قوة المخاصمة وان ظلمت واما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم
الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات

ويتنازعون

ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة و
ارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي
باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة
بعمى او مرض او هرم او تعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك و
لو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه
لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع
صناعات اخر فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض ليتمكن
القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع
اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط بينهم لفصل الخصومة و
منها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط
به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو
معرفة حدود الله في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية
لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التميز
والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعات اخرى
ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد
بالحرب مثلا مع الاعداء تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب
والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس و
استضر الخلق فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم
الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنائم
ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا
بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة
الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فيحدث الحاجة
الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ

يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهم القابض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة ولا ينخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هولاء ايضا يحتاجون الى المعيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتداء الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا ينتهي الى حد غير محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات فالمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهو الدور ثم الامكنة

التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب الة الصيد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان اليه ويحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بالته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت ولا يحتاج اليه فيتعوق الاغراض فاضطر الى حانوت يجمع الة كل صنعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى ابنار يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريها منه صاحب الابنار ليترصد به ارباب الحاجات فيظهر لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها لانتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون بها ويتعيشون به لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد فيه كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع الطريق واما سلطان

ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهالتهم نظاما للبلاد ومصلحة
للعباد بل جميع امور الدنيا انتظم بالغفلة وخساسة الهمة ولو
عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك
لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه
الاموال التي ينقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب
يحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه و
بين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب
ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد
ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه
من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب
بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم
عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالآخر فيطلب
ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول
بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت
النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب
والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة
وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى ينتهي
الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه
الحرف لا يمكن مباشرتها الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي
الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه منه
مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان
ياكل مما سعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية
والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون

عن

عن اللصوص والمكدين ويحفظون منهم اموالهم فافتقروا الى صرف
عقولهم الى استنباط الحيل والتدبيرات اما اللصوص فمنهم من
يطلب اعوانا ويكون في يده شوكة وقوة فيجتمعون ويكاثرون
ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون
الى الحيل اما بالنقب او التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان
يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب
ما انتجته الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا
طلب ما سعى فيه غيره فقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك
وللبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال و
تمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما
بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا
بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض و
اظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابته من
غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون افعالا
واقوالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى
تسخو برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد
زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة
والشعبذة والافعال المضحكة مثل النوارج والعجائب وقد يكون
بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت و
الشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب
متعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت عليهم السلام
او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في
الاسواق وتسليم ما يشبه العوض كبيع التعويذات والحشائش التي من

تخيل الیها ادویة فیخدع بها الصبیان والجهال وکاصحاب القرعة والفال والزجر من المنجمین ویدخل فی هذا الجنس الوعاظ المتکدون علی رءوس المنابر اذا لم یکن وراءهم طائل علمی وکان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم بانواع الکدایة تزید علی الالف والالفین وکل ذلک استنبط بدقیق الفکر لاجل المعیشة فهذه هی اشغال الخلق واعمالهم التی اکبوا علیها وجرهم الی ذلک کله الحاجة الی القوت والکسوة ولکن نسوا فی اثناء ذلک انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الی عقولهم الضعیفة بعد ان کدرها زحمة اشغال الدنیا خیالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم علی عدة اوجه فطائفة غلب علیهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعینهم للنظر الی عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعیش ایاما فی الدنیا فنجتهد حتی نکسب القوت ثم ناکل حتی نقوی علی الکسب ثم نکسب حتی ناکل فیاکلون لیکسبوا ویکسبون لیاکلوا وهذه مذاهب الفلاحین والمحترفین ومن لیس له تنعم فی الدنیا ولا قدم فی الدین فانه یتعب نهارا لیاکل لیلا ویاکل لیلا لیتعب نهارا وذلک کسیر السوانی فهو سفر لا ینقطع الا بالموت وطائفة اخری زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه لیس المقصود ان یشقی الانسان بالعمل ولا یتنعم فی الدنیا بل السعادة فی ان یقضی وطره من شهوات الدنیا وهی شهوة البطن والفرج فهولاء طائفة نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الی اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة یاکلون کما تاکل الانعام ویظنون انهم اذا نالوا ذلک فقد ادرکوا غایات السعادات فشغلهم ذلک عن الله والیوم الاخر وطائفة ظنوا ان السعادة فی کثرة المال والاستغناء بکثرة الکنوز فاسهروا لیلهم

ونهارهم فی الجمع فهم یتعبون فی الاسفار طول اللیل والنهار ویترددون فی الاعمال الشاقة ویکتسبون ویجمعون ولا یاکلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا علیها ان تنقص وهذه لذتهم وفی ذلک دابهم وحرکتهم الی ان یدرکهم الموت فیبقی تحت الارض او یظفر به من یاکله فی الشهوات واللذات فیکون للجامع تعبها ووبالها وللاکل لذتها وحسابها ثم ان الذین یجمعون ینظرون الی امثال ذلک فی اشباههم وامثالهم ولا یعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة فی حسن الاسم وانطلاق الالسن بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهولاء یتعبون فی کسب المعاش ویضیقون فی انفسهم فی المطعم والمشرب ویصرفون جمیع مالهم الی الملابس الحسنة والدواب النفیسة ویزخرفون ابواب الدور وما یقع علیه ابصار الناس حتی یقال انه غنی وانه ذو ثروة ویظنون ان ذلک هو السعادة فهمتهم فی لیلهم ونهارهم فی تعهدهم موقع نظر الناس وطائفة اخری ظنوا ان السعادة فی الجاه والکرامة بین الناس وانقیاد الخلق بالتواضع والتوقیر فصرفوا هممهم الی استجراد الناس الی الطاعة بطلب الولایة وتقلد الاعمال السلطانیة لینفذ بها امرهم بها علی طائفة من الناس ویرون انهم اذا اتسعت ولایتهم وانقادت لهم رعایاهم فقد سعدوا سعادة عظیمة وان ذلک غایة المطلب وهذا اغلب الشهوات علی قلوب المتغافلین من الناس فهولاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفکر فی اخرتهم ومعادهم ووراء هذا طوائف یطول حصرها علی نیف وسبعین فرقة کلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبیل وانما جرهم الی جمیع ذلک حاجة المطعم والملبس والمسکن فنسوا ما یراد له هذه الامور الثلثة والقدر الذی یکفی منها وانجرت بهم اوایل اسبابها الی

او اخرى هادوا وتداعت لهم ذلك الى مهاوى لم يمكنهم الرقى منها فمن عرف
وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود
منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده عالم
بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت
والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت
الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت الهمة
الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال
وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فيتشعب به الهموم
ومن تشعب به الهموم فى اودية الدنيا فلا يبالى الله فى اى واد
اهلكه فهذا شان المنهمكين فى اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة
فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان فلم يتركهم واضلهم فى الاعراض
ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء
ومحنة وان الاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد
فى الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب فى ان يقتلوا انفسهم للخلاص
من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من عباد الهند فهم يتهجمون
على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص
لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد
اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية و
ان السعادة فى قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة
فشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد
عقله وجن وبعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة وبعضهم
عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان
الشرع تلبيس لا اصل له فوقع فى الالحاد والزندقة وظهر لبعضهم ان هذا

التعب

التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص
ولا يزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة
وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم
ومعرفتهم بالله عز وجل فاسقطوا عن نفوسهم بجهلهم التكليف و
العبادة حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظن
طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد
بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد
الوصال يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعى والعبادة وزعموا
انه ارتفع محلهم فى معرفة الله ان يمتحنوا بالتكاليف وانما التكليف
على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة و
خيالات فاسدة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة
وانما الناجى منها فرقة واحدة وهى السالكة ما كان عليه رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا
يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات
فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا
يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شئ من الدنيا ولا يطلب
كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظ على
حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن
المسكن ما يحفظ به من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك
حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل
بالذكر والفكر طول العمر وبقى ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا
لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا
بالاقتداء بالفرقة الناجية او لا سوقد عرفت معنى الفرقة الناجية فى

في كتاب قواعد العقايد من ربع العبادات قال وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله المستعان لا رب سواه وصلى الله على محمد واله اجمعين هذا اخر كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم حب المال والبخل والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا

م م

م

كتاب ذم حب المال والبخل وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا **اما بعد** فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة لاحد منها فان فقدت فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجدت حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المسائل المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة اذ الدنيا

تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض فهي من الدنيا كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم فنشرحه في فصول وهي اربعة عشر فصلا وهي بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم بيان ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال الله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في

ذريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم هلك الاكثرون مالا الا من قال به في
عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك
اشر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم سياتي بعدي قوم يأكلون
اطايب الطعام والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين
الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل
لا يشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون
اليها اتخذوها الهة من دون الههم وربا من دون ربهم الى امرهم ينتهون
وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان
من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم
ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ومن فعل ذلك فقد اعان على هدم
الاسلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ
من الدنيا فوق ما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وآله
دعوا الدنيا يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت
به فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله
مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله
قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب
ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
اخلاء ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره و
الثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه
الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون
لعيسى بن مريم مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما
منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسن قال لكنهما عندي والمدر سواء

وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي
شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يجاء بصاحب
الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفا به الصراط
قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا
الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله
ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل
وكلما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنا ومدح الفقر يرجع
جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا
فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما
نذكر الان ما ورد في المال خاصة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات
العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وآله
وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروي انه وضع علي عليه السلام درهما
على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وقيل ان اول ما
ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما
وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب
فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته
قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال ايضا مصيبتان لم يسمع الاولون
والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ
منه كله ويسأل عنه كله وقيل ما اعز الدرهم احد الا اذله الله
وقال العلاء بن زياد تمثلت الى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ
بالله من شرك قالت ان سرك ان يعيذك من شري فابغض الدينار
والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر
عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل شعر اني وجدت فلا تظنوا غيره ان التورع

عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان ثمّ تلك تقوى المسلم وقال غيره لا يغرّنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه انه قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيّه او ورعه

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

اعلم ان الله سبحانه قد سمّى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصيّة الاية وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلّما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربّك وقال تعالى ممتنّا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وافاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشرّ من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس هو بخير محض ولا هو شرّ محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرّة ويذمّ اخرى ولكن البصير المميّز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد ممّا ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا داب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدّهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلث وسايل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل

البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة والخارجة اخسّها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فايدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما يحصل له الغرض محمودا في حقه فاذن المال الة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ الة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادّة عن سعادة الاخرة ويسدّ سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر ممّا يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر ولمّا كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهّلا لها والة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شرّه حتى قال نبينا صلى الله عليه واله وسلم اللهمّ اجعل قوت ال محمّد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحّض خيره وقال اللهمّ احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم صلوات الله عليه

فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وفي بعض التفاسير انه عنى به
هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى
عليها ان تعتقد الالهية في شيء من الحجارة وانما معنى عبادته حبه و
الاغترار به والركون اليه قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد
الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس ولا انتعش واذا شيك
فلا انتقش بين به ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل
من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان
شرك خفي لا يوجب الخلود في النار فقلما ينفك عنه المؤمنون فانه
اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان
تفصيل آفات المال وفوائده** اعلم ان المال مثل حية فيها سم
وترياق ففوائدها ترياقها وغوائلها سمومها فمن عرف غوائلها
وفوائدها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد
فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها
فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا
على طلبها واما الدينية فينحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الاول**
ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في
العبادة فهو كالاستعانة على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما
الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما
فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح
وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا
الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو
عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من
الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة

فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى الناس وهي
اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما
الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها
فيما تقدم واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف
في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل
الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية
اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء
ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف
ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه
فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من
غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل
المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم
وهذا ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة
وكيف لا يكون كذلك وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة والاحتراز
عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمله في المكافاة والانتقام على
مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج
اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته
وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى
مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة
نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي
يحتاج اليه فكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت
مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا

يتصدق ان يقوم به غيره فتضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث**
ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد و
القناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك
من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد
الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك
به خيرا فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ
العاجلة من الخلاص من ذل السوال وحقارة الفقر والوصول الى
العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء و
الوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ
الدنيوية واما الافات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة **الاول**
انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء
وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان ايسا عن
نوع من المعصية لم يتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت
الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب
الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر
مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء **الثاني** انه يجر
الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال
على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة
كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم
بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا اليه لا يصبر عنه
ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه
بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة
والكذب والنفاق وساير الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر

ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس
فلا بد وان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان من
الافة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه الافة اصلا
ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشا عليه الحسد و
الحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي
التي تخص القلب واللسان ولا تخلو عن التعدي ايضا الى ساير الجوارح
وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه **الثالث**
وهو الذي لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن
ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك
قال عيسى عليه السلام في المال ثلث افات ان ياخذه من غير حله فقيل
ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه
فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان
اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي
قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح
ومحاسبته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة
اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة
وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا
في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال
وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن
كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما
يصرفه اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع
اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي
معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدنيوية

سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم
والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها
فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه
سموم وآفات

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر
ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت
الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه
ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله
قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه
بما بعد الشهر فان تشوق الى الكثرة او طول الامل فاته عز القناعة
وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص ويجره الحرص والطمع الى
مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل
الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا
يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابي
واقد قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اوحي اليه
اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل
يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن
ادم واديا من ذهب لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان له الثاني
لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب
ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهومان
لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وآله وسلم
يهرم ابن ادم ويشب منه اثنتان الامل وحب المال وكما قال ولما

كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله
على القناعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام
وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد
غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس
ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس
اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد
من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان
موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال اي رب اي عبادك اغنى قال اقنعهم
بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن
مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث
في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا اشتد بك الجوع فعليك
برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وعنه صلى الله عليه وآله وسلم
كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قانعا تكن اشكر الناس واحب
للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال
اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا
واجمع الياس عما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا
تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا
تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه وقال قائل منا قد بايعناك

فعلى ماذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيا والصلوات الخمس
وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيا قال
ولقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان
تناوله اياه الاثار قيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك و
رضاك بما يكفيك وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي
يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقيل لحكيم ما مالك
قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس
ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك منها
الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على
غيرك فانا اليك محسن وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايها
اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها
له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت
اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى
الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم
المفرط وقد قيل شعر افد بال فتى يمسي على ثقة ان الذي قسم الارزاق
يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس
يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في دهره شيا يورقه
وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب
يطلبك ما لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكل ما قد غاب عنك
قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا
محروما او زاهدا مرزوقا شعر اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا
كانك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت
وفي لسان الطير حكي ان رجلا صاد قبرة قالت ما تريد ان تصنع بي

قال

قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع
ولكن اعلمك ثلث خصال هن خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك
وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا
صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها
فلما طارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا
يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل وقالت يا شقي لو ذبحتني
لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال
فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة فقالت انت قد نسيت
الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك
ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون الا ان لحمي ودمي وريشي لا يكون
عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون
مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال ضرب لفرط طمع الادمي فانه يعميه
الطمع عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون وقال عبد الله بن سلام
لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد ان وعوه وعقلوه قال
الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل للفضيل فسر لي قول
كعب قال يطمع الرجل في الشي فيطلبه فيذهب عليه دينه حتى يحيل
له واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها
شي ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا اقضاها
لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن
حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه
لله تعالى ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال
هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان قال بعض الحكماء
من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن

في تقوية خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة
التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب
فقلت له من اين تأكل فقال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق
الرحا وهو يأتيها بالطحين وأومى بيده الى رحا اضراسه **بيان**
علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة
اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع
ذلك خمسة امور **الاول** وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق
في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب
الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فان من كثر خرجه و
اتسع انفاقه لم يمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع
بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما
امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد منهم الى
هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال
في الطلب فالاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني به الرفق
في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما عال
من اقتصد وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث منجيات خشية الله
في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا و
الغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض
ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من
بضع وعشرين جزء من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال النبي
من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله عز وجل احبه الله

وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله
لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور **الثاني** انه اذا
تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب
لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق
الذي قدر له لا بد وان يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص
ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله
تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان
يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار
فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال
طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتمال
التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا
يكون وفي مثله قيل **شعر** ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر
فالذي فعل الفقر وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان تلده
امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بابن مسعود وهو حزين فقال لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق
يأتك وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه
ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه
ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا
بحسن ثقته بتدبير الله في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة
مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا
يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي

ان يضطرب قلبه لاجله قال صلى الله عليه وآله وسلم ابى الله ان يرزق عبده المؤمن
الا من حيث لا يحتسب وقال بعضهم اتق الله فما رايت تقيا محتاجا
اى لا يترك التقى فاقدا لضرورة بل يلقى الله في قلوب المؤمنين ان
يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل قلت لاعرابي من اين معاشك قال
نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري
لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن
اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا منها
هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي
لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء
من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر

الثالث ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص
من الذل فاذا تحقق له ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص
لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر
عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب
الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والاثم ثم
يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه
كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة
وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو
ركيك العقل ناقص الايمان قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عز المؤمن
استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن
عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت
فانت اميره **الرابع** ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس
والحمقى من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال

الانبياء والاولياء والى سمت الصحابة والتابعين وليستمع احاديثهم ويطالع
احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او على
الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه
بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن
فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه
وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود والنصارى من هو اعلى رتبة
منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء

الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال
وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن
والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة
عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة
الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى
من هو دونه في الدنيا لا الى من هو فوقه فان الشيطان ابدا يصرف
نظره في الدنيا الى من هو فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب
الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى
من هو دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان
اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم
تريد ان تتميز عنهم بالشقاء قال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم
ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وعنه
صلى الله عليه وآله وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال
والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور
يقدر على اكتساب خلق القناعة وعمادها الصبر وقصر الامل وان يعلم
ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض

الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه فى انتظار الشفاء **بيان فضيلة السخاء**
اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغى ان يكون حال العبد القناعة
وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغى ان يكون حاله الايثار و
السخاء واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من
اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبى صلى الله عليه
واله وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدليات
الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال
جابر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال جبرئيل قال الله تعالى
ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق
فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعنه صلى
الله عليه واله وسلم ما جبل الله اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق و
عن جابر قال قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال الصبر والسماحة
وعنه صلى الله عليه واله وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان
يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق
والسخاء واما اللذان يبغضهما الله عز وجل فسوء الخلق والبخل فاذا
اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام
بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلنى على عمل
يدخلنى الجنة قال ان موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء
السلام وحسن الكلام وعنه صلى الله عليه واله وسلم يقول الله تعالى اطلبوا
الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى اكنافهم فانى جعلت فيهم
رحمتى ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تجافوا عن
ذنب السخى فان الله اخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى

الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى
ليباهى بمطعم الطعام الملائكة وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله تعالى
جواد يحب الجواد ويحب معالى الاخلاق ويكره سفسافها وقال
انس ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا
الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من
شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى
عطاء من لا يخشى الفاقة وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان لله عبادا يخصهم
بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى
عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى قال اتى رسول الله صلى الله عليه واله
باسارى من بنى العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال على بن ابى طالب
عليه السلام يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما
بال هذا من بينهم فقال النبى صلى الله عليه واله وسلم نزل على جبرئيل
عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاوته وقال
صلى الله عليه واله وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح
وعنه صلى الله عليه واله وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء
وقال صلى الله عليه واله وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة
الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال
عيسى عليه السلام استكثروا من شئ لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف
وعنه صلى الله عليه واله وسلم الجنة دار الاسخياء وعنه صلى الله عليه واله وسلم
ان السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من
النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب
من النار وجاهل سخى احب الى الله من عابد بخيل وادوى
الداء البخل وقال النبى صلى الله عليه واله وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله

والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم
تصب اهله فانت من اهله وقال صلى الله عليه واله وسلم ان بكلاء
امتي لم تدخل الجنة بصلوة ولا بصيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس
وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان الله
عز وجل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب
اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ونشر عليهم اعطاءه كما نشر
الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال صلى الله
عليه واله وسلم كل معروف صدقة وكلما انفق الرجل على نفسه واهله
كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل
من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه واله وسلم كل معروف
صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال
صلى الله عليه واله وسلم كل معروف فعلته الى غني او فقير فهو صدقة وروي
ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلم لا تقتل السامري فانه
سخي وقال لجابر بعث رسول الله صلى الله عليه واله بعثا عليهم قيس
بن سعد بن عبادة فجهد وافجرهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك
البيت وقال علي عليه السلم اذا اقبلت الدنيا فانفق منها لا تفنى واذا
ادبرت عنك وانفق منها فانها لا تبقى وانشد شعر لا تبخلن بدنيا
وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى
ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وسال معوية
الحسن بن علي عليه السلم عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة
فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن
المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر

في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السوال والاطعام في المحل
والرافة بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل الى الحسين بن علي عليهما السلم
رقعة فقال حاجتك مقضية له يا ابن رسول الله لو نظرت في
رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله تعالى
عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال علي بن الحسين عليهما السلم
من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ
حقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا ينازعه نفسه الى حب الشكر
له اذا كان ثقة بثواب الله تاما وقال جعفر بن محمد الصادق
عليه السلم لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا
مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا
يجاورني ليم واللوم من الكفر والكفر في النار والجود والكرم
من الايمان والايمان في الجنة وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى
الحسين بن علي عليهم السلم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال
ما وقي به العرض وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر بهذين البيتين
شعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا
اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله او لذوي القرابة او دع فقال عبد
الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر
المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام
كنت انت له اهلا وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته
يدخل الجنة بسماحته وراى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم
فقال لمن هذا الدرهم قال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج
من يدك وفي معناه قيل شعر انت للمال الذي امسكته فاذا انفقته فالمال
لك وسمع واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا

فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيا وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري
المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب
وقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن
جاهلنا وقال بعضهم بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود
وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه
عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال بعضهم
اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل
يدي عنده **حكايات الاسخياء** قيل بكى علي عليه السلام يوما فقيل له ما
يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد
اهانني وسال رجل الحسن بن علي عليهما السلام حاجة فقال له يا هذا حق
سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز
عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي
وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال و
الاهتمام بما اتكلف من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل
واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن عليه السلام بوكيله وجعل
يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة
الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار قال هي عندي
قال احضرها فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال
هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهم الحسن عليه السلام رداءه
لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني
ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم وقال ابو الحسن المدائني خرج
الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا
وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب قالت نعم فاناخوا

اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها
ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت لا الا هذه الشاة
فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها
وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا
قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي
بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا فاقبل زوجها فاخبرته بخبر
القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا
تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة
الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه
بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي عليه السلام
جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه
ودعا بالعجوز فقال لها يا امة الله تعرفينني قالت لا قال انا ضيفك
يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر
الحسن فاشتروا لها من شاة الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار
وبعث بها مع غلامه الى الحسين عليه السلام فقال لها الحسين بكم وصلك اخي
فقالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث
بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك الحسن والحسين
قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله بن جعفر بالفي شاة و
الفي دينار وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها
باربعة الاف دينار واربعة الاف شاة واجتمع قراء البصرة الى ابن
عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد
منا ان يكون مثله وقد زوج ابنته من ابن اخيه وهو فقير وليس
عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم

دارم وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوها فحملوها
فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه
وارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما
يشغل به مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء
الله تعالى ففعل وفعلوا وكان ابو طالب بن كثير شيعيا وقال له
رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي نخلك بموضع كذا قال قد
فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلبه الرجل
وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر
والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي
عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني
محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة الاف درهم
واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة عاملا على العراق
بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ
له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني
فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي
يدخل بيت معن وكان معن على راس الماء فلما بصر بالخشبة
اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب شعر ايا جود معن ناج معنا بحاجتي
فما لي الى معن سواك شفيع قال فقال معن من صاحب هذه فدعي
بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها و
وضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من
تحت البساط وقراها ودعى بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم
فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه وخرج فلما
كان في اليوم الثالث قراها ودعى بالرجل فطلب فلم يوجد فقال

معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وخرج
عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه
غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة قال
صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ
بالله ان يطرا بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى
منزله ثم دعا له بالف دينار فدفعها اليه وقال استنفق هذا فنعم
ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم
للزيارة فنزلوا عند قبره وجاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى
رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك
ببختي وكان قد خلف الميت بختيا معروفا وكان لهذا الرجل بعير سمين
فقال في النوم نعم فباع في النوم بعيره ببختيه فلما وقع بينهما العقد
عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه
فاذا الدم من نحر بعيره فقام ونحره وقسم لحمه وطبخوه وقضوا
حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق
استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك
الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب
القبر قال نعم بعت منه بعيري ببختيه في النوم وذكر القصة فقال
خذ هذا البختي ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول ان
كنت ابني فادفع بختيي الى فلان وسماه وقدم رجل من قريش من
سفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق وقد اقعده الدهر واضر به
المرض فقال له يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي
من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم
فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال الرجل ما يبكيك لعلك

استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك

فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره

التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء ال خالد

فقال لاهله ما لهولاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم

ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن

انس خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار

فغضب هرون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال

يا امير المومنين ان لي في كل يوم من غلتي الف دينار فاستحيت ان اعطي

مثله اقل من دخل يوم وحكى انه لم تجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم

الف دينار وروى ان امراة سالت الليث شيا من عسل فامر لها بزق

فقيل له انها كانت تقنع باقل من هذا فقال انها سالت على قدرها

ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى

يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي

وكان خيثمة بن ابي عبد الرحمن بن ابي عبد الرحمن يعودها بالغداة

والعشي ويسالني عنها هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ

فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا اخرج قال خذ ما تحت

اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره

حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة

فاستبطا اخوانه فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين

فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيادة ثم امر مناديا فنادى

من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي

لكثرة من عاده وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري سمعت

محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر

رجل عرف بان يجمع للفقراء شيا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه وقلت

ولد لي مولود وليس معي شي قال فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح

له بشي فجاء الى قبر رجل كان يعرفه وجلس عنده وقال رحمك الله

كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلفت جماعة دفع شي لمولود

فلم يتفق لي شي قال ثم قام واخرج دينارا فكسره بنصفين وناولني

نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح الله لك بشي قال فاخذته

وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به وراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك

الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب

ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا

قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد

تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له انزل وحفروا الموضع

واخرجوا الدنانير وجاوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم

وليس لرويای فيه حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احيا

فلما الحوا عليه حمل الدنانير وجاء الى الرجل صاحب المولود وذكر له

القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف الذي

اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدق به على الفقراء

فقال ابو سعيد فلا ادري اي هولاء اسخى واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال لم جئت قال على اربعمائة دينار دينا فوزن

اربعمائة واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق

عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به

بيان ذم البخل قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون

وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا

لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة الاية وقال تعالى

الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتيهم الله من فضله
وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اياكم والشح فانه اهلك من
كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال صلى الله
عليه واله وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة
وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه واله وسلم
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى
الله عليه واله وسلم ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل المنان
والمعيل المختال وقال صلى الله عليه واله وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل
رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما
المنفق فلا ينفق شيا الا اتسعت او وفرت على جلده حتى يخفى بنانه
واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها
حتى اخذت تراقيه فهو يوسعها ولا يتسع وقال صلى الله عليه واله
وسلم خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال صلى
الله عليه واله وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن
واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه واله وسلم
اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان
الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من
كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا و
امرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه واله وسلم شر ما في الرجل
شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم فبكته باكية وقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم
وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه او يبخل بما لا ينفعه
وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

ومعه الناس مقفله من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الاعراب
يسالونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداوه فوقف فقال اعطوني
ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما
لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال
عمر قسم النبي صلى الله عليه واله وسلم قسما فقلت غير هولاء كانوا احق به
منهم فقال انهم يخيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست
بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما
عمر بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم
ليسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار
قال يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا
يجد الله تعالى لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل
راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى
ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة
الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل
راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن
تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار
وقال صلى الله عليه واله وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة
الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وعنه صلى الله
عليه واله وسلم انه قال من سيدكم يا بني سلمة قالوا سيدنا جد بن قيس

الا انه رجل فيه بخل فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم واي داء ادوى
من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن
قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنتهمه
بالبخل فقال صلى الله عليه واله وسلم واي داء ادوى من البخل ليس
ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء
ابن المعرور وقال علي عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان
الله يبغض البخيل في حيوته السخي عند موته وعنه صلى الله عليه واله وسلم
السخي الجهول احب الى الله عز وجل من العابد البخيل وعنه صلى الله عليه واله
لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا يجتمعان في
مومن البخل وسوء الخلق وقال لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا
جبانا وقال صلى الله عليه واله وسلم يقول فانكم الشح اعظم من الظلم
واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا
يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول
بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك
اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك
اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام
البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات
قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي
يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى
واجل قال ويحك صف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة
من المال وان السائل ليأتيني ليسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار

فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اليك عني لا تحرقني الله بنارك
فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم
صليت الفي الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها
الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت
ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن
يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وقال علي عليه السلم في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض
يعض المومن على ما في يديه ولم يومر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا
الفضل بينكم وقال عليه السلم والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى
عرف بعضه واعرض عن بعض **الاثار** قال ابن عباس لما خلق الله
جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت
عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار
الخمر والخمار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك
وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت
طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اسكنك بخيلا و
قيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقيل ورد
على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال
خير الناس من يلقى سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي
الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من
كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب
مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط الله عليه
من لا يرحم وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
فهي الى الاذقان قال لاهل البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في

سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل
بد الله ملكين ينا ديان اللهم اجعل للممسك تلفا وللمنفق خلفا
وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان
في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السايل اذا راه ملك الموت
اذا اتاه قال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث ذم البخيل واكل
القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال
النبي صلى الله عليه واله وسلم انك لبخيل ومدحت امراة عند النبي صلى الله عليه واله
فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال
بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المومنين
وقال يحيى بن معاذ يا اخي القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا
وللبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس
بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته
فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك
قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض الناس الي الفاسق
السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اخاف
ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا
انك يحيى لما اخبرتك **حكايات البخلاء** قيل كان بالبصرة رجل
موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل
منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت
فجعل يلتوي فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس
عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت
والله لا اتقي وطباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين
يديه طبق تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له

الرجل

الرجل تحسن شيا من القران العظيم قال نعم فقرا والزيتون وطور سينين
فقال فاين والتين قال هو تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم
يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب
البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال
صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح
البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه وقال له قايل صف مايدته فقال
هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال
الكرام الكاتبون قال افما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال بيّن ذه
لك انت خاص به وثوبك مخرق فقال اي والله ما اقدر على ابرة اخيطه
بها فقال كلا استعرت منه قال ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة
مملوا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب عليه السلام يطلبون
منه ابرة ويسالونه اعارتها ليخيطوا بها قميص يوسف الذي قد من
دبر ما فعل ويقال كان ابن مروان بن ابي حفصة بخيلا لا ياكل اللحم
بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله
فقيل له نراك لا تاكل الا الروس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك
قال نعم الراس اعرف سعره فامن فيه خيانة الغلام ولا يستطيع
ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه واما الراس
فانه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك منه واكل منه
الوانا اكل منه عينه لونا واذنه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا و
لسانه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما
يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان
رجعت بالجايزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي
ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعا

صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل فيقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يعدني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله

اعلم ان السخا والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخا الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اليه اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ثم يشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا بخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه لا حاجة به الى ذلك فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ضيف

ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم البارحة ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وآله وسلم وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك لكني اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت ان تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله عز وجل فقال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما

فيه من الآلات واعتق الغلام ووهبه وقيل اهدى لرجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راس شاة فقال ان اخي كان
احوج مني اليه فبعث اليه به فلم يزل يبعث به الواحد الى الآخر
حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب
عليه السلم على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاوحى الله تعالى
الى جبرئيل وميكائيل عليهما السلم انى آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما
اطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحيوة فاختارا كلاهما الحيوة
واحباها فاوحى الله اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت
بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه
ويؤثره بالحيوة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبرئيل
عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا
ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من
يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وعن ابي الحسن
الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب
الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفئوا
السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام فاذا الطعام بحاله ولم
ياكل واحد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه
سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر
اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن
عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به
وجهه فاذا انا به وبه رمق فقلت اسقيك فاشار اي نعم فاذا هم ان ثرب
فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي ان انطلق اليه به فجئته فاذا هو
هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال آه فاشار هشام

ان

ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات
فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج
احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه
فشكى اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا مات فيه
وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة و
خرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد
اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال وقعدنا فلما نظر
الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار
عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب على
الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة
وبقيت العظام ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب
وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف
وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء فيه في كتاب
الفقر والزهد فلا نعيد **بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما**
لعلك تقول عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن
ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى
نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف
الناس فيه فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من
البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حبا للمال ولاجله
يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذن
لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب
البخل فلا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب
الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة و

تواجها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من
ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد
اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف
حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر
الذى يفرضه القاضى ثم يضايقهم فى لقمة ازدادوا عليها او تمرة
اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر
من يظن انه يأكل معه فاخفاه عد بخيلا وقال قائلون
البخيل هو الذى يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان
اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية
القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقها فان اريد
به يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض
العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا
لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا فى الجود فقيل الجود
عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير
مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح
بالعطاء بما امكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى
والعبد لله تعالى فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر
وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن
بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى
الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا
فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل
والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاح لحاجات
الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله

بالصرف

بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو
ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل
فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك
تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغى ان يكون السخاء والجود
عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا بالسخاء
وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقيل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين
البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب
ولا يكفى ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا غير منازع
له فيه فان بذل فى محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو
يصابرها فهو متسخى وليس بسخى بل ينبغى ان لا يكون لقلبه علاقة
مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه
اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما
الذى يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع و
واجب بالمروة والعادة والسخى هو الذى لا يمنع واجب الشرع
ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذى
يمنع واجب الشرع ابخل كالذى يمنع اداء الزكوة ويمنع اهله
وعياله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع
وانما يتسخى بالتكلف او الذى يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له
نفسه ان يعطى من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما
واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات فان
ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن

كثر ما له يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح
من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح
مع الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح
في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة
فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة
من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح
في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا
يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من
صديق واخ قريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه المضايقة
من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل
هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما
بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد
البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ
المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة
والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال والمضايق في
الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة بحب
المال فهو بخيل ويبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل
ممن يودي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير
قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد
تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان
وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال
عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام
الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون

اسماكه

امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل
عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة
وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله
وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن
ادى واجب الشرع وواجب المروة اللائقة به فقد تبرا من البخل
نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب
الفضيلة ونيل الدرجات واذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا
يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر
ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض
الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة
والمروة هو الجود لكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون
عن طمع ورجاء خدمة ومكافاة وشكر وثناء فان من طمع في الشكر
والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح
لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشي من غير عوض
هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما الادمي
فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشي الا لغرض ولكن اذا لم
يكن غرضه الا الثواب في الاخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير
النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف
من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال له
من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه
البواعث وهي اغراض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي
عن بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن هلال وهو جالس
مع اصحابه فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار

قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله تعالى سخية
بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت
ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا
اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فباي شي تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء
عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين
بطاعته غير كارهين الا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم
يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم
منها انكم تريدون شيا بشي ان هذا في ابناء الدنيا لقبيح وقالت
بعض المتعبدات اتحسبون ان السخاء في الدرهم والدينار
فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في
الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله عز وجل وتسخو قلبك ببذل
مهجتك واهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك
ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب
على قلبك حسن كمال السخا بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك
هو الذي يفعل لك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما
حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل
فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله
اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب
وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام له الولد
مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم و
لذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا
انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجي الرزق قوي البخل

لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه
لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت عادته بنفقته وتفضل الاف وهو
شيخ ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة
ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ
بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم
انه يموت فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان
ياكل منها او يتصدق بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسر العلاج لا سيما
في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل
عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله
فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك
لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب
عنده كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه
وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضى حاجته به فالفاضل
عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما
علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير
وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران
وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى
الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من
ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال
لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان
كان تقيا صالحا فيكفيه الله وان كان فاسقا فيستعين بماله على
المعصية فيرجع مظلمته عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار
الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله تعالى به على البخل

من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل في احوال البخلاء
ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل
من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر
في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر
في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته
والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله لنفسه فهذه ادوية
من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف من نور البصيرة ان البذل خير له
من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان
عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف
لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي
ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه
الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال قد خطر لي ان ابذله ولم
امن على نفسي ان يتغير ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا
يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر و
فارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج
البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء
كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه
ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد
الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال
عن نفسه خبث البخل واكتسب له خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك
على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند
فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب
بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينتقل عن الثدي اليه

ثم

ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها
على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورتها ويسلط
الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق
من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف
فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع علة
ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل
لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل
يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل
اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال من
ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان البعض
حتى يقل عددها ويكبر ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين
قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الاخر
فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت فكذلك
هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها
فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع
العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت منها ومنع القوت
عن الصفات المذمومة ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة
اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي
امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى
ماتت صفة البخل وصار صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذن
علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة
الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى
البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بانه واذا لم يتحقق المعرفة

لم يتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فبقي العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع
معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت
ومن عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان
يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان اذا توهم في مريد فرحه بزاوية
وما فيها نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع
ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها امره
بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خليقا لا يميل اليه قلبه فبهذا او نحوه
تتجافى القلوب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس
بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك
اذا سرق كل واحد منه الم به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات
نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب
عنه بل هو في حياته على خطر مصيبة بالفقد والهلاك وحمل الى
بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح
الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى
هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال فكيف قال ان انكسر صارت
مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد
كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق ان انكسر
يوما وعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا
وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله
اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها
وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها
فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو
بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاده فانه حتى يفنى و

من عرف افات المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع
بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس يبخل به وما لا يحتاج
اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ
لا يبخل به احد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة **بيان مجموع
الوظائف التي على العبد في ماله** اعلم ان المال كما وصفنا خير من
وجه من شال مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق
وياخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن
سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف **الاول** ان يعرف مقصود
المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا
قدر حاجته ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه **الثاني** ان يراعي جهة
دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين
ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة كالهدايا التي فيها
شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروة وما
يجري مجراه **الثالث** في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل
بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم
ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا
الى جهة جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء في
جملة المحقين فان جاوز ذلك وقع في هاوية لا اخر لعمقها و
قد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد **الرابع** ان يراعي
جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه
فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم
في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء **الخامس** ان يصلح
نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين

على العبادة وترك ما يترك زهدا فيه واحتقارا واذا فعل ذلك
لم يضره وجود المال ولذلك قال علي عليه السلم لو ان رجلا اخذ
جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع
ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك
لله مقصورة على العبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات
عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان
ذلك قصدك بهما صارت عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان يكون
نيتك في كل ما تحفظ من قميص وازار وفراش وانية لان كل ذلك
مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان يقصد به
ان ينتفع عبد من عباد الله فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك
فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا
يضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخت في الدين قدمه
وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال
وزعم انه يشبه الاغنياء من الصحابة فشأنه شأن الصبي الذي
يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف بها ليخرج ترياقها
فيقتدي به وهو يظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا
جلدها فيأخذها اقتداء به فيقتله في الحال الا ان قتيل الحية
يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية
وقيل شعر هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل
ان يتشبه الاعمى بالبصير المتخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق
المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال

بيان ذم الغنى ومدح الفقر اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل
الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد

ولكنا

وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل على ان الفقر
افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ثم
نقتصر فيه على حكاية فصل ذكره حارث المحاسبي رحمه الله في بعض كتبه في
الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة
مال بعضهم ويشبه نفسه بهم والمحاسبي له قدم في علم المعاملة وله
السبق على اكثر الباحثين عن عيوب النفس وافات الاعمال واغوار
العبادات فكلامه بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد
على العلماء السوء بلغنا ان عيسى صلوات الله عليه قال يا علماء السوء
تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون
ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون
بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول
لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة
كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم
يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي شهوته من الدنيا
ولا ينقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم
جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم
افسدتم اخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح
الاخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق
للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا
ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع
السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون
نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد
اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم

على وجوهكم ثم يحكم على تاخركم ثم حطا باكم بتولصيكم ثم يرفعكم
العلم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على
سوانكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم قال الحارث اخوانى فهولاء علماء السوء
شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها
على الاخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة
هم الخاسرون او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فانى رايت الهالك المؤثر
للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصى
والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم
يسلم له دينه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها
من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخوانى ولا
يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانس بالحجج الداحضة عند الله فانهم
يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان
اصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرورون
بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان
وما يشعرون ويحك ايها المفتون متى زعمت ان جمع المال الحلال افضل
من تركه فقد ازريت محمدا صلى الله عليه واله وسلم والمرسلين ونسبتهم
الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذى رغبت فيه انت واصحابك
من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى
زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله
لم ينصح للامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة
فقد غشهم بزعمك نهاهم عنه كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى
زعمت ان جمع المال خير لهم افزعمت ان الله عز وجل لم يعلم ان الفضل

في الجمع

في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل و
لذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك
تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين
زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال
عبد الرحمن بن عوف فلعل ود ابن عوف في القيمة انه لم يوت من الدنيا
الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال اناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما
ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا
وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر رضي الله عنه فخرج مغضبا
يريد كعبا فمر بلحي عظم بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب
ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى انتهى الى عثمان يستغيث به واخبره
الخبر فاقبل ابو ذر رحمه الله يقص الاثر في طلب كعب حتى انتهى
الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر
فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن
بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما نحو احد
وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون
هم الاقلون يوم القيمة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله
وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله
بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد ذهبا انفقه في سبيل الله
اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر وانت تريد
الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه واله وسلم يريد هذا
وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت
وكذب من قال بقولك فلم يرد جوابا حتى خرج وبعد فالعجب كل العجب

لكل المفتون يتمرغ في مخاليط الشهوات والسحت ويتكالب على اوساخ الناس
وهو يتقلب في الشهوات والزينة والمباهات ويتقلب في فتن الدنيا ثم
يحتج بالصحابة ولعمري لقد كانت لبعض الصحابة اموال ارادوا بها التعفف
والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا
منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها
وفي الشدة اثروا الله تعالى على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت انك لبعيد
الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن
خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين
وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي
السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين
لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها فزجوا [illegible]
الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها
وزهرتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت
الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا رأوا
الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا
اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح
فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا
كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت
وليس عند عيالي شيء فرحت اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
اسوة واذا كان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بمحمد صلى الله عليه
وآله وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا
واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف
واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا

ربنا

ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله
اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف لك احوالك ايها المفتون
ضد لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخاء وتمرح عند
السراء وتغفل عن شكر النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء
ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر
المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا عن
الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفى
به اثما وكفى به اثما ولعلك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها
وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا
ان بعض اهل العلم قال يجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم
فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
وانت في غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها
حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر
والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها او
ليفاخر لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وانت غير مكترث بما حل بك
من غضب الله حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث
عندك في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله وانت تكره
لقاء الله والله للقائك اكره وانت في غفلة وعساك تاسف
على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت
تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك
تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح لاقبال الدنيا عليك

وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا
ان بعض اهل العلم قال انك محاسب على الحزن على ما فاتك ومحاسب
بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت تفرح بدنياك وقد سلبت
الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى
بامور اخرتك وعساك ان مصيبتك في معاصيك في انتقاص دينك
اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب
مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت
من مراوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضى المخلوقين
بما اسخط الله كرها تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك
في القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك عساك تخفى من
المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكانت
الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة في الناس وكان العبيد
اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي
الالباب وهذه المثالب فيك اف لك تلوثت في الاقذار تحتج بالابرار
هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا
فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس
به عندكم كانوا موبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما
منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم
وليتك اشفقت من سياتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا يقبل
ليت صومك على مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على
مثل فتورهم نومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم
وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من

الدنيا

الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا
معهم في الاخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار
الصحابة في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله
الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف
والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك
كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا
لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة
ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب
الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر
مكيدة من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت
والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من اجترا على الشبهات
يوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات
اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله
وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة
ان لا يكون حلالا خير لك من ان يتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري
ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما
تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت
بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسالة
بلغنا ان بعض الصحابة قال ما سرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من
حلال وانفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا
ولم ذلك يرحمك الله قال لاني غني عن مقامي يوم القيمة فيقول عبدي
من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهولاء المتقون كانوا في جدة الاسلام
والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم

كرها

خير المال بنزرة وانت من دناسته براءة والحلال في دهرك مفقود تتكالب
على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال في دهرك ويحك
وان الحلال فتجمع وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف
ان يتغير عند الغنا قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال
الحلال فتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من
قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت
ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك
ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة من العيش ولا تجمع المال لاعمال البر
ولا تتعرض الحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
انه قال من نوقش الحساب عذب وقال صلى الله عليه واله وسلم يؤتى بالرجل
يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام فانفقه في حرام فيقال اذهبوا
به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال
اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال فانفقه
في حلال فيقال له قف لعلك اضررت في طلب هذا الشيء مما فرضت عليك
من صلوة لم تصلها لوقتها او فرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها
فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت منه في حلال ولم اضيع شيئا
مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب
باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت
حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل فيقول لا يا رب كسبت في حلال وانفقت في حلال ولم
اضيع منها مما افترضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد
امرتني ان اعطيه قال فيجي اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته
واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم

وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الآن
هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال
يسال ويحك فمن الذي يتعرض لهذه المسائلة التي كانت لهذا الرجل
الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها
حوسب بهذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في
فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه
المسائلة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا
بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهولاء الاخيار اسوة فان
ابيت ذلك وزعمت انك بليغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال
الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من
الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط
الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست
كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا
وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى صلى الله عليه واله
وسلم لا حبس عليك للمسائلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين
الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام ياقوم فاستبق السابق مع المخفين
في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم كما وجل المتقون ويحك فان تخلفت
في القيمة عن المصطفى صلى الله عليه واله وسلم لتنظرن الى اهوال
جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السابق فليطولن
عليك اللحاق ولئن اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير ولئن
لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل اما علمت

ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر والتذكار و
الفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسالة وامن
من روعات يوم القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله و
اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك
فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل من طلب المال لاعمال
البر نعم شغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع
لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاجل وبعد فلو كان في جمع
المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك
صلى الله عليه وآله وسلم وترضى بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك
تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا
فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله
قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا
استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر
على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وحسن اولئك رفيقا الاية اخي فمتى جمعت المال من بعد
هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا
ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والفخر والتكاثر
والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال
البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور
ويحك ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا
بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك
معترفا باسائتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل

من طلب الحج لجمع المال وقد نصحت لكم ان قبلتم والقائلون لهذا قليل وفقنا
الله واياكم لكل خير برحمته هذا اخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل
الفقر على الغنا ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها
في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي
عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله لي
ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى
ان تكون مثلي اما والذي نفسي بيده لو شئت ان يسير معي الجبال ذهبا وفضة
لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله لي ان يرزقني مالا لاعطين
كل ذي حق حقه ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزق
ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى
عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة الا
جمعة فنمت كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة
فيسالهم عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما فعل
ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر
بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك
سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
رجلا من بني جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا
باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال
مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا
حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذا انطلقا حتى تفرغا

ثم يعودا الي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله
فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا لا يجب عليك هذا
وما نريد ان ناخذ هذا منك فقال بلى خذوها نفسي بها طيبة فانما
هي لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه
الصدقة فقال ارياني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا
حتى ارى رايا فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلما
راهما قال ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمي فاخبراه بالذي
صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فانزل الله في ثعلبة ومنهم من عاهد
الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتيهم
من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
وعند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رجل من اقارب ثعلبة
فسمع ما انزل الله تعالى فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة
قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه واله
فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك
صدقتك فجعل يحثي التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيا
رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جاء بها
الى ابي بكر فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر فابى ان يقبلها وتوفي
ثعلبة بعد خلافة عمر فهذا طغيان المال وشومه وقد عرفته من
هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنا اثر رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين
انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم منزلة وجاه

فقال يا عمران بن حصين ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة
فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى
وقف بباب فاطمة فقرع الباب فقال السلام عليكم ادخل قالت ادخل
بابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول
الله قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا و
هكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى
اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له
فدخل فقال السلام عليك يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت وجعة وزادني
وجعا على ما بي اني لا اقدر على طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكى
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت
طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني
ولكني اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري
فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امراة فرعون
ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء
عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت
من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد
زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الاخرة فانظر الان الى حال فاطمة
وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كيف اثرت الفقر وتركت
المال ومن راقب احوال الانبياء عليهم السلم واقوالهم وما ورد من
اخبارهم واثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده
وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من
الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن
ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع اشتغال البال وقد روي

عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم صلوات الله عليه فقال
اكون معك واصحبك فانطلقا حتى اتيا الى شاطي نهر فجلسا يتغديان
ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلم
الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ
الرغيف فقال لا ادري فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية ومعها
خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل
هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب
فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال
لا ادري قال ثم انتهيا الى وادي ماء واخذ عيسى عليه السلم بيد الرجل
فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذي اراك هذه الاية من
اخذ الرغيف قال لا ادري انتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى صلوات
الله عليه فجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا
فقسمه ثلثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف
قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلم فانتهى
اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه
فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري
طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شي اقاسم هولاء
في هذا المال لكني اصنع في هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعل
وقال اولئك لاي شي نجعل هذا اثلثا ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا
بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك
المال في المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى صلوات الله عليه
في تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي ان ذا
القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شي مما يستمتع به الناس من

دنياهم

دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها
وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهايم وقد قيض الله لهم في
ذلك معايش من الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب
الملك ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين و
قال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا ذا قد جئت فقال له لو كانت
لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على الحالة التي
لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا
شي افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناها
لان احدا لم يوت منها شيا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل
منه فقال ما لكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها
وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملتنا الدنيا منعتنا قبورنا
من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم
البهايم من الانعام فاحتلبتموها وزكيتموها واستمتعتم بها فقالوا
كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما
يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام
لم يوجد له طعم كاينا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض
يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري
من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا
على اهل الارض فغشم وظلم وعتى فلما راى الله ذلك منه حسمه بالموت
فصار كالحجر الملقى فقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته
ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا
قال لا ومن هو قال هذا ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذي
قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل

وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله
حتى يجزيه به في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال
وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع
فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا و
شريكا فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان
ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس
كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من
الملك من المال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك
ولما عندي من الحاجة وقلة الشي قال فانصرف عنه ذو القرنين
متعجبا منه ومتعظا به هذه الحكايات تدلك على افات الغنا مع
ما قدمناه من قبل والله الموفق لا رب غيره ولا معبود سواه هذا

اخر كتاب ذم المال من ربع المهلكات من
المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه
انشاء الله كتاب ذم الجاه والريا
والحمد لله اولا
واخرا

٤٤
٢

كتاب ذم الجاه والريا، وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات في المحجة البيضا في احيا الاحيا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سراير القلوب المتجاوز عن كباير
الذنوب العالم بما تجنه الضماير من خفايا الغيوب البصير بسراير
النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل
ووفى وخلص عن شوايب الريا والشرك وصفى فانه المنفرد بالملكوت
والملك فهو اغنى الاغنيا عن الشرك والصلوة على محمد وآله
واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا **اما بعد**
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف على
امتي الريا والشهوة الخفية والريا من الشهوة الخفية التي هي اخفى
من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء و
لذلك عجز عن الوقوف على غوايلها جهابذة العلماء فضلا عن عامة
العباد والاتقياء وهو من اواخر غوايل النفس وبواطن مكايدها
وانما يبتلى بها العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك
سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها
عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف
العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة
على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل
والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند
الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار
الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم يقنع باطلاع الخالق
وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا

تركه

تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا
السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا
اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة
دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه
في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في
المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين و
انقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم
اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي
والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في
الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حيوته بالله و
بعباداته المرضية وانما حيوتها بهذه الشهوة الخفية التي يعمى عن
دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب
لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا
للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وحسن الحال والاقبال
واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال واثبتت اسمه في
جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه
مكيدة النفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا
المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب
الرياسة واذا كان الريا هو الداء الدفين الذي هو اعظم
شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته
واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب
الكتاب على شطرين **الشطر الاول في حب الجاه والشهرة** وفيه بيان
ذم الشهرة وانتشار الصيت وبيان فضيلة الخمول بيان ذم الجاه وبيان

معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا حبا اشد من حب المال
وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من
حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم
وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج
كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم فهي اثنا
عشر فصلا منها ينشئ معاني الرياء فلابد من تقديمها **بيان ذم الشهرة
وانتشار الصيت** اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار
وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير
تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع
في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى
اعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث
فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع
قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه
وقال علي عليه السلام تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم و
اصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق
الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره
ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته
قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من
ثلثة قام وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فتبعه اناس
فالتفت اليهم فقال علي ما تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه
بابي ما تبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال
قلما تلبث معه قلوب الحمقى وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر

فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي
ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فتبعه
ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله تعالى يعلم من قلبي اني لهذا كاره
لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال
ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال الثوري
كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيد والثياب الردية اذ الابصار
تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل
ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد
الجامع وقال بشر لا اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه
وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس
بيان فضيلة الخمول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب اشعث
اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك
وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب ذي طمرين
لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اسالك الجنة لاعطاه
الجنة ولم يعطه من الدنيا شيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا ادلكم
على اهل الجنة قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره واهل
النار كل متكبر جواظ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان اهل الجنة كل اشعث
اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم
واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم
تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه
اياه او يساله درهما لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاه اياه
ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين

لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبيناهم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين واوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من خوف الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع محمد بن سويد صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة قال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسألني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رأيت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسألت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر والعلانية وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وصبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فقال عجلت منيته وقلت تراثه وقلت بواكيه وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في

نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك فهذه الاخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة واما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال صلى الله عليه وآله وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلم انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن عبد الله بن مسكان قال سمعت ابا

عبد الله عليه السلم يقول اياكم وهولاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله
ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وعنه عليه السلم
قال ملعون من ترأس ملعون من ترأس ملعون من همّ بها ملعون
من حدث بها نفسه وعنه عليه السلم من اراد الرياسة هلك وعن ابي
الربيع الشامي عن ابي جعفر عليه السلم قال قال لي ويحك يا ابا الربيع
لا تطلبن الرياسة ولا تكن ذنبا ولا تأكل بنا الناس فيفقرك الله ولا
تقل فينا ما لا تقول في انفسنا فانك موقوف ومسؤل لا محالة فان
كنت صادقا صدقناك وان كنت كاذبا كذبناك وعن محمد بن مسلم قال
سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول اترانى لا اعرف خياركم من شراركم
من احب ان يوطأ عقبه انه لا بد من كذاب او عاجز الراى وفي الصحيح
عن معمر بن خلاد عن ابي الحسن الرضا عليه السلم انه ذكر رجلا فقال
له انه يحب الرياسة فقال ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها
باضر في دين المسلم من الرياسة **بيان معنى الجاه وحقيقته** اعلم ان
الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع
بها او معنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها
وكما ان الغنى هو الذي يملك الدراهم والدنانير اى
يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء
الشهوات وساير حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي
يملك قلوب الناس اى يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل
بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال
بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع
من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات
فكل من اعتقد القلوب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له

ولتسخر

وليسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده و
ليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون
كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا ويذعن قلبه
للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب
حال للقلوب واحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب
وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء
والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم
ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلب صاحب
الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد ساخط
بطبعه ولو خلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه
يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع
والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه طالب
الجاه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام
المنزلة في قلوب الناس اى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت
الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم
وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على ارباب القلوب
وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه و
حقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال
لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه وكالخدمة والاعانة
فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخره
له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم
والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم
في جميع المقاصد فهذه اثار تصدر عن قيام الجاه في القلوب

ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في
الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال
في صورة او قوة او شي مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف
كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه **بيان**
سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشدة المجاهدة
اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وساير انواع
الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان
يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من
الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم و
الدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمنكح ولا لمطعم ولا
لملبس وانما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبتان لانهما
وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات وكذلك
الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب
والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى ساير اغراضه
فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد
قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى
الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان
يكون الجاه احب من المال ولملك القلوب ترجح على ملك
المال من ثلثة اوجه **الاول** ان التوصل بالجاه الى المال ايسر
من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له
جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال
ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال
واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا

ولم

ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه
لم يتيسر له فاذا الجاه آلة الى المال ومن ملك الجاه فقد
ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك
صار الجاه احب **الثاني** هو ان المال معرض للبلوى والتلف
لانه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه
الى الحفظة والحراسة والخزاين ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما
القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزاين
عتيدة لا تقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب وانهب
الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن
المراقبة والحفظ واما خزاين القلوب فهي محفوظة بانفسها
وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب
القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به
من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله
فعله **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير
حاجة الى تعب في مقاساته لان القلوب اذا اذعنت لشخص و
اعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما
فيها فتصف ما تعتقده لغيره وتقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا
المعنى يحب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار
في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم
فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين
واما المال فمن ملك منه شيا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمايه
الا بتعب ومقاساة فالجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه
والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت

الا السير بالثناء استحقرت الاموال في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات
الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال
دائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان المال و
الجاه نعم المقدار الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار
معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلي بمرض
او عقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال
او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب
الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع
المال وكنز الكنوز وادخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء
جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى
لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت
الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطاها ولا يشاهد
اصحابها ليعظموه او ليبروه بماله او ليعينوه على غرض من اغراضه
ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك
ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فايدة
فيه لا في الدنيا ولا في الاخرة فنقول نعم هذا الحب لا ينفك
عنه القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والاخر
خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما
عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من
عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها
الا الغواصون واما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان
الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه
طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما تلف

فيحتاج

فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا
يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان
اصابت هذا المال جايحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحيوة
يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق
الافات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه
وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطايفة من ماله استغنى بالاخرى
وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك
لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال
صلى الله عليه واله وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم
المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب
الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن
الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة
بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة
ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن
من هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر
رباني وصفه الله تعالى اذ قال ويسالونك عن الروح قل الروح
من امر ربي ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة
في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولكنك قبل
معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع
والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية
كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز
والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول
شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع

ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال
فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان
والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة
فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى
كان ذلك نقصانا في حقها اذا لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية
والمتفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه
اثر من اثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا
معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة نقصان في الكمال
بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار
الافاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها انما نقصان
الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك
وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا فلا
يكون معا فاذا معنى الربوبية التفرد في الوجود وهو الكمال و
كل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المتفرد بالكمال ولذلك
قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح
به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو
كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع
وذلك للنسبة الربانية التي اومأ اليها قوله تعالى قل الروح من
امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط
شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا
لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته
ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال
من ذاته وانما الكمال بعد ان لم يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء

على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك
فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على
الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب
ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ بها الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة
على التاثير فيه وعلى تغيره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف
تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على الاشياء الموجودة
معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل في نفسه كذات الله
وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق
كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن
والشياطين والجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل
التغير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات
والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثر والتغير مثل
اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر
الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله تعالى
والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السموات بالعلم
والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ
المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة والعالم كالمستولي عليه فلذلك
احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب
السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء
عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن
صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيه كمن يعجز عن وضع الشطرنج
فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع او يكن يرى
صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو

مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكن يشتاق الى معرفة كيفية
فيتألم بنقص العجز ويتلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني
وهي الذوات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان
يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجسام
وارواح والاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون
قادرا عليها يفعل ما شاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان
ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية
محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها
في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد
واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم
واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد
كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية
ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثالث النفوس الادميين
وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء
او قدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته
لما فيها من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب
انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب
لان الكمال من صفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة
بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه
الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله لانه محل الايمان
والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله والساعي اليه فاذا معنى
الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء
عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب

القلب

القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة
ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم
او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول فلذلك قال صلى الله
عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال
بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصورة فسرور كل انسان
ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم و
المال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل به الى
قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب
الانسان من العلم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة
من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب
والاشكالات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال
الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال
العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات
التفرد بالوجود في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملبس
بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلثة اوجه
احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات
فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثاني من
حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا
تاما فان المعلومات مكشوفة لله سبحانه باتم انواع الكشف على ما هي
عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق
للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى الثالث
من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى

باق لا يتصور ان يتغير ويزول فلذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا
يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان
متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه
علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد
كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما
اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته
كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا
المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض
وبعد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في
المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير
بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق
تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في
القلب والقسم الثاني المعلومات الازلية وهي جواز الجايزات
ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فهذه معلومات ازلية
ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جايزا ولا الجايز محالا ولا المحال
واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له
وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله وصفاته و
افعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا و
الاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف
به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة
نورا للعارف بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا اي يكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف
ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك

سببا

سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على
سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن
ليس معه اصل معرفة الله سبحانه لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن
مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا
في معرفة الله تعالى فاما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فايدة فيه اصلا
كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهما ومنها ما له منفعة في الاعانة على
معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة
العرب تعين على معرفة تفسير القران ومعرفة تعين التفسير على معرفة ما في
القران من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة
طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة
الله تعالى كما قال الله عز وجل قد افلح من زكاها وقال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسايل الى
تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله
وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات
كلها من افعال الله فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها
بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله هذا حكم كمال
ما ذكرناه وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه
لاستيفاء اقسام الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد
بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية
لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته
فهي حادثة باحداث الله كما قد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر وكتاب
التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد

الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من
جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة
اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه
القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء
هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس
وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا
خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن
ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل
فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال
بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا الكمال
ذلك احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال
الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية.
اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات
وهموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا
تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة
عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات
الكمال الذي لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن
التغير والتأثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة
اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم
والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع
الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم
صفة كانت وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات
فاذا الكمالات ثلثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد

لها

لها كمالا وكمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات و
ارادات لاسباب الدنيا وله وكمال القدرة وللعبد طريق الى اكتساب
كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية
بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان
ينقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه
ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون و
انكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة
بالمال والجاه وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له و
اعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع
له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال و
البنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك
فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس
والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى
حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض الاية وكلما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة
الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات
فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل
له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا
قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي **باب** ما يحمد من حب الجاه
وما يذم مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها
فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا و
ينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق الله من

الدنيا فيمكن ان يتزود منه الى الاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال الضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه الضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذي يباع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاده من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطان ما يحمله ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يقتضى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء فكل ما يراد به التوصل الى المحبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما

يجاوز

يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتساب بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سياتى فان قلت طلب الجاه والمنزلة في قلب استاده وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيفما كان او مباح الى حد مخصوص او على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوى او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالفعل واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام اجعلنى على خزاين الارض انى حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثانى ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبايح جايز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح فهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذى يخفى عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقى اليه انه ورع فان قوله انى ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظور تحسين الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراى بما يفعله فكيف

يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك
يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال
غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير
وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال **بيان** السبب
في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطباع اليه وبغضها
الذم ونفرتها منه اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب
الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب
وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت
وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به
مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان
جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو من لذة كثنائه
عليه انه طويل القامة ابيض اللون فان هذا النوع كمال ولكن النفس
تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا اشعرت به لم يخل حدوث الشعور
عن حدوث اللذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه
الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع
او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه و
كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان
يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه
فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وسكونا وثقة باستشعار ذلك
الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء
من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق و
ذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة
الفضل فانه في غاية اللذة فان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون

بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا
ويكرهه لانه يشعره بنقصان في نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب
فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر
الذم من بصير موثوق به في ذلك كما ذكرناه في المدح **السبب الثاني**
ان المدح يدل على ان قلب المادح ملك للممدوح وانه مريد له
ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور
بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع
قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان
المثني ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه
قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة
ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته
اعظم لان الفائت به اعظم **السبب الثالث** ان ثناء المثني ومدح
المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن
يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم
كلما كان الجمع اكثر فالمثني احرى بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ
والذم اشد على النفس **السبب الرابع** ان المدح يدل على حشمة الممدوح
واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما
عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه
اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن
كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته
بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع
بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح
واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها اما العلة الاولى

وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في
مدحه كما اذا مدح بانه سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات
وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال
وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذة فان كان
يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة
بطلت اللذة الثانية وهو الاستيلاء على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء
بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن
خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه
اصلا لذة لفوات الاسباب الثلثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة
التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرناه لتعرف طريق
العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف
سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور
الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال
في اقواله وافعاله واحواله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك
بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات
والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب
ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب الشرف والمال و
افسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت
الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل
وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى
التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه
اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب

عليه

عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان
يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص
الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت
فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على وجه الارض
من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له
ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له
فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا
انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه
في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها
ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق
ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك
قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال تعالى
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة الى غيرها من الآيات
فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات
العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه
في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على
الدوام على جاهه محترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب
اشد تغيرا من القدر في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض
فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات
له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد
ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله تعالى وتعرض لمقته في العاجل
والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا
ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي ان يعالج

البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوى ايمانه لم يلتفت الى الدنيا
فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه
عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط عن اعين الخلق
وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ورد الخلق ويقنع بالقبول من
الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها
ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من افة الجاه وهذا
غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما
الذى لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له
ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى ان بعض
الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا
واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه
وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذى صرفك عنى ومنهم من شرب
شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه شرب الخمر
فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب
الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما راوا اصلاح
قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل
بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس
ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه
واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع
الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل
في بيته في البلدة التى هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التى ترسخ له
في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو
مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس

عما

عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت
وربما توصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم
وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالى به
وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو
كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه
ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز
قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح
الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالى ما دام يطمع في الناس اكانت
له منزلة في قلوبهم او لم تكن كما لا يبالى بذلك في قلوب الذين هم منه
في اقصى الشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن الناس
الا بالقناعة فمن قنع عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس
ولم يكن لقيام منزلته بالقلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا
بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في
ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او
علة او قلة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم
في ثواب الاخرة **بيان** وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم
اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم
فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس من رجاء
للمدح وخوفا من الذم من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة
الاسباب التى لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول
فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى
عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التى يمدحك بها انت متصف بها
ام لا فان كنت متصفا بها فهى اما صفة تستحق بها الفرح كالعلم و

الورع ولما صفة لا يتحقق بها الفرح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية
فان كان من الاغراض الدنيوية فما لفرح بها كالفرح بنبات الارض
الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل
بل العاقل يقول شعر اشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه
ارتحالا * فلا ينبغى ان يفرح الانسان بعرض الدنيا وان فرح فلا ينبغى
ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب
وجودها وان كانت الصفة مما يحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى
ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضى الفرح لانه
يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففى الخوف من الخاتمة شغل
عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح
وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغى ان يكون
فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة
فى استشعار الكمال الموجود من فضل الله لا من المدح والمدح
تابع له فلم ينبغى ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت
الصفة التى مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجهل
ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر
العطر الذى فى احشائه وما اطيب الروائح التى تفوح منه اذا قضى
حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم
يفرح بها فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به
والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك
كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك
بصفاتك التى هى من فضل الله عليك وان كذب فينبغى ان يغمك
ذلك ولا تفرح واما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب

المادح

المادح وكونه سببا لتسخير قلب اخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة فى
القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب
المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك
بها يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو
الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة
لا ثبات لها ولا يستحق الفرح بها بل ينبغى ان يغمك مدح المادح و
تكرهه وتغضب به كما ذكر ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح
عظيمة كما ذكرنا فى كتاب آفة اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح
فقد امكن الشيطان من ان يدخل فى قلبه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم
الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله
بئس الرجل وروى فى بعض الاخبار لو صح فهو قاصم للظهور ان رجلا
اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لو كان صاحبك
حاضرا فرضى بالذى قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم
مرة للمادح ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما افلح الى يوم القيمة
وقال صلعم الا لا تمادحوا واذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب
ولهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على
القلب من السرور به وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا
بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم
باحوالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح على
الحقيقة هو المقرب الى الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله
الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل
النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة
فلا ينبغى ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق

ومهما علم ان لا اجال ولا ارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم
وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان علاج كراهة
الذم** قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح
فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من
ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة
واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا
فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه
وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك
فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح به وتشتغل
بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك
بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده
التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذا ارشدك الى عيبك ان كنت
جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك
لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب
سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك
اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك
وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك
لخفت ان يجز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل
ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك
بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الاخرة والانسان
انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه فاما قصد العدو
التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه
بفعل انتفعت انت به وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما

انت بريء منه عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل
تتفكر في ثلث امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو
عن امثاله واخواته وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه
على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء منه والثاني ان ذلك
كفارات لبقية مساويك وذنوبك وكانه رماك بعيب انت بريء منه
وطهرك عن ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى
اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع
الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت تزعم انك
تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين جنى على دينه حتى
سقط من عين الله جل وعز واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه
الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت الشيطان
به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب
عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه واله وسلم انه قال اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه
بالمغفرة وقال اني علم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا
بسببي ومما يهون عليك كراهة الذم قطع الطمع فان من استغنيت
عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة
وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان
حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك
الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين
فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم
في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا **بيان** اختلاف احوال
الناس في المدح والذم اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة

الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب
من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذه حال
اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الحالة الثانية
ان يتغيظ في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته
ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور
وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهي
اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة
ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان
لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام
عند تطويل الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في
نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده
في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه
اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري
له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح
وما ينال له من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا تكون زلة
المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام
على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه
الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح
الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم
بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون
الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول له الذام قد عصى الله
بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما فانما
استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد

لو

لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه
الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح
الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة
غيره كما يجد لمذمته نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان
يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه
يتغضب ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله هواه
فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان
وافات النفوس فاكثر عباداته تعب ضايع يفوت عليه الدنيا ويخسر
في الاخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الحالة
الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ
يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضر له في الدين ويحب الذام اذ
يعلم انه مهد اليه عيوبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد
قال صلى الله عليه واله وسلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر
والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا
ان صح اذ روي انه صلى الله عليه واله وسلم قال ويل للصايم وويل لصاحب
الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه
عن الدنيا وابغض المدح واستحب المذمة وهذا شديد جدا
وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح و
الكراهة على الذام والمادح ولا يظهره والعمل فاما الحالة الثالثة
وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم طالبنا انفسنا
بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فانها لا بد ان تسارع الى
اكرام المادح وقضاء حاجته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء

عليه وقضاء حوائجه ولا تقدر ان تسوي بينهما في الفعل الظاهر كما
لا تقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام
في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد
فهو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين
وكل واحدة من هذه الرتب فيها درجات اما الدرجات في المدح
فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثنا وانتشار الصيت فيتوصل
الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين
ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا
يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فانها وبرفان حدود
الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها
فيوشك ان يقع فيما لا يحل له لينال الحمد وهو قريب
من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن
اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم
يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة
التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور
عليه بالتفكر في افات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون
عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به واذا سمع الذم لم يغتم ولكن
لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص
ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على
المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب
وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك
عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو

مفلس

مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا يتفاوت الاحوال في حق الذام
ودرجاته اولها اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح
واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة
عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو
والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا
سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها
فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة
اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه
حسنات لم يتعب فيها فعساه يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز
عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة
وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا
يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى
تلك العقبات ولا يقطع شي منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر
الطويل **الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة**
بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة
الرياء وما يرائي به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان
ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه
وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب
وبيان ترك الطاعات خوفا عن الرياء وآفاته وبيان ما يصح
من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على
المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعات وبعدها وهي احدى عشر فصلا

بيان ذم الرياء اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد
شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار **اما الآيات** فقوله تعالى

ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون
الماعون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد
ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين
بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء هو ضده وقال تعالى فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
انزلت فيمن يطلب الاجر بعباداته واعماله وغير ذلك **اما الاخبار**
فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول
الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وفي
حديث الثلث المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله
كما اوردناه في كتاب الاخلاص فان الله تعالى يقول لكل واحد
منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان
يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو
الذي احبط اعمالهم وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من راءى راءى الله به ومن
سمع سمع الله به وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول للملائكة
ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وآله
وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى
العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل
تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعيذوا بالله
من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء
المرائين وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك

فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال
عيسى صلوات الله عليه اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه
ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف
عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق
وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله عملا فيه مقدار
ذرة من رياء وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان ادنى الرياء شرك وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي
ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان
في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها
عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين
ضعفا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر
يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت
تعمل له وقال شداد بن اوس رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا
يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤون باعمالهم وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خلق الله الارض مادت باهلها
فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا
هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبل ثم خلق النار
فاذابت الحديد ثم امر الله تعالى الماء باطفاء النار وامر الريح فركدت
الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى فقالت يا رب ما اشد
ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيئا هو اشد من ابن آدم
حين يتصدق بيمينه بصدقة فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته
وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ حدثني

حدثنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فبكى معاذ حتى
ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا
ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك
عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان
يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء
من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد
من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى
السماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب
الناس يجاوزني الى غيري قال ثم ياتي الحفظة بعمل صالح من اعمال
العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى يبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك
الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه
اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة
فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان
لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم
قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري
له دوي من تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء
الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني

الى

الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة
الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس
من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة
يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري
قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة و
صيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط
من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني
ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد
الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع له دوي
كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلثة الاف ملك فيجاوزون
به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب
عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد رفعة
عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المداين امرني ربي ان لا
ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء
ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة
وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله كثير تشيعه
ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون
بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله
لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا

العمل فاراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا
ويقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع
ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ
قال اقتد بي وان كان في […] تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من
الوقيعة في اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها
عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل
الدنيا من سوء خلقك في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس
من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تعظم على الناس
فتنقطع عنك خير الدنيا ولا تخرق الناس فتخرقك كلاب النار يوم
القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدري ما هي يا معاذ
قلت ما هي بابي انت وامي يا رسول الله قال كلاب في النار تنشط
اللحم والعظم قلت بابي انت وامي يا رسول فمن يطيق هذه الخصال
ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت
احدا اكثر تلاوة للقران من معاذ للحذر مما في هذا الحديث وقال علي
عليه السلم للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان
في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم اقول
ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلم قال قال
الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا
ما كان لي خالصا وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
سياتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا
في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم
خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وعنه
عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الملك ليصعد

عمرك

يعمل

بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في سجين
انه ليس اياي اراد به وباسناده قال قال امير المؤمنين عليه السلم ثلث علامات
للمرائي ينشط اذا راى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد
في كل اموره وعنه عليه السلم قال قال امير المؤمنين عليه السلم اخشوا الله خشية
ليست بتعذير واعملوا لله في غير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله
وكله الله الى عمله وعن ابي جعفر الباقر عليه السلم قال الابقاء على العمل اشد
من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة
لله وحده لا شريك له فكتب له سرا ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية
ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وعن الصادق عليه السلم انه قال لعباد
بن كثير البصري في المسجد ويلك يا عباد اياك فانه من عمل لغير الله
وكله الله الى من عمل له وعنه عليه السلم اجعلوا امركم هذا لله ولا تجعلوه
للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد الى الله
وعنه عليه السلم كل رياء شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس
ومن عمل لله كان ثوابه على الله وعنه في قول الله تعالى فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب
تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة
ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله
خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا وعنه
عليه السلم قال ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع
الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان
على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت العلانية وعنه عليه السلم
قال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما اراد ومن

اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله
الا ان يقلله في عين من سمعه وعن الرضا عليه السلم قال لمحمد ب
عرفه ويحك يا بن عرفه اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل
لغير الله وكله الله الى ما عمل ويحك ما عمل احد عملا الا رداه الله
به ان خير فخير وان شر فشر قال ابو حامد واما الاثار فروي ان
ابا امامة راى رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت لو كان هذا في
بيتك وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد
وجه الله ومحمدة الناس قال لا شي لك فساله ثلث مرات كل ذلك يقول
لا شي لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك
الحديث وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم ليعرض له
الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة
وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة
الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي
يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك
عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن
بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه
على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب
قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف
يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين
ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى
عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الدنيا وقراء
الملوك وقراء الرحمن وقال ابن المبارك ان الرجل ليطوف بالبيت
وهو بخراسان وقيل وكيف قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة قال ابرهيم

ان ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء
اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم خصال الخير الا ان الجاه
والمنزلة يطلب في القلب باعمال سوى العبادات ويطلب بالعبادات
واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلب بالعبادات
واظهارها فحد الرياء هو ارادة المنزلة بطاعة الله تعالى فالمرائي
هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في
قلوبهم والمراءى به هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو
قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعها خمسة اقسام وهي مجامع
ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع
والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة
الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون
من الرياء بالطاعات والرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار
النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر
الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار
على سهر الليل وكثرة الارق في الدين وكذلك يراءى بتشعث الشعر
ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه
اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس
لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب
من هذا خفض الصوت واغارة العينين والشفتين ليستدل بذلك
على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من
صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال عيسى
عليه السلم اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وذلك

كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود
اصبحوا احيانا مدهنين فهذه مراياة اهل الدين في البدن واما اهل
الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه
ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها الثاني الرياء بالزي والهيئة
اما الهيئة فتشعث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي
والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف
وتشميرها الى قريب من نصف الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف
الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع السنة فيه
ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلوة على السجادة
ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف
في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرائي به انه انتهى تقشفه
الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك
العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه وهو خال من العلم ليوهم
انه من اهل العلم والمراؤون بالزي على طبقات منهم من يطلب المنزلة
عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب الخرقة الوسخة
القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف
ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة
الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له في الزهد ورجع
عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول
عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو
لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب الخرقة البذلة
ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل
الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية الرفيعة

والمرقعات

والمرقعات المصبوغة والفوطة الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوبهم قيمة ثياب
الاغنياء وهيئته ولونه لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول
عند الفريقين وهولاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان
عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء
ولو كلفوا لبس ثوب الدبيقي والكتان الرقيق الابيض والقصب
المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان
يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم
راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه
او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا
فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل
في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيل وبالثياب المصبغة
الطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم
الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم
يبالغوا في الزينة الثالث الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ
والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال
في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باقوال
السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات
واظهار الاسف على مقارفة الناس بالمعاصي وتضعيف الصوت
في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الحزن
والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من
يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث و
المبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة

على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول
كثير وابوابه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار
والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب
على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب الرابع
الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام ومده وتطويل الركوع
والسجود واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون
وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة
وباطعام الطعام وبالاخبات بالمشي عند اللقاء كارخاء الجفون
وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي
الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار
واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان
غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا راه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر
الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع الانسان عليه
يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع
هذا استحى من ان يخالف مشيته في الخلوة لمشيته بمراى من الناس
فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راه الناس لم يفتقر
الى التغير ويظن انه تخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه
فانه صار في خلواته ايضا مرائيا فانه يحسن مشيته في الخلوة ليكون
كذلك في الملاء لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا
فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطاء
والاخذ باطراق الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على
الجاه والحشمة الخامس المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين
كالذي يتكلف ان يزور عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا

او عابدا

او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه
او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال لهم يتبركون به
لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا
كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه
عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا
وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع
ما يرائي به المراؤن وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد
ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى
ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما
حيلته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه
الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة
ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم
مع انه قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه
في اسبابه فانه نوع قدرة واستيلاء في كمال في الحال وان كان سريع
الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين
من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء
والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه
ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل شفاعته وينجز الحوائج
على يديه فيقوم له به جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل
بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى
وغير ذلك من الاحرام وهولاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن
بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما يقع به الرياء فصل
فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه

تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير
العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث
انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما لا يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب
محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه
الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الافات محمود
وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال
فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي و
يطغي وينسي ذكر الله والدار الاخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد
ففتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير
الحرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملة كثرة
المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه
من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر
فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
ومن بعده من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان
في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب
الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وهو ليس
بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل
للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم اراد يوما ان يخرج على اصحابه فكان ينظر
في جب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك
يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان تزين لاخوانه
اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة

قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان
يظهر لهم من محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام
الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر وكان ذلك قصد رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ولكن لو قصد قاصد به او يحسن نفسه في اعينهم
حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد
قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة
الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يانس بهم فاذن
المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة
وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك
نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض
العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه مراياة
ليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلوة و
الغزو والحج فللمرائي فيها حالتان احدهما ان لا يكون له قصد الا
الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات
وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول
صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه الاخبار
والايات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعبادة وهو التلبيس
والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين
وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين
جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم
بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر و
الثاني يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو
مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا

اليه كيف يستهزئ به ومثاله ان يمثل بين يدى ملك من الملوك طول
النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية
من جوارى الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك
اذا لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد به عبدا من
عبيده فاى استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة
عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا انه يظن ان
ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب
اليه من الله اذ اثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته
واى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات
ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك الاصغر نعم بعض
درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتى فى درجاته ولا يخلو شىء منه عن
اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن فى الرياء الا انه
يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى
الله فقد قصد غير الله لعمرى لو قصد غير الله بالسجود لكفر كفرا
جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس
فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع لهم فكان الناس من هم
المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود
وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم
نفسه فى قلب من عظمه عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله
فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم
عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من
نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله
فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم يستميل

بذلك

بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم فى الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافأة
له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم لا يجزى والد
عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل يقول الانبياء فيه
نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب
عند الله ما يترقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس فلا ينبغى
ان يشك فى ان المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والعقل
جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا
فى صدقته وصلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا
حكمه فى كتاب الاخلاص ويدل لما نقلناه فى الاثار ههنا على انه لا اجر
فيه اصلا **بيان درجات الرياء** اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد
واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات
فيه واركانه ثلثة المرائى به والمرائى لاجله ونفس قصد الرياء **الركن
الاول** فى نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون
ارادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان
كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف
او مساويا لارادة العباد فيكون الدرجات اربعا الدرجة الاولى
وهى اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذى يصلى بين
اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل ربما يصلى من غير طهارة
مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذا
من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب و
لو خلى بنفسه لما اداها فهذه من الدرجة العليا من الرياء الدرجة
الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث

لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن
الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه
من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والإثم
الدرجة الثالثة أن يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين
بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما
اجتمعا انبعثت الرغبة وكان كل واحد لو انفرد لا يستقل بحمله على
العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسا برأس لا له
ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر
الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص الدرجة
الرابعة أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن
لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم فالذي
نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه
أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما
قوله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فهو محمول على ما إذا تساوى
القصدان أو قصد الرياء أرجح **الركن الثاني** المراءى به وهو الطاعات
وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها القسم
الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات الدرجة
الأولى الرياء بأصل الإيمان وهو أغلظ أبواب الرياء وصاحبه
مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمة الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب
ولكن يرائي بظاهر الإسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه
في مواضع شتى كقوله إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول
الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون
أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك

قوله

قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى
في الأرض الآية وقال تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل
من الغيظ وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا والآيات فيهم
كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام
ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل من الدين
باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملحدة أو يعتقد طي
بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو
يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء
هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد من حال الكفار المجاهرين فإنهم
جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الدرجة الثانية الرياء بأصول
العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه
دون الأول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج
الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها أو
يدخل وقت الصلاة وهو في جمع فيصلي معهم وعادته ترك الصلاة في الخلوة
وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر
الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه
لا عن رغبة في الثواب ولكن خوفا من الناس أو يغزو أو يحج وكذلك
فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه ولو كلف أن
يعبد غير الله أو يسجد لغير الله لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل
وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته
عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله
ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما
أجدر صاحبه بالمقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد

الدرجة الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل
والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكن يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته
في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على
فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة
وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة ونحو ذلك قد يفعل المرائي
جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه لو خلا
بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله
فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل
ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده
من عقاب الله تعالى واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على
ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا
الرياء باصول العبادات **القسم الثاني** الرياء باوصاف العبادات
لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يرائي
بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود
ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس احسن الركوع والسجود وترك
الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل
ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه
في الخلوة فاذا اطلع ادمي على احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان
متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما
للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة
في الملاء دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير
الرديئة ومن الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد خوفا
من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق

لا اكمالا لعبادة الصوم فهذا ايضا من الرياء المحظورات لان فيه تقديما
للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي
انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع
والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت
صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس
وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمة منك
لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين
لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة
الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة
مقطوعة الاطراف ولا يبالي اذا كان الملك وحده واذا كان عنده
بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من يراعي
جانب غلام الملك يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان
احدهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام
قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع
والسجود ولو خففت كانت صلوتي عند الله ناقصة واذاني الناس
بذمهم وغيبتهم واستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا
فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة
فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان
لم يحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع
الذم بالمراءاة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق الدرجة الثانية
ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة
لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة
في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال و

الزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في شهر رمضان
وطول الصمت وكالاختيار للاجود على الجيد في الزكوة واعتاق
الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلى ونفسه لكان لا يقدم
عليه الدرجة الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل
كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى
يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلى
بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات
الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم
الركن الثالث المرائي لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة
فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله
ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون
مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى
والورع بكثرة النوافل والامتناع من اكل الشبهات وغرضه ان
يعرف بالامانة فيولى القضاء والاوقاف او الوصايا او مال الايتام
فياخذها او تسلم اليه تفرقة الزكوات او الصدقات ليستاثر بما
يقدر عليه منها او يودع الودايع فياخذها ويجحدها او تسلم اليه
الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها
الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي
وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل
الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور
وقد يحضرون في مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة
في سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج
الى الحج ومقصده الظفر بمن في الرفقة من غلام او امراة وهؤلاء ابغض

المرائين

المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه
آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم
من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه
فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق
بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب
الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى
الدرجة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من
مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء
ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء
فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي
يرغب في ان يتزوج بنت عالم او عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب
في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا
ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه الدرجة الثالثة
ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته
خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد
ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع الناس
فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من
اهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك او بدا منه المزاح فيخاف ان
ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء
واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم
منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان
ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون النوافل و
يتهجدون ويصومون التطوع او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان

ان ينسب الى الاكل ويلحق بالعوام ولو خلى بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه
وكالذي يعطش في اليوم الذي يصام فيه تطوعا فلا يشرب خوفا من
ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل
لاجلهم او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه
صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبثين فانه يرى انه
صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمرائي وانه يحترز من ان يذكر عبادته
للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى
شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا بان
يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول
افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه
كيلا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض
حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة
في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من
تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن
اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه
علامات الرياء فلا تسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء
في الباطن واما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان
لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان
يعتقد غيره فيه فيكون ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم لله قنع بعلم
الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره
وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك
وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت
مقت الله وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه

شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر تزل فيه فحول العلماء
فضلا عن العباد الجهال بافات النفوس وغوائل القلوب

بيان

الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل اعلم ان الرياء خفي وجلي
فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب و
هو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف
العمل الذي اريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل
عليه فاذا نزل عنده ضيف نشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء
الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر
في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في
القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات
واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد مخلص
في عمله لا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن
اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة
العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولولا
التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان
الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق
اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل
ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك
على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع
عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح
وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل
كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف
الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى

من ذلك ان يختفى بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه
مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبداوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة
والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا فى قضاء حوائجه وان يسامحوه
فى البيع والشراء وان يوسعوا له المكان وان قصر فيه مقصر ثقل على قلبه
ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة
التى اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة
لما كان يستبعد تقصير الناس فى حقه ومهما لم يكن وجود العبادة
كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن
خاليا عن شوب خفى من الريا اخفى من دبيب النمل كل ذلك يوشك
ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روى عن على عليه السلم
انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم
السعر الم تكونوا تبتدءون بالسلم الم يكن تقضى لكم الحوائج وفى الحديث
لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك
روى عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا
الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان تكون قد دخل علينا فى
امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال فى اموالهم
ان احدنا اذا لقى احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب
ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان
دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل
قد امتلا بالناس فقال السايح ما هذا فقيل هذا الملك وقد اظلك
فقال للغلام ائتنى بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل
يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قالوا
كيف انت قال كالناس وفى حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من

خير

من خير فانصرف عنه وقال السايح الحمد لله الذى صرفك عنى وانت لى
ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك
فى مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما
يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم
فيجازيهم الله فى القيمة باخلاصهم على ملاء من الخلق اذ علموا ان الله
لا يقبل فى القيمة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى
القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده
ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى
فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة
فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربى الخالص لعلمهم بان ارباب
البوادى لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد فى البادية ولا وطن
تفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى الا الخالص من النقد فهكذا
يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذى يتزودونه من التقوى
فاذا شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما ادركت النفس تفرقة بين
ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع
طمعه عن البهائم لم يبال حضرته البهائم والصبيان الرضع ام
غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله
لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء
لا يقدرون له على رزق واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب
كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه
شوب رياء خفى ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل
بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت
طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود فنقول اولا كل سرور

فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود
فاربعة الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله
ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من احواله
فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة
والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة فلا لطف اعظم من
ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس
وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا وكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني
ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك
يفعل في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ستر
الله على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا
في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل الثالث
ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف
بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما
قصده اولا ومن اقتدى في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من
غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب
السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع
ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع
وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة
فيمقته ويحسده او يذمه ويهزئ به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه
فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع
ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم وهو
الخامس فهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه

ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره
وموارده فهذا مكروه بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي
وما لا يحبط فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد
الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان
ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل
اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده
فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره و
التحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله
اياه ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه اقول
ويدل على هذا ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام انه سئل عن الرجل
يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك قال لا باس ما من احد
الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك
لذلك وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني
قال لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه ابو حامد في موضع
آخر وقال هاهنا نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن
ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف
وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود
انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة سورة البقرة قال ذلك حظه منها
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لرجل قال له
صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم
قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيف
ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء
وقصد لها ان الظاهر منه التحدث به ان يبعد ان يكون ما يطرأ من
العمل مبطلا للثواب بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى
ومعاقب على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير
عقده الى الرياء قبل الفراغ فان ذلك مبطل واما اذا ورد وارد الرياء
قبل الفراغ عن الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في
اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل
واما ان يكون رياء باعثا على العمل وختم العمل به حبط اجره ومثاله
ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو
يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه
ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط
اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي ان من راءى
بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلوة في هذه
الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منها منفرد فما يطرأ
يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة فاما اذا
كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو
حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم وانعقد الرياء و
قصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها
ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب
حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة
مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها
على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ

ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة العقد
والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولا يبعد
ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث
الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم
به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام
اقول وقد اسلفنا ما يدل على ذلك من النص قال واما الاخبار التي
وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد
في الشركة فهو محمول على ما اذا ~~لم يرد به الا الخلق~~ كان قصد الرياء
مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة
اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وساير الاعمال ولا ينبغي ان
يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه
صلوة خالصة لوجه الله والخالصة ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا
للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص
كلاما اوفى مما اوردناه هنا فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطاري
بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعده **القسم الثالث** الذي يقارن
حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى
يسلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء
ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة
لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة يلزمه اعادة
الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلوة لان
التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا
وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة
على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداها بالاخلاص

وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة
فاذا ازيل العارض عاد الى اصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود
لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن قد اقترن به عارض
الرياء ثم ان زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالى بحمد الناس
وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخرين خارج عن قياس الفقه
جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح
لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلوة فتبطل
الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الاخر
فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات
بمراعاة الاحكام النية حالة الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه
هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب
الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك
فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما راه الناس يحرم بالصلوة وكان
بحيث لو كان ثوبه ايضا نجسا كان يصلى لاجل الناس فهذه صلوة
لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث
ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلى الا انه
ظهرت له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون
صدقة او قراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان
كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث
الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا
يحبط احدهما الاخر وان كان في صلوة يقبل الفساد بتطرق خلل الى
النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كانت نفلا فحكمها ايضا حكم

الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان واما
اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد منهما لا يستقل وانما
يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب
لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى
لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ
صلوة تطوع لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل
ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص
ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد
فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة
فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع
باصل الصلوة وسقط الفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في
تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة
مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر بالصلوة في اول الوقت لحضور
جماعة ولو خلا لاخرها الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ
صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به
لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل
من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد من القدح في النية هذا في رياء
يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس
اذا لم يبلغ اثره حيث يؤثر في العمل فيبعد ان يفسد الصلوة فهذا
ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء
لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا لم يلاحظوا
قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم
الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى

الخواطر وما ذكرناه هو براقصد فيما نراه والعلم عند الله تعالى فيه **بيان**
دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط
للاعمال وسبب المقت عند الله وانه من كباير المهلكات وما هذا وصفه
فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق
فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها
العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق
كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع
بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال
عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة
شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى
هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما
قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال
المقام الاول في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة و
الجاه واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهي حب لذة الحمد والفرار من
الم المذلة والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها
الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان
يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا
هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو
الحمد باللسان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان
نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر فلان يقاتل
للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم

من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذه اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي
الحمد ولا يطمع ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم
يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع
في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف
خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال
ولكن اذا يئس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل
فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد
وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم
الذم وكذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان
يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل و
كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء
وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر
الآن ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه
لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم
انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن
يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك
طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد
مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من
التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب
العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى به على رؤس العباد
يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض
الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزأت بنظر الله تعالى وتحببت الى العباد
بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد

من الله وتحببت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط
الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي
وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من
الاخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما
كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى
كفة السيئات فيرجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط
عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كانت مع ذلك
ساير حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله
في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد على
صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من
تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية
لا تدرك وكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط
بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم
ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم
ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو
يوم القيمة واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو
المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا
رزاق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل
الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء
كاذب ووهم فاسد قد يصيب ويخطي واذا اصاب فلا تفي لذته
بالم منته ومذلته واما ذمهم فلا يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم
يكتبه الله ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان
كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا

ولا

ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه افة هذه الاسباب
وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما
يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء
واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس
ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم
اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء
عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من
بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه
واله كذبت ذلك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه
ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله
مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله
محمود وفي زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها المؤبد
والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة
مع ما فيه من الكدورات والمنة والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله
قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاسات قلوب الخلق وانعطف من
اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف
المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته للخلق واستحقار الدنيا و
استعظامه للاخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية
الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول
هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء واما الدواء العملي
فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما
تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه
على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض

اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له ابو حفص اظهرت
ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعدها فلم يرخص في اظهار هذا
القدر لان في ضمن ذم الدنيا بعض دعوى الزهد فيها فلا دوا للرياء
مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف
سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده
من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن
الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها
ويوت من لدنه اجرا عظيما **المقام الثاني** في دفع العارض منه
في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه
وقلع مغارس الريا من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقط من
اعين المخلوقين واستحقر مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه
في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا ينقطع عنه نزغاته
وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما
يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلثة قد تخطر دفعة واحدة
كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع
الخلق او رجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم
وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه
وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة
والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة
في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة
اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال لنفسه ما لك و
للخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك واى فايدة في علم غيره

فان هاجت الرغبة لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل في افة الرياء
وتعرضه للمقت عند الله في القيمة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله
فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة افة
الرياء ايضا تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت
الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه
الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقويهما واغلبهما فاذا لا بد في رد
الرياء من ثلثة امور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في
العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الريا فيقبله ولا تحضره المعرفة
ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء
القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى
في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بافات الرياء و
شوم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد او خوف
الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على
التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به
غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر افة الغضب
ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملا القلب وتدفع نور المعرفة
مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها
يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان
القلوب امتلات بالخوف فنسيت العهد السابق حتى تذكروا واكثر
الشهوات التي تهجم فجاة هكذا تكون اذ تنسي معرفة مضرتها
الداخلة في عقد الايمان ومهما انمحت المعرفة لم تظهر الكراهة فان
الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له خاطر

الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته وتغلب
هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل
عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة وكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه
الى ذكره الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون عليه
الحجة اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله
ولا تنفعه معرفته اذ خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة و
الكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة
ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ
الغرض من الكراهة ان يصرف عن الفعل فاذا لا فايدة الا في اجتماع
الثلث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة و
الكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم
وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة
التفكر فيما عند الله وقلة التامل في افات الحيوة الدنيا وعظيم
نعيم الاخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب
الدنيا وغلبة الشهوة فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة
حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغمر القلب وتغلبه وتحول
بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة
وانوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته
الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه
له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه وميله وغير مجيب اليه فهل
يكون في زمرة المرائين فاعلم ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق
وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى
لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة

استارها

استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم
الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلفه ويدل على ذلك
من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا
الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم
بها فقال او قد وجدتموها قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان
ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة ولا يمكن ان يقال اراد بصريح
الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة
والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا
اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك
يروى عن النبي صلى الله عليه واله وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد
لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان
من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك
وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة
الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة
والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة
للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من نفسك
والكراهة من الايمان ومن اثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة
وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه
في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى
يسلبه به ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة
الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله عز وجل
فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في

فهم خواطر الرياء على اربع مراتب **الاولى** ان يرد على الشيطان فيكذبه
ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك
اسلم للقلب وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله
وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج
على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك **الثانية** ان يعرف ان القتال
والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل
بمجادلته **الثالثة** ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان
قلت بل يكون قد قدر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان
فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا
بالمخاصمة **الرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسد عند جريان
اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو
فيه من الاخلاص والاشتغال بالله عز وجل واخفاء الصدقة والعبادة
غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب
ياسه وقنوطه حتى لا يرجع فيروى عن الفضيل بن عياض انه قيل
له ان فلانا ذكرك بسوء قال والله لاغيظن من امره قيل من امره
قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه
ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من
ان يزيد في حسناته وقال ابرهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى
الباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا راه
كذلك تركه وقال ايضا اذا راك الشيطان مترددا طمع فيك واذا
راك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة
مثلا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم
والحديث لينالوا منه فائدة وهداية وفضلا فحسدهم على ذلك

ضال

ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد منهم فمنعه وصرفه عنه
ودعوته الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباه شغله بالمجادلة فاشتغل
معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت
عليه بقدر تاخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع
في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر
توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه
ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية ومر الرابع
فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في الشيء فيوشك
ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير
فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فالشيطان
اذا كان لا يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه
انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب
الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلثة
اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا
عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم
الشيطان فايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في
الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا وان كانت مباحة كالخمر
والخنزير عندهم واذا خلوا منها بالكلية لم يبق للشيطان
اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى
ان الرصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله
فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان
الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراد الله تعالى
فهو الضار والنافع والعارف يستحي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية

يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لابد من الحذر من الشيطان
وما ذكره البصريون من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم
عن حب الدنيا بالكلية وهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا
اذ الانبياء لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص
غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في
صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد
من الخطر فيه والقران من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف
يدعي الامن منه واخذ الحذر منه حيث امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال
بحب الله تعالى فان من الحب له امتثال امره وقد امرنا بالحذر من العدو
كما امرنا بالحذر من الكفار فقال وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال و
اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم فاذن لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه
فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قيل صيد
تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان
يظفر بك واشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة من عدو هلاك
الا القتل وهو شهادة وفي الاهمال للحذر من الشيطان التعرض
للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر
الله عنه وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك قادح
في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق
لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يقدح في
التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر منه وقد
ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن
الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

لا يناقض امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي
والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي
هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرنا في كتاب التوكل وهذا
ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله
يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما
يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على
الدوام وهو بعيد ثم اختلف هذه الفرقة على ثلثة اوجه في كيفية الحذر
فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب
على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة
فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر
الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل
بذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع
بين امرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا
لذكره كنا قد اهملنا ذكر الله تعالى فالجمع اولى وقال العلماء المحققون
غلط الفريقان فاما الاول فقد تجرد للشيطان ونسي ذكر الله تعالى
فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن
الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو
ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان
مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك
ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان
ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب
بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان
ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس

وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته
فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فليشتغل بذكر الله ويجب
عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك
بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل
بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان
بل الرجل ينام وهو خائف على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم
نفسه الحذر وينام على ان يتنبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات
قبل اوانه لما اسكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله
بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع
العدو اذ كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى فقد امات منه الهوى واحيى
فيه نور العقل والعلم واماط عنه ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا
قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره
بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى
ابصروا خواطر العدو ومثال القلب مثال بئر يريد تطهيرها من الماء
القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها
الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وبين ذكر الله قد نزح الماء
القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب آخر فيطول تعبه ولا
يجف البئر عن الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر
سدا وملأه بالماء الصافي واذا جاء الماء القذر دفعه بالمسكر والسد
من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة
من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن
فيه آفة الرياء قال بعض السلف قد علم المسلمون ان السر احرز العملين

ولكن

ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية
فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر في التحدث
بما عمل **القسم الاول** اظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب الناس
فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية
لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان
له اجرها واجر من اتبعه ثم تجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة
والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء على الطباع في الصدقة اغلب
نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم
تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال
العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض
مجرد فكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلاة الليل لينبه جيرانه واهله
فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل
المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه
شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار
الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل
لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل
فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة
وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة
فهي افضل من السر ويدل على ذلك ان الله تعالى امر انبياءه باظهار العمل
للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا
افضل العملين ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله له اجرها واجر من
عمل بها وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على العمل العلانية

سبعين ضعفا وايضا يضعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر
سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن
شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى
به افضل لا محالة وانما يخاف من اظهاره الرياء ومهما حصلت شائبة
الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه
ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما ان يظهره حيث يعلم ان
يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به اهله دون
جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدى به اهل
محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير
العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه
ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار بنية
القدوة ممن هو في محل القدوة وعلى من هو في محل الاقتداء به و
الثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه
الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به
وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم
فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر
فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر
الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك
والغرق بالماء في الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء
مثله لا بل عذابه مدة مديدة وهذه مزلة اقدام العباد والعلماء فانهم
يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط
اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض
على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد اخر من

اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون
هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر و
اقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره
واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظة
لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوعة
والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما يسلم الاعمال
الظاهرة عن الافات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في
الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه امثالنا فالحذر
من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء **القسم الثاني** ان يتحدث
بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا
اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية
زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوى عظيمة الا انه لو
تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها
فهو من هذا الوجه اهون فالحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه
وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك
عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب
اليه ان صفت النية وسلمت من جميع الافات لانه ترغيب في الخير
والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء
فلا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه
والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه
خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه
الاقتداء بمن هو مرائي عند الله تعالى وقد روي انه كان يجتاز الانسان
في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت

نصف بعضهم كتابا في رياء القراء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة
فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المراءة
فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض
المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم لها

اعلم ان الاصل
في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال بعضهم عليك بعمل
العلانية قيل وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه
وقال اخر ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي
والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا
يخلو انسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره
اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني
والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما
يظن انه رياء محظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف
من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي اما الصادق الذي
لا يرائي فيجوز له ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه
باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه اولها ان يفرح بستر الله عليه
واذا افتضح اغتم لهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيمة
اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة
وهذا غم ينشأ من قوة الايمان الثاني انه قد علم ان الله تعالى
يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم
من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى فهو وان
عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه من محبة ما احبه وهذا ينشأ من قوة

الايمان

الايمان لكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من
غيره ايضا ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك
يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع
العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ينبغي ايضا ان يكره الحمد الذي
يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من
قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان
الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهة ذم الناس من حيث يتأذى
طبعه به فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب
بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه
من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان
ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية
الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله
وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع يتألم بالذم لما
فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذام من
اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى
وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم
لفوات الحمد بالتورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز انه يحب
ان يحمد بطاعة الله فيكون طالبا ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه
ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس
بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب
الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر
عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم
واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعات طلب ثواب للطاعة في الحال واما كراهة

الذم على المعصية فلا محذور فيه الامر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق
على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي
ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث
ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه
لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة
الطبع الخامس ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا
وراء الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان
كان ممن يومن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه لسبب من الاسباب
فله ان يستر ذلك حذرا منه السادس مجرد الحياء فانه نوع الم وراء
الم الذم والقصد بالشر والحياء هو خلق كريم يحدث في اول الصبا مهما
اشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف
محمود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياء خير كله وقال الحياء
شعبة من الايمان وقال الحياء لا ياتي الا بالخير وقال ان الله يحب
الحي الحليم والذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس قد جمع الى
الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يفسق ويستر
ويستحي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من
يتفطن له ويدعي كل مرائي انه يستحي وان سبب تحسينه للعبادات هو
الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع
الكريم ويهيج عقيبه داعية الريا وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص
معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديقه قرضا
ونفسه لا يسمح باقراضه الا انه يستحي من رده ويعلم انه لو راسله على
لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك
احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا

فعل

فعل من لا حياء له فان المستحي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى
فيتصور له ثلثة احوال احدها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء
فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني
عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخا وينبغي ان تعطي حتى لا يذمك
ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى على هذه الصفة فقد اعطى بالرياء
وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء الثاني ان يتعذر عليه الرد
بالحيا ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص
ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم
وادخال السرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فيسخو النفس
بالعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه الثالث ان لا يكون
له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لحمده لانه
لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه لمحض الحياء وهو ما يجده
في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاء من لا يستحي منه
من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا
مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب
والمرائي يستحي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي
فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك
حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو
صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس
واقامة الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير
محمود وقد يشاهد معصية من شيخ فيستحي من شيبته ان ينكر عليه
لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن
واحسن منه ان يستحي من الله فلا يضيع الامر بالمعروف والقوي يوثر

الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه
فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبايح والذنوب السابع
ان يخاف من اظهار ذنبه سقوط وقع المعاصي من النفس وجراتها
عليها فان النفس حتى الفت ظهور الذنوب زاد الفها لها واسترسلت
في شهواتها الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستهزى عليه غيره
ويقتدي به وهذه العلة الواحدة هي الجارية في اظهار الطاعة
وهي القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة
ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون
منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة
عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد ستر المعصية ان يخيل الى
الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان
قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه
بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه واله وسلم دلني على عمل يحبني
الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ
اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون
مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان يحب
ذلك لتعرف به حب الله لك فانه اذا احب عبدا احبه في قلوب
عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك
وصلواتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله
عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات
محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك
للمال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا
فرق بينهما **بيان** ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الافات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك
غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك
لخوف الافات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها
كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاسات ومجاهدات وانما
تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس
لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر
ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات
والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق
وغير ذلك مما تعظم الافة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة
القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير
ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلثة
احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه
باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه
تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع
عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحي من مولاك لا تسخو بالعمل
لاجله وتسخي بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الرياء وسخت
النفس بالعمل لله تعالى عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة عليه
فليشتغل بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن يعرض الرياء مع عقد
العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا
فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص
بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء من
القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه
فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص

ويرد نفسه اليه ثم احتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى
ترك العمل فاذا لم تجبه واشتغلت دعاك الى الرياء فاذا لم تجب
ودفعته بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مرائى وتعبك
ضايع فاى فايدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك
على ترك العمل لخوفه فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من ترك
العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب
وقال له خلصها من التراب ونقها تنقية بالغة فترك اصل العمل وقال
اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من
اصله هو ترك للاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل
ان يترك العمل خوفا من الناس ان يقولوا له انه مرائى فيعصى
الله به فهذا من مكائد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين
وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم
ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مرائى
هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم
قالوا انه مرائى او قالوا انه مخلص واى فرق بين ان يترك العمل
خوفا من ان يقال انه مرائى وبين ان يحسن العمل خوفا من ان
يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها
مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في ان يتخلص
من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له
الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهى
الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا
تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهدك وهربك
منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص بل لا نجاة منه

الا ان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وانه ضرر في الاخرة ولا نفع فيه في الدنيا
لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالى وان
نزغ العدو ونازع في الطبع فان ذلك ينقطع وترك العمل لاجل
ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على
العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله
اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع
على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك
بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك
فافعل فان قال لك الشيطان انت مرائى فاعلم كذبه لما تصادف قلبك
من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله وان لم تجد
في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث دينى بل تجرد باعث
الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله تعالى
فانه لا بد ان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل
من اقوام ترك العمل مخافة الشهرة قلنا هذا يعارضه ما قدمنا اظهار
الطاعات ممن لا يحصى وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في
الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل
ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون
انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغى ان يكون
بالاقوياء **القسم الثاني** ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الافات و
الاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس
والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل
العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه
وآله وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما

فاحظهم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
اول من يدخل الجنة ثلثة الامام المقسط احدهم وقال ثلثة لا ترد دعوتهم
الامام العادل منهم وقال اقرب الناس مني يوم القيمة امام عادل
اقول لما كانت الخلافة عندنا انما يكون مفوضة من الله عز
وجل مخصوصة بالامام المعصوم المطهر من الرجس وشوائب النفس
التي منها تهيج الرياء ولا يدعيها بعده الا المشرك الذي احبط
بشركه جميع اعماله راسا فلا حاجة بنا الى الكلام فيها من حيث
تطرق الرياء اليها فلنطوه وقد نقل ابو حامد عن شيخه في هذا
المقام من القول والفعل ما نقل قال واما القضاء فهو وان كان
دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له
امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع
الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال
صلى الله عليه وآله وسلم القضاة ثلثة واحد في الجنة واثنان في
النار وقال من استقضى فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة
ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من الدنيا واللذات في عينه
وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم لومة لائم ومهما كانت
السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم
واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم
عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان
تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا
مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه
فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح به نفسه
فهو اذن يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا

وهو

وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار اقول ومن طريق الخاصة
ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال اتقوا الحكومة انما هي
للامام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي او وصي نبي وعنه
عليه السلم قال قال امير المؤمنين عليه السلم لشريح يا شريح قد جلست مجلسا
لا يجلسه الا نبي او وصي نبي او شقي وعنه عليه السلم قال القضاة اربعة
ثلثة في النار وواحد في الجنة رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار
ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو
يعلم فهو في الجنة قال ابو حامد واما الوعظ والفتوى والتدريس
ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه
ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولاية وقد كان الخائفون
من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون
حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي
اقول وقد اسلفنا كلاما عن مولانا الصادق عليه السلام في الفتوى
في كتاب العلم من ربع العبادات قال والواعظ يجد في وعظه تأثر
قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة
لا يوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام
مزخرف يروج به عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام
تستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما
يحرك قلوب العوام ويعظم المنزلة في قلوبهم فلا يسمع حديثا و
حكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على
راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف
طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول
اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني

في نفعها اخوانه المسلمون فهذا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه
حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين
والتفاخر والتكاثر به فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض
نفسه ويقوى في الدين منه ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود
اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست
وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة
وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها بحقها وقال
نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت
لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن
وخربت البلاد وبطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك فاما قول القائل
نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطيل القضاء بل
الرياسة وحبها اضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك
العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال
عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس
وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا
الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله
لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة
يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الخوف الا امتناع بعضهم
والا فنعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم
يكن في البلد سواه احد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن
كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى انه انما يريد الله بوعظه

وانه

وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه عنها ونقول له اشتغل وجاهد
نفسك فان قال لست آمن على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم
انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب
لغرض الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من
سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا الذي
قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يؤيد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الاخرة ويزهد
في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه
الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما
ليس فيه تعظيم لامر الدين ولا تخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة
على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب
الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ
جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردنا
في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم
الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى صلى الله عليه وآله يا علماء
السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون
وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني
وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة
بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه
النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم
يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته
ولا ينقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم
جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم

اخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاى الناس حسن
منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى
محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا
ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه
وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم
منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام
يوشك الدنيا ان تقلعكم من اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم
تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم يدفعكم العلم من
خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواتكم
ثم يجزيكم بسوء اعمالكم وقد روى الحارث المحاسبى هذا الحديث
فى بعض كتبه ثم قال هولاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على
الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا
الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الاخرة هم الخاسرون
فصل فان قلت فهذه الافات ظاهرة ولكن ورد فى العلم والوعظ
رغايب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لان يهدى
الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه واله وسلم
ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى
غير ذلك من فضايل العلم فينبغى ان يقال للعالم اترك حياء الخلق
كما يقال لمن خالجه الرياء فى الصلوة لا تترك العمل ولكن اتم العمل
وجاهد فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة
ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس فى نفس العلم افة
انما الافة فى اظهاره للتصدى بالوعظ والتدريس ورواية الاحاديث
ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد من نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث

الرياء واما اذا لم يحركه الا الرياء فترك مراطها وانفع له واسلم وكذلك
نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا
خطر له وسواس الرياء فى اثناء الصلوة وهو له كاره فلا يترك الصلوة
لان افة الرياء فى العبادات ضعيفة وانما تعظم فى الولايات وفى
التصدى للمناصب الكبيرة كالعلم وبالجملة فالمراتب ثلثة الاولى الولايات
والافات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الافة
الثانية الصلوة والصوم والحج والصدقة وقد تعرض لها اقوياء السلف
وضعفاؤهم لم يوثر فيهم الترك لخوف الافة وذلك لضعف الافة
الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الثالثة
وهى متوسطة بين الرتبتين وهو التصدى لنصب الوعظ والفتوى
والرواية والتدريس والافات فيها اقل مما فى الايات واكثر مما فى
الصلوة والصلوة ينبغى لا يتركها الضعيف والقوى ولكن يدفع
خاطر الرياء والولايات ينبغى ان يتركها الضعفاء راسا دون الاقوياء
ومناصب العلم بينهما ومن جرب افات منصب العلم علم بالولايات
اشبه وان الحذر منها فى حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة
وهو جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان فى الانفاق و
اظهار السخاء استجلابا للثناء وفى ادخال السرور على قلوب الناس
لذة للنفس فالافات فيها ايضا كثيرة وقد اختلف العلماء فقال قوم
اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منه وتصدق به فهو افضل من ان
يشتغل بالعبادات والنوافل لانه خير متعد كالنكاح وقال قوم
الجلوس فى دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن ذكر
الله وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها ابر وقال
قوم اقل ما فيه انه يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر

ابر

وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفات الرياء فتركه لها
والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق
وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفات
فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما
فيه من الشر وليفعل ما يدله عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع
وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس
لا تستلذ الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك
ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي
واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع
ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك
المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان
تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه
وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق
والتجرد للذكر او الكسب الحلال وانفاقه في الخيرات وذلك لما في الكسب
من الآفات واما المال الحاصل الحلال فتفرقته افضل بكل حال من
امساكه فان قلت فباي علامة يعرف العالم والواعظ انه الصادق
مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احدها
انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس له اشد
قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه
مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى
كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب
اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات
كثيرة يطول احصاؤها **بيان** ما يصح من نشاط العبد للعبادة

بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع
فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه
وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا راهم انبعث نشاطه للموافقة
حتى يزيد على ما كان معتاده او يصلي مع انه كان لا يعتادها اصلا
وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط
في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء
وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل
لان كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل وصيام النهار
ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشتغال وتغلبه التمكن من
الشهوات او تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال
الغفلة او تندفع العوائق والاشتغال في بعض المواضع فينبعث
النشاط فقد يكون الرجل في منزله فيقطعه الاسباب عن التهجد
مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته او
المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب
له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت هذه الشواغل
التي تفتر رغبته في الخير وحصلت اسباب باعثة على الخير كمشاهدته
اياهم وقد اقبلوا على الله عز وجل واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم
فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين
لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او بسبب اخر
فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وينضاف اليه انه في
منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وانما تسمح بالتهجد
وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق
وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر

خبها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه الصوم فينبعث بعضه الدين للصوم
فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم
قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب
فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل
ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد
على صلوتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا
من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل
فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند
ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله
وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيك لزوال العوائق
لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرفت ان
المحرك هو الريا فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة
لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله تعالى وان كان انبعاثه
لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق و
علامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو راى هؤلاء يصلون من حيث
لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت
تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه فان سخت نفسه بها فليصل فان
باعثه الحق وان كان تثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليتركه
فان باعثه الريا وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من
نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم
ويمكن ان يكون سبب تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال الغفلة
بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه
نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين

فلا

فلا ينبغي ان يترك العمل لما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك
على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم
فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده
لما بكى لكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء
فيتباكى تارة للرياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب
حين يبكون فلا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة
الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه
وهل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك
عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه
قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان لابنه لا ترى الناس
انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس
والانين عند القران او الذكر او بعض مجاري الاحوال تارة يكون
من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة يكون لمشاهدة
حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك
محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن
ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت
بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه
وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض
لسخط الله به وقد يكون اصل الانين من الحزن ولكن يمده و
يزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة من الرياء وهو محظور لانها
في حكم الابتداء بمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد
معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة
تحزين للصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر

بعد ان انزسلت بخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء
وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي
ان يقال له انه سقط من غير زوال العقل وحالة شديدة فيزعق
ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد يكون ابتداء
السقوط عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا
فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم
الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف
ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم يكن غشيته صحيحة
ولو كانت لدامت ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكي
على غيره حالة المشي يري انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب
الخطا ليظهر انه ضعف عن سرعة المشي فهذه كلها مكيدة الشيطان
ونزعات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو
عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع
على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق
فقام معه شيخ فرأى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ اذكر الذي
يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد
جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق
ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار
والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر
خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون لمراءاة فهذه خواطر
ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها مشتبهة
فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان
كان لله فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من

الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك
على الاخلاص فيه واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد
الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في
اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلاثة النفر الذين
حاجوا ايوب اذ قالوا يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته
التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك
ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين
اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما
اخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي مضيعا لما انت مطلع عليه
مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك بأسوء عملي تقربا الى الناس
بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني
من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلاثة نفر لايوب عليه السلام
يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند
طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم بالرد فهذه جمل آفات الرياء
فليراقب العبد قلبه ليقف عليه وفي الخبر للرياء سبعون بابا وقد عرفت ان
بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من
من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة المراقبة
والتفقد وليس يدرك الا بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير
تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن مخادعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم قلبه قبل العمل وبعده

وفيه اعلم ان اولى ما يلزم المريد
قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم
الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره و
ارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه

كراهة ذلك من جهة العقل فيه الايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت فـ
ليراقب قلبه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس
عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الاطلاع ويقول مثل هذا العمل العظيم او
الخوف العظيم والبكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في
الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون
قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه
ويتذكر في مقابلة عظيم عمله ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد
الاباد وعظيم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده
ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليهم وسقوط عند الله واحباط العمل
العظيم فيقول وكيف ابيع هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون
لي على رزق واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ياس عنه فيقول انما
يقدر على سر الاخلاص الاقوياء فاما المخلصون فليس ذلك من شانهم
فيترك المجاهدة في سر الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي
لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرايضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو
فرايضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار
ماخوذا بالفرايض وهلك به فالمخلط الى سر الاخلاص احوج وقد روى
تميم الداري عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة
فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع
اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي
المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر
الفرايض وتكفير السيات ولا يمكن ذلك الا باخلاص النوافل واما
المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما
يترجح به على سياته فيدخل الجنة فاذن ينبغي ان يلزم قلبه خوف الاطلاع

غيرها الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث
ولا يظهره فاذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا
انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله
ورده فيجوز ان يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية ما
مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله
وبعده الا في ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء
انه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة
يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شايبة خفية
احبطت منه عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من
خوفه لانه استيقن انه دخل باخلاص وشك في انه هل افسده برياء
فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات
فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك اجدر بان
يكون خاطر الرياء وان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى
الله بالسعي في حوايج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء
الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب
على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر مكافات وحمد وثناء من المتعلم
والمنعم عليه فان ذلك محبط للاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة
في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليتكثر باستتباعه او تردد
منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع نفعه ولم
يقصد الا الثواب على عمله بعلمه الذي علمه ليكون له مثل اجره ولكن
خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجوا ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان
لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان
العلماء يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بير فجاء قوم وادلوا الحبل

يرفعون مخالف عليهم ان لا يقف معهم من قرا عليه اية من كتاب الله او سمع
منه حديثا خيفة من ان يحبط ذلك اجره فاذن يجب على العالم ان
يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على
المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند
المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم
رتبة فيتعلم منه وهو خطاء لان ارادته بطاعته غير الله خسران
في الحال والعلم ربما يفيده وربما لا يفيده فكيف يخسر في الحال عملا
نقدا على توهم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله تعالى ويعبد الله
تعالى ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون
تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم
غيره وكذلك كل من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما
الا من حيث ان رضاء الله في رضاء الوالدين ولا يجوز له ان يرائي
بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال و
سيكشف الله تعالى عن ريائه ويسقط منزلته من قلوب الوالدين ايضا
واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة
بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله
فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى يتيسر عليه العبادات في خلوته
به وانما سهولتها معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري
انه المخفف عمله عليه وقال ابرهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب
يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت
في صومعتك هذه فقال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك فقال
يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة
قلت فما الذي يهيج في قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي

بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون
صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن
العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة
فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال
حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت
فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الى الدير فقد راوا
ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا
حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به
ونحن احق به فقالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين
دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته
منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين
الف دينار لاعطوك هذا عز من لا يعبده فانظر كيف يكون عز من
يعبده اقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة والمقصود ان استشعار
النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر
العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته
ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن
اعتقاده لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهية ضعيفة ان
وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه فانه لو كان في
عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله
سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه
ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك
ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان
يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه

اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها
الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطلب لها في
دعواها قصد الانقباض بموثوق من الله غليظ وهو انه لو علم انقباضهم
عنده انما يحصل بان تعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه
بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فتخشى ان يكون مرادها
المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في
الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض
وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة
لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن
علامات الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر
فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا
كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له لذلك
الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر
فهو مراء او طامع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في رغبة الاخرة و
يحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح
الى الغني اكثر مما استروح الى الفقير نعم لك زيادة اكرام الغني
اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة
ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم
الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني
فايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت
بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر
مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك
لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت الي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك

وقد صدق فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطق به عند الفقير و
كذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس
وخفاياها في هذا الفن لا ينحصر ولا ينجيك منها الا بان تخرج
ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا
ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية
وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا امكنته الشهوات وساعدته
اللذات ولكن في بدنه سقم هو يخاف الهلاك على نفسه في كل
ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته
عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وعارف الصيادلة
وعود نفسه شرب الادوية المرة فصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات
وصبر على مفارقتها فبدنه في كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن
سقمه كل يوم يزداد نقصانا لكثرة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى
شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع عليه واداء ذلك الى الموت
المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد
عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب
للتمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رضي وامر نافذ
فتخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن
المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات
الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول
والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق جميعا خوفا
من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء لان ينجو من عذابه
فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه واعانه بعاقبة امره وبما
اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الاباد ثم علم ان الله رحيم

لم يزل بعباده المريدين لمرضاته عفوا وبهم رءوفا وعليهم عطوفا ولو
شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف
صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله
عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء واسهل عليه الصبر وحبب
اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر
اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده
بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو
الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال
شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في
البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى القرب
ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته ولله الحمد والمنة

هذا اخر كتاب ذم الجاه والرياء
من ربع المهلكات من المحجة البيضاء
في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله
تعالى كتاب ذم الكبر والعجب
الحمد لله اولا و
اخرا

كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي
لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع و
كل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القاهر الذي لا يدفعه
عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع
القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه
واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع
عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن صفة
كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه و
قصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه
ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست
اسماؤه والصلوة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه
حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين
هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا **اما بعد**
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى العظمة
ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر و
العجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله
ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من الكتاب شرح
المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن
نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب ان شاء الله تعالى

الشطر

الشطر الاول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال
وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه
ودرجاته وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق
المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس
في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه **بيان ذم الكبر**
قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال
تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا و
خاب كل جبار عنيد وقال الله تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة
من خردل من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من ايمان
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم
من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والانس
والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من
الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى
مست قدماه البحر فسمع صوتا يقول لو كان في قلب صاحبكم مثقال
ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وآله وسلم
يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق
يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر
وبالمصورين وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل
ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه وآله وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت

او ثوت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء
الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي
ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك
من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه واله وسلم
بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر
وبغى ونسي المبدا والمنتهى بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد
عبد سهى ولهى ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدا
والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان
فقال اليس بعده الموت وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان نوحا لما حضرته
الوفاة دعا ابنيه فقال اني امركما باثنتين وانهكما عن الشرك والكبر
وامركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت
في كفة الميزان ولا اله الا الله في الكفة الاخرى لكانت ارجح منها ولو
ان السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها
لقصمتها وامركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شيء وبها يرزق
كل شيء وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا
وقال نبينا صلى الله عليه واله وسلم اهل النار كل جعظري وكل
جواظ متكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله
عليه واله وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا في الاخرة احاسنكم اخلاقا
وان ابغضكم الينا وابعدكم منا في الاخرة الثرثارون المتشدقون
المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون المتشدقون
فمن المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه واله وسلم يحشر
المتكبرون يوم القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار
ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون

من

من طينة الخبال عصارة اهل النار وعنه صلى الله عليه واله وسلم يحشر
الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر يطاهم الناس لهوانهم
على الله وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان في جهنم واديا يقال له هبهب
حق على الله سبحانه ان يسكنه كل جبار وعنه صلى الله عليه واله وسلم
ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم قال صلى الله عليه واله
اللهم اني اعوذ بك من نفحة الكبرياء وقال صلى الله عليه واله وسلم
من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والدين
والغلول وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر
اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال الكبر
رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وعنه عليه السلام العز رداء الله و
الكبر ازاره فمن تناول شيئا منه اكبه الله في جهنم وعنه وعن ابي
عبد الله عليه السلام قالا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وعن
محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه
مثقال حبة من خردل من الكبر قال فاسترجعت فقال ما لك تسترجع
قلت لما سمعت منك فقال ليس حيث تذهب انما اعني الجحود انما هو
الجحود وعن ابي عبد الله عليه السلام قال الكبر ان تغمص الناس وتسفه
الحق وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان
اعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق قال قلت ما غمص الخلق وسفه
الحق قال يجهل الحق ويطعن على اهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله
رداءه وعنه عليه السلام قال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر
شكى الى الله شدة حره وساله ان ياذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق
جهنم وعنه عليه السلام قال ان المتكبرين يجعلون في صور الذر
يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وعن عمر بن يزيد قال قلت

لابي عبد الله عليه السلام انّي آكل الطعام الطيب واشم الريح الطيبة
واركب الدابة الفارهة ويتبعني الغلام فترى في هذا شيئا من التجبر
فلا افعله فاطرق ابو عبد الله عليه السلام ثم قال انما الجبار الملعون
من غمص الناس وجهل الحق قال عمر فقلت اما الحق فلا اجهله
والغمص لا ادري ما هو قال من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار
وعنه عليه السلام قال ان يوسف عليه السلام لما قدم عليه الشيخ يعقوب عليهم السلام
دخله عز الملك فلم ينزل اليه فهبط عليه جبرئيل فقال يا يوسف ابسط
راحتك فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء فقال يوسف يا جبرئيل
هذا النور الذي خرج من راحتي قال نزعت النبوة من عقبك
عقوبة لما لم تنزل الى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي وعنه
عليه السلام قال ما من عبد الا وفي راسه حكمة وملك يمسكها فاذا تكبر قال له
اتضع وضعك الله فلا يزال اعظم الناس في نفسه وهو اصغر الناس
في اعين الناس فاذا تواضع رفعها الله ثم قال له انتعش نعشك
الله فلا يزال اصغر الناس في نفسه وارفع الناس في اعين الناس وعنه
عليه السلام قال ما من احد يتيه الا من ذلة يجدها في نفسه وفي لفظ
اخر ما من احد تكبر او تجبر الا لذلة وجدها في نفسه وعن ابي
جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلثة لا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان
وملك جبار ومقل مختال بيان ذم الاختيال واظهار اثار الكبر في
المشي وجر الثياب قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر
ازاره بطرا وقال صلى الله عليه واله وسلم بينما رجل يتبختر في بردية وقد
اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال
صلى الله عليه واله وسلم من جر ازاره خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيمة

وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس
والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها
اختيال وقال صلى الله عليه واله وسلم من تعظم في نفسه واختال في
مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وروي ان عمر بن عبد العزيز
حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه
باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر
يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ويروى ان
مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال له
يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما
تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة
وتحمل بين جنبيك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد
في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال
فلنذكر فضيلة التواضع بيان فضيلة التواضع قال رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله
الا رفعه الله وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما من احد الا
ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم
قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه واله
وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية
ورحم اهل الذلة والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي
سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم عندنا بقبا وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن
وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد فيه حلاوة العسل فقال
ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه في الارض

وقال الباقر لاحد من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله
ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله
احبه الله وروى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في نفر من اصحابه
في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره بها فأذن
له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذه ثم
قال له اطعم وكان رجل من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك
الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيرني
ربي بين امرين اكون عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار
هو كان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت راسي فقال تواضع لربك
فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل
صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع
النهار بذكري وكف نفسه من الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه وآله
وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال عيسى
عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة
طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس
يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون
الى الله عز وجل يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله
في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة
الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب
الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد
في الدنيا وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا تواضع
العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال عيسى عليه السلام ان التواضع لا

يزيد

يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل
لا يجلس الى جنب احد الا قام فاجلسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الى جنبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء
في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وآله
وسلم لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قال التواضع وقال
صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم
واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار اقول
ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال
ارسل النجاشي الى جعفر بن ابي طالب واصحابه فدخلوا وهو في بيت له
جالس على التراب وعليه خلقان الثياب قال فقال جعفر فاشفقنا منه
حين رأيناه على تلك الحال فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال
الحمد لله الذي نصر محمدا واقر عينه الا ابشركم فقلت بلى ايها
الملك فقال انه جاءني الساعة من نحو ارضكم عين من عيوني هناك
فاخبرني ان الله تعالى قد نصر نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واهلك
عدوه واسر فلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الاراك
لكأني انظر اليه حيث كنت ارعى لسيدي هناك وهو رجل من
بني ضمرة فقال له جعفر ايها الملك فما لي اراك جالسا على التراب
وعليك هذه الخلقان فقال يا جعفر انا نجد فيما انزل الله على
عيسى عليه السلام ان من حق الله على عباده ان يحدثوا له تواضعا
عند ما يحدث لهم من نعمة فلما احدث الله لي نعمة بمحمد صلى الله عليه وآله
احدثت لله هذا التواضع فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وان التواضع

يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله فان [العفو] يزيد صاحبه عزا
فاعفوا يعزكم الله وعنه عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين
بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه وعنه عليه السلام قال
افطر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية خميس في مسجد قبا فقال هل
من شراب فاتاه اوس بن خولي الانصاري بعس مخيض بعسل فلما
وضعه على فيه نحاه ثم قال شرابان يكتفى باحدهما من صاحبه لا اشربه
ولا احرمه ولكن تواضع لله فانه من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر
خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله
ومن اكثر ذكر الموت احبه الله وفي رواية من اكثر ذكر الله اظله الله
في جنته وعن ابي جعفر عليه السلام انه اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ملك فقال ان الله تعالى يخيرك ان تكون عبدا رسولا او ملكا رسولا
قال فنظر الى جبرئيل عليه السلام واومى بيده ان تواضع فقال عبدا رسولا
فقال الرسول مع انه لا ينقصك مما عند ربك شيئا قال ومعه مفاتيح
خزائن الارض وعن ابي عبد الله عليه السلام قال اوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام ان يا موسى اتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال
يا رب ولم ذاك قال فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اني قلبت عبادي
ظهرا لبطن فلم اجد فيهم احدا اذل لي نفسا منك يا موسى انك اذا
صليت وضعت خدك على التراب او قال على الارض وعنه عليه السلام
قال مر علي بن الحسين عليهما السلام على المجذمين وهو راكب حماره وهم
يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت
فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم
فتغدوا عنده وتغدى معهم وعنه عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل
المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحى منه

فقال

فقال له ابو عبد الله عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله
لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم
وعنه عليه السلام قال فيما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كما ان اقرب
الناس الى الله المتواضعون كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون وعنه
عليه السلام من التواضع ان ترضى بالمجلس دون المجلس وان تسلم على من
تلقى وان تترك المراء وان كنت محقا ولا تحب ان تحمد على التقوى
وعنه عليه السلام ان من التواضع ان يجلس الرجل دون شرفه وعن ابي بصير
قال دخلت على ابي الحسن موسى عليه السلام في السنة التي قبض فيها ابو عبد الله
عليه السلام فقلت له جعلت فداك ذبحت كبشا ونحر فلان بدنة فقال
يا ابا محمد ان نوحا كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله وكانت السفينة
مأمورة فطافت بالبيت وهو طواف النساء وخلى سبيلها نوح فاوحى
الله تعالى الى الجبال اني واضع سفينة نوح على جبل منكن فتطاولت
وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجؤها
الجبل قال فقال نوح عند ذلك يا ماري اتقن وهو بالسريانية رب
اصلح قال فظننت ان ابا الحسن عليه السلام عرض بنفسه وعن ابي الحسن عليه السلام
قال التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه وفي حديث آخر
قال التواضع درجات منها ان يعرف الرجل قدر نفسه فينزلها منزلتها
بقلب سليم لا يحب ان ياتي الى احد الا مثل ما يؤتى اليه ان راى
سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب
المحسنين وفي كتاب مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التواضع
اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق
لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله
وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده

ولاهل التواضع سيماء يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض من
العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم
واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة
يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف في حقيقة التواضع
الا المقربون من عباده المستقلين بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وقد امر الله عز وجل خير خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء وانهن لا ياتين
الا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله تعالى وفي
تفسير الامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام اعرف الناس بحقوق
اخوانه واشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شانا ومن تواضع في الدنيا
لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب عليه السلام
حقا وقيل ورد على امير المؤمنين عليه السلام اخوان له مؤمنان اب وابن
فقام اليهما واكرمهما واجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين ايديهما ثم امر
بطعام فاحضر فاكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل
لييبس وماء ليصب على يد الرجل فوثب امير المؤمنين عليه السلام واخذ الابريق
ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال يا امير المؤمنين الله
يراني وانت تصب على يدي قال اقعد واغسل فان الله عز وجل
يراك واخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يريد بذلك في
خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف اهل الدنيا وعلى حسب ذلك
في ممالكه فيها فقعد الرجل فقال له علي عليه السلام اقسمت عليك بعظيم حقي
الذي عرفته ونحلته وتواضعك لله تعالى حتى جازاك عنه بان ندبني لما

شرفك

شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصاب
عليك قنبر ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية
وقال يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون ابيه لصببت على يده ولكن
الله عز وجل يابى ان يساوي بين ابن وابيه اذا جمعهما مكان لكن
قد صب الاب فليصب الابن على الابن فصب محمد بن الحنفية على الابن ثم قال
الحسن بن علي عليهما السلام فمن اتبع عليا عليه السلام فهو الشيعي حقا

فصل

قال ابو حامد الاثار سئل الفضيل عن التواضع فقال هو ان تخضع
للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس
قبلته منه وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من
دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه ان ليس عليه بدنياك فضل وان ترفع
نفسك عمن فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل
وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه
وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك
بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وكان سليمان بن داود
عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين
فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان
يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء
في الثياب المرتفعة وقيل ارفع ما يكون العبد المؤمن عند الله
اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما
يكون عند نفسه وعن الفتح بن شخرف قال رايت علي بن ابي طالب عليه السلام
في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع
للاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى واحسن من
ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان

لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان
في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له متى يكون متواضعا فقال اذا لم
ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه
عز وجل ومعرفته بنفسه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد
الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد
البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء
احسن والتكبر في الخلق كلهم وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل
لله ولا رفعة الا لمن تواضع لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا
لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين
الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم
يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت يوما
على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه
واتأمله فقال ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيت بمكة
ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك
فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث
يترفع فيه وتفاخرت قريش عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال
سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان
فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن والباطن هو خلق في النفس
والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن
احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب
للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في
نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون

الى

الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا
به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير
المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا
يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه
فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي
ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى
غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره
فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر
بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة
غيره فعند هذه الاعتقادات الثلثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه
الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه
اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك
فتلك العزة و[الهزة] والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال بعض
خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لرجل اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي
استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح وكان الانسان مهما رأى نفسه
بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن
الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة
وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر
ما هم ببالغيه فقال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه
العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات وتسمى ذلك تكبرا
فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه
واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان

يقوم مائلاً بين يديه ان اشتد كبره فان كان كبره اقل من ذلك استنكف
عن استخدامه ولم يجعله اهلاً للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته
فان كان دون ذلك فيأنف عن مساواته ويتقدم عليه في مضايق الطرق
ويرتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان تقصر في
قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان
وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه
شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم
وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالاً
واستحقاراً والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان
تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته
عظيمة وغائلته هائلة وفيه هلك الخواص من الخلق وقلما ينفك
عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الناس وكيف لا تعظم
آفته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجاباً عن الجنة لانه يحول بين
العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة
والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان
يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع
وهو رأس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه
العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على
الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على
ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر
على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم
وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر

مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفاً من
ان يفوته عزه ومن هذا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه و
الاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع
الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت
الآيات التي فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم
اخرجوا انفسكم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل
النار عذاباً اشدهم عتياً على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم
اشد على الرحمن عتياً وقال والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم
منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا
انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وقال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق قيل في التفسير سارفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير
ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا
فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل
ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب
المتكبر الا ترون انه من يشمخ برأسه الى السقف شجه ومن يطأطئ
اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك
ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف
عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس **بيان** المتكبر عليه
ودرجاته واقسامه وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله
او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوماً جهولاً فتارة يتكبر على الخلق و
تارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام **الاول**

التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض
والطغيان مثل ما كان لنمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء
وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية
مثل فرعون وغيره لتكبره وقال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا
لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين وقال الله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا **القسم الثاني**
التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل
ساير الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة
الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع
مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق وللتواضع للرسل كما
حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وان انتم الا بشر مثلنا
ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا
لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا وقال فرعون فيما اخبر الله
عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو و
جنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله تعالى وعلى رسله جميعا
قال وهب قال له موسى عليه السلام يا فرعون امن ولك ملكك قال حتى
اشاور هامان فقال له هامان بينا انت رب تعبد اذ صرت عبدا

تعبد

تعبد واستنكف من عبودية الله عز وجل ومن اتباع موسى صلوات الله عليه
وقالت قريش لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
قتاده الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة
من النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله
الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت
قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين
فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكونوا
من الظالمين وقال ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا
ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين
ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل
عنوا عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد ثم كان من منعه الكبر عن الفكر
والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وآله وسلم محقا ومنهم من عرف ذلك
ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب
من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر عن قبول امر الله و
التواضع لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم **القسم الثالث** التكبر على
العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن
الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم
ويانف من مساواتهم وهذا وان كان دونهما الاول والثاني فهو ايضا
عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلى لا يليق

الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا يليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعا العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان التكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي استرذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما حق الملك ان يستاثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك

الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعا في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر من قبوله ويتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعا وقال

الذين

الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعا واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك وقال صلى الله عليه واله لرجل كل بيمينك فقال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر فقيل ما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا لنعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعا به فكان مبدؤه الكبر على ادم والحسد له فجره ذلك على التكبر على امر الله فكان ذلك سبب هلاكه ابد الاباد فهذه افة من افات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الكبر بهاتين الافتين اذ ساله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ وقد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال صلى الله عليه واله لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث اخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الافة الاولى وقوله سفه الحق هو رده وهي الافة الثانية فكل من راى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن ابى ان يخضع لله تعا ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله والرسل

بيان ما به التكبر

اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها
صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني او
دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال
والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب **الاول**
العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر
في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم
نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدءوه بالسلام فان بدأ
احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة
راى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم
وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه
شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه
فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره
في حوائجه فان قصر فيها استنكفه كانهم عبيده او اجراؤه
وكان تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق
عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان
يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخافه
على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى
من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه
وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه
كما سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا
وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى ان كل الناس خير منه لعظم
حجة الله تعالى عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا

قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض
الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون
اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد
به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب عنه وهذا يورث
الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة
والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد
الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى
صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية
والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا **السبب الثاني**
ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيئ
الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات
ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في
العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره
ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث
ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر
طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه
الرجال فتحوله على قدر هممهم واهوائهم فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع
تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ
العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله
فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تاكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا
وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ومن اجل ذلك قال الله تعالى
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من

صف

المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف
اولياءه فقال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه العباس يكون
قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا
القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك
منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قيل لا تكن من
جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم وصلى حذيفة بقوم فلما سلم
قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه
ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء
من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال
انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه
فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة
من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا
اليه رجاء ان تشملنا بركته وسيرته وسجيته وهيهات
فانى يبقى في آخر الزمان مثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول
وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا
عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا
اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بقوله سيأتي زمان على الناس من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان
جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن
عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه
وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله
وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه فضله وكرمه الثاني العمل والعبادة

وليس

وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد
والعباد ويترشح الكبر منهم في الدنيا والدين اما الدنيا فهو انهم
يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون
قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس
وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ
الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق
واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو
الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا
سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان
هذا القول يدل على انه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره
غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من
الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو
له ما لا يرجو لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله
فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد
منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان
ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان
ينقله الله الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له
خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل
وكانت على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع
في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه
لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل
وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فأنف منه وقال له قم عني

فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت
للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر فتحولت الغمامة
الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبد
قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا
منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد
المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من
بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له ارفع فوالله
لا يغفر الله لك فاوحى اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك
ولذلك قال الحسن حتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز
اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى لصاحب الصوف الفضل
ولا يرى الفضل لنفسه وهذه الافة ايضا فلما ينفك عنها العباد
وهو انه لو استخف به مستخف او اذاه موذ استبعد ان يغفر الله له
ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما اخر لم يستنكر
ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع
بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم
الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة
زعم ان ذلك من كرامته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام
له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله و
عرف جماعة اذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم
من قتلهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما
اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الاخرة ثم ان الجاهل
المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لا
ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك

نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان
يقوله عطاء السلمي حين كانت تهب ريح عاصفة ما يصيب الناس ما
يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لاستراح الناس وما قاله الاخر بعد
انصرافه من عرفة كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى
الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على
نفسه مزدري لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد
والغل ما هو ضحكة الشياطين ثم انه يمتن بعمله على الله ومن اعتقد
جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله
فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه
لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله
عليه واله وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه
لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي
صلى الله عليه واله وسلم واصحابه فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم اسالك بالله
حدثتك نفسك ان ليس في القوم افضل منك فقال اللهم نعم فراى
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في
وجهه وهذه افة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله
لكن العلماء والعباد في افة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى
ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد
ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخت
في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر
ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران والاظهار
الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده

للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه
كانه متبرئ عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين
ان الورع ليس في الجبهة حتى يقطبها ولا في الوجه حتى يعبس ولا في
الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى يطاطا ولا في الذيل حتى يضم
انما الورع في القلوب قال صلى الله عليه وآله وسلم التقوى هاهنا واشار
الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكرم الخلق واتقاهم
وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحارث
بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجبني من القراء
كل طليق ضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك
بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال
لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
وهؤلاء الذين يظهرون آثار الكبر على شمائلهم فاحوالهم اخف حالا
ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى
يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية
الاحوال العوالي والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل
اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو
وما عمله ومن اين زهده فيطيل اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على
نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القرآن
كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد
يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان فهلك ولده واخذ ماله
او مرض او ما يجري مجراه هذا يدعي الكرامة لنفسه واما
مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما
كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فكلف نفسه الصبر ليغلبهم

ويظهر

ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا ان يقال
غيره اعبد منه واقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر و
يقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ
فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من
الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو ان يجتهد
في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل
بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ و
حفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ
الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر
فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد منهم ليرد عليه ويسوءه
اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه احسن منه واعظم منه فهذا
كله اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من
يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فيا ليت شعري من عرف هذه
الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر
كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو بقول رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن
خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله
عز وجل قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت
لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم
العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا
فهذا هو التكبر بالعلم والعمل الثالث التكبر بالنسب والحسب فالذي له
نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه

عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موالي وعبيد ويأنف
من مجالستهم ومخالطتهم ويجري على اللسان التفاخر به فيقول
لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ادومي من انت ومن ابوك وان فلان بن فلان
واني لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه في
ذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا او
عاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلب
غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر انه
قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت له يا ابن السوداء
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع
ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت
للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل فانظر
كيف اناب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه
اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين
تفاخرا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال احدهما للاخر
انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان
حتى عد تسعة فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر كل التسعة
من اهل النار وانت عاشرهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليدعن
قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من
الجعلان التي تدوف بآنافها القذر الرابع التفاخر بالجمال وذلك
يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة
وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة انها قالت دخلت امرأة

عل

على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما خرجت قلت بيدي هكذا اي انها قصيرة
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اغتبتها وهذا منشؤه خفي الكبر
لانها كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها اعجبت بقامتها و
استقصرت المرأة في جنب فضلها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال
وذلك يجري بين الملوك في الخزائن وبين التجار في بضائعهم وبين
الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم
فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه فيقول له انت مكدي ومسكين و
انا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت
وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع مالك وانا انفق في
اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظام الغنى واستحقار
الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة
بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا
حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان
يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا
زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك تكبرا
منه بالمال والولد فبين الله عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك
بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في
زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الآية السادس
الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف السابع
التكبر بالاتباع والانصار والتلاميذ والغلمان والعشيرة والاقارب
والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء
بالمكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا
وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر

على اقرانه بزيادة قدرته ومعرفته في صنعة الحجامين لانه يرى ذلك كمالا
فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة
الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال
وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض
فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه
في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي
يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده
في نفسه

بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر
خلق الباطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها و
نتيجتها وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو
استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له
موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه
وبعلمه وعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر
فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما
اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو
الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا
الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فقد
ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يورث ثمرة التكبر الظاهر
في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر
من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب
عليه بسبب قد سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه
فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا
للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر

ولحقده

ولحقده عليه وبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاءه من جهته
وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم
انه لا يستحق وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو
جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن
من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد
ايضا الى جحد الحق حتى يمتنع من قبول النصح وتعلم العلم
فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه
ان يستفيد من واحد من اهل بلده واقاربه حسدا وبغيا عليه
فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه
ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه
ليس يرى نفسه فوقه واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين
حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة
ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع
له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون
باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه كان لا يتكبر عليه و
اما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فيتكبر ايضا عند الخلوة
به مهما لم يكن معهما ثالث وكالذي قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا
وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب
ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته
في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه
لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين
وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن
كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهذا

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر

اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي عليه السلام من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكانوا اذا راوه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين فهو ضد التواضع ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعليه جدري قد تقشر وعنده اصحاب يأكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه واله وسلم بجنبه ومنها ان لا يتعاطى بيده

شغلا

شغلا في بيته والتواضع خلافه ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهذا خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه واله يفعل ذلك وقال علي عليه السلام لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم البذاذة من الايمان قال هو الدون من اللباس وعوتب علي عليه السلام في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه واله وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل واحد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال ما ترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع فاذا اختلفت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على خيلاء القلب يعني قد يورث بعض الاحوال على ان قوله جودة

في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انه ليس من الكبر يعني ان
الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو موزنا للكبر
وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحمود والوسط من اللباس
الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم قال
كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله
يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا
ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب اهل الصلاح وقال عيسى عليه السلام ما لكم تأتوني وعليكم
ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب
الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا
سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن
السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع
حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه
ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت
لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب
والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله وكل شيء من
ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج
في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعالج
في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة
ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا
اعيى ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله
في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير
ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد

من اهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان
يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد
الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين
الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك
محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا في غير مذلة جوادا
من غير سرف رحيما بكل ذي قربى قريبا من كل ذمي ومسلم رقيق القلب
دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولا يمد يده الى طمع قال ابو سلمة
فدخلت على عائشة فحدثتها بكل هذا عن ابي سعيد فقالت ما اخطأ
فيه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لم يمتل قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة احب اليه
من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه
ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى كنوز الارض
وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة
له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء
لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة
اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم
فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما
يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من
اللحوق باخواني واخلائي فقالت يا عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك
جمعة حتى قبضه الله تعالى فما نقل من اخلاقه صلى الله عليه وآله يجمع جملة
اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق
محله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله

فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم خلق الله تعالى منصبا في الدنيا والدين فلا تحرم ولا رفعة الا وفيه الاقتداء به ولذلك لما عوتب بعض الصحابة في بذاذة هيئته قال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله تعالى مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صلوة ولا صوم ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغاء مرضات الله بصبر بحنين وتواضع في غير مذلة وهو قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم خليل الرحمن عليه السلم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يزدرونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خيرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا يحركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون فقال الراوي فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان يكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك ان ابغضت الدنيا اقبلت على حب الاخرة وبقدر حبك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك فانا علم الله من عبد حسن الطلب

افرغ عليه السداد واكنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته

باب الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره

المقام الاول في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل بذاته وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفين واما معرفته نفسه فكذلك ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية واحدة من كتاب الله تعالى فان في القران علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان والى اخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الاية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان ذلك في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول فاي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشياء ثم

من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم
جعله عظاما ثم كسى العظام لحما فهذا كان بداية وجوده حيث
صار شيئا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف و
النعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا
يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا
بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره
وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل
غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من اي شيء خلقه من نطفة
خلقه فقدره ومعنى قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم
يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك
خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما
تيسر له في مدة حيوته الى الموت وكذلك قال من نطفة امشاج
نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه
بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان
اصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد
الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجايب والايات بعد الفقد
لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه
بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى
طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال تعالى
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته
ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه
كيف نقله من تلك القلة والذلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة
والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد

البكم

البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهتديا
بعد الضلالة وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء
واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار
بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم
المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها
ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك
امتن عليه فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه
النجدين وعرفه خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم
كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع
فمن كان هذا بدوه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر
والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم
لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان
يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده
الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبايع
المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم لهدم البعض من اجزائه
البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها و
يمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا
ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه و
يريد ان ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل يريد ان يصرف قلبه الى
ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك
قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره
الشيء ويكون حيوته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية

وهي تقعد وتحشر كلا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه و
بصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاوه ويخلس عقله ويختطف روحه
ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل ان ترك ما بقي
وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شي من نفسه ولا من غيره
فاي شي اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط
احواله فتامله واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى
ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره
وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة
لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب
فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة قذرة ثم تبلى اعضاوه
وصورته وتتفتت اجزاوه وتنخر عظامه فتصير رميما ورفاتا وياكل
الدود اجزاءه فيبتدي بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر
اجزائه فيصير روثا في اجواف الديدان وتكون جيفة تهرب منه
الحيوانات ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن
احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان او يعمر به البنيان
ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم يغن بالامس
حصيدا كما كان اول مرة امدا مديدا وليته بقي كذلك فما
احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شدايد
البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة
فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال
مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ
شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة
فيقال له اقرا كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك

التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان
عليك ما تنطق به او تعمله من القليل والكثير والنقير والقطمير والاكل والشرب
والقيام والقعود وقد نسيت ذلك واحصاه الله فهلم الى الحساب
واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه من هول
هذا الخطاب من قبل ان ينشر الصحف ويشاهد ما فيها من مخازيها
فاذا شاهدها قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها فهذا اخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره
فما لمن هذه حاله والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر
والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ بالله ربما
اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا
يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير
اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب واخره التراب وهو بمعزل
عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى
اهل الدنيا العبد المذنب في النار المصر من وحشة خلقه وقبح
صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من
شرابه الذي يسقاه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيف فمن
هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو
فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيا حتى يعتقد لها فضلا واي عبد لم
يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت
من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن
وهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملاء
من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذلة في السجن
افترى انه يتكبر على من معه في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا

سخطه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه
ذلك خوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القامع
لاصل الكبر **واما العلاج العملي** فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر
الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من
احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى
انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد
وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت
يوما لبست اشار به الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة
الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان
وبالصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة اسرار
لاجلها كانت عمادا ومن جملة ما فيها التواضع بالمثول قائما وبالركوع
والسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحناء فكان ربما
يسقط من يد احد سوط فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله
فلا ينكس راسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وآله
على ذلك ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو
منتهى المذلة والضعة امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول به
كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع
والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك
من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على
نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق
المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب
والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت و

القلب

القلب من عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب
السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو
العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر
على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في
جميع الاسباب السبعة **السبب الاول** النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب
فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز
بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت
ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته
فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان
له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي
افترى ان الدودة التي خلقت من بول انسان اشرف من الدودة
التي من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا
للدودة هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه
القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى
نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين
الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف
يتكبر واخس الاشياء ما اليه نسبه اذ يقال يا اذل من التراب ويا
انتن من الحمأ ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من
كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة
اقرب اليه من الاب فليحتقر نفسه بهما ثم ان كان ذلك يوجب
رفعة بالاب لقربه فالاب اعلى من التراب فمن اين رفعته فاذا لم
يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة فاذا اصله من التراب وفصله

من النطفة فلا اصل له ولا فصل له وهذا غاية خسة النسب ومن اصله
بالاقذار والفصل تفصل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان
ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف
الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم
وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك
اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر
وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى
ان ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم
فهو من استشعار الخزي بخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذه
حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب
اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب ويتعاطى الدم بالحجامة
وغيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم
الدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة
التي يتنزه منها هو في نفسه **السبب الثاني** التكبر بالجمال ودواؤه ان
ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما
نظر الى باطنه راى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه
وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في
مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنه والدم
في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط
كل يوم دفعتين بيده ويتردد الى الخلاء كل يوم مرتين ليخرج من باطنه
ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف
قذارته وذلته هذا في حالة توسطه وفي اول امره خلق من الاقذار
الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج في مجاري الاقذار

اذ

اذ خرج من صلب الرجل من مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم
خرج من مجرى القذر هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما
لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار
اقذر وانتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد انفسها قط فاذا نظر
انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من
ساير الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار
في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو
كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به
على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جماله اليه حتى يحمد
عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال متصور ان يزول بمرض او جدري
او قرحة او بسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه
الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن
اكثر تاملها **السبب الثالث** التكبر بالقوة والايد ويمنعه من ذلك ان
يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد
من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب
شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه
لقتلته وان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من
قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر
على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي
الانسان لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل او بقر واي افتخار
في صفة يسبقك البهائم فيها **السبب الرابع والخامس** الغنى وكثرة المال
وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن
من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال

والقوة والعمل وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بالمال كانه متكبر بفرسه
وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين
السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا
من القدر فان تغير كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج عن ذاته
فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد
عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك اليهودي به واف لشرف
ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب
ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الآخرة
وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك و
شيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبها ان ابقاها بقيت وان
استرجعها زالت وما انت الا عبد مملوك لا يقدر على شيء فمن عرف
ذلك فلا بد ان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله
وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد
عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه
كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ
جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه
في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد
فراى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب
والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا يملك
نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان من هذه
حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل في نفسه و
يخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك
رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض

واسقام

واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذه حاله لا
يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج
التكبر بالاسباب الخارجة وهو اهون من التكبر بالعلم والعمل وانهما
كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا
نوع من الجهل خفي كما نذكره **السادس** الكبر بالعلم وهذا اعظم
الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة
شديدة وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله وعظيم عند الناس وهو
اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا
كان معهما علم وعمل ولذلك قيل للعلم طغيان كطغيان الماء وقيل
العالم اذا زل زل بزلته عالم كثير فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه
بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر
العالم دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على
اهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه
من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه
في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالعالم يوم
القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار
بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير
ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا
يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها
كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وقال تعالى في بلعم بن باعوراء
واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض
واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء

اتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته فيكفي العالم هذا الخطر فاى
عالم لم يتبع شهوته واى عالم لم يامر بالخير الذى لا ياتيه فمهما
خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم
الذى هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم
من قدر غيره فهذا بذلك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه
فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا وكم عالم يشتهى في
الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان
كان من اهل النار فا   افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان
يكون اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتنى لم تلدنى
امى ويا خذ تراخى بلبنة من الارض ويقول يا ليتنى كنت هذه التبنة ويقول
اخر يا ليتني كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون
انفسهم اسوء حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر
الذى هو بصدده زال بالكلية كبره وراى نفسه كانه شر الخلق
ومثاله مثال عبد امره سيده باموره فشرع فيها وترك بعضها وادخل
النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يقتضيه مولاه
ام لا فاخبره مخبر ان مولاه مرسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه
عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا
ضاق عليه الامر وبلغ به الجهد امر برفع حسابه وفتش عن جميع
اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب اليم لا يروح
عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل
ذلك وعفى عن بعضهم وهو لا يدرى في اى فرقة يكون فاذا
تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه
وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو

من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما
ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من
الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره هو على ما هو بصدده من الخطر
العظيم فارق كبره لا محالة **الامر الثاني** ان العالم يعلم ان الكبر لا
يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله
وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندى قدرا ما لم
تر لنفسك قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندنا فلا بد
ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه فهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان
يتيقن انه لا ذنب له مثله ان تصور ذلك ولهذا زال الكبر عن
الانبياء اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم
بان تصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه
على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق
والمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل
العلم والعبادة عند الله عز وجل فكيف يغنيه ان يخطر بباله
خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكبر فاعلم ان
ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه
ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا
العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الاخرة
والكلب والخنزير اعلى رتبة من هو عند الله من اهل النار وهو لا
يدرى ذلك بالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى
العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا انما تراد للعاقبة فاذا حق
العبد ان لا يتكبر على احد بل ان ينظر الى جاهل قال انه عصى الله
بجهل وانا عصيت الله بعلم فهو اعذر منى وان نظر الى عالم فيقول

انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى من هو اكبر منه
سنا قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال
اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر
قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن
فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها فبملاحظة الخاتمة
يقدر ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة
الاخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له و
لعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل احد
ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان
يشتغل بخوف غيره وان الشقي بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان
على نفسه واذا جلس جماعة في جناية واوعدوا بان تضرب رقابهم
لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد
منهم هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد منهم هو
وحده في مصيبته وخطره فان قلت كيف لا ابغض المبتدع في الله و
بغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك تواضع لهما والجمع
بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج
غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال
بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا
جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه
وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع العابد بني اسرائيل مع خليعهم
وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن
والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان
ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الاخر

ويوجبه

ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك
من هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع
والفاسق اذا امرتهما بالمعروف ونهيتهما عن المنكر ثلثة امور احدها
التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك
في عينك والثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم
واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله عليك فله
المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب
لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم
له بالخير ويختم لك بالسوء حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه
فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك
وسيدك اذ امرك بان تغضب لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى
نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما
علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة و
اعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان يتكبر
على المغضوب عليه ويرى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك
غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره
بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان
كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما
ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه
يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه
فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر له عليه بل هو متواضع له يرى
قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من
الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك

يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله
في الاخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء
في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك تغضب بحكم محبته لمولاك اذا اجرى
ما يكرهه مع التواضع من يجوز ان يكون عند الله اقرب منك في الآخرة
فهكذا يكون بغض العلماء والاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع
واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله
بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله
واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر
التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد و
سبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من
يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرف من
فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على
العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في
فضل العلم فان قال العابد ذلك العالم العامل بعلمه وهذا عالم
فاجر فيقال له اما علمت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان
العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فيمكن ان يكون وسيلة له
وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما
يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر
عالما بل وجب عليه ان يتواضع له فان قلت ان صح هذا فينبغي
ان يكون العالم يرى نفسه فوق العابد بقول رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى الرجل من
اصحابي فاعلم ان ذلك ممكن لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة

الامر

الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد
من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو
عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على
نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه
وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في
حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجا وذلك يمنعه من التكبر
بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم
منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر
على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا
لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد
عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان يتكبر عليه ولا يمكن ان
يقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول
العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة من القلة نعم يمكن
ان يعلم ان ذنوبه اشد كما لو رأيت منه القتل والغصب والزنا
مع ذلك فلا ينبغي ان يتكبر عليه اذ ذنوب من الكبر والحسد والريا
والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل الخطاء
فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من
خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق
الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف
وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطاء
يوم القيمة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن ومن امكان
البعيد فيما علمك ينبغي ان يكون قريبا عندك وان كنت مشفقا
على نفسك فلا تشتغل فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك

فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيا من عذابك
فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر
وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه
ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعدد تسعة حتى
بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها
علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان
فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو يتواضع
للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره وتمنى ان يلحق
به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا
يراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن
فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فرحمه
الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك
شر لي لا امن فيما اظهر من الطاعة ان تكون دخلها الافات
فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه هذا كلامه
وبالجملة من جوز ان يكون عند الله وقد سبق القضاء الازلي
بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا
غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة
كما روي ان عابدا اتى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلان
الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه
يصوم النهار ويكتسب ويتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع
وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتي
في النوم ثانيا فقيل له ائت الاسكاف وقل له فقل له ما هذا الصفار
بوجهك فاتاه فساله فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لي

انه

انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة
هذه الخصلة قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
اي يوتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال الذين
هم على وجل عظيم من قبولها وقال الذين هم من خشية ربهم مشفقون
وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم
عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدوب بالاشفاق فقال يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق
والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل
غلبه الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر
دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا
ما يفسده باضماره الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار
اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن
القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي
البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت النفس الى
طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفى في المداواة
بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل المعرفة بالعمل ويجرب نفسه بافعال المتواضعين
في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات
هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة فالامتحان
الاول ان يناظر في مسالة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق
على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به
والشكر على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه
كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث فان يذكر
خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما من حيث

العمل فبان يكلف نفسه ما يثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان
بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول
ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني
له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها
فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل
الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه
بما فيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملاء
فليس فيه كبر وانما فيه رياء فيعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع
عن الناس ويذكر القلب بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله
لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه ذلك
في الخلوة والملاء جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص
من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كل الداءين فانهما
جميعا مهلكان الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال
في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور
تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى
يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة
وهي ان يجلس في الصف النعال او يجعل بينه وبين الاقران
بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان
ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم
بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع
ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم
الى الصف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن
الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في

حاجه

حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه
الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس
عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع
تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء التكبر الامتحان
الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق
الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر ورياء وان كان يثقل
ذلك مع خلو الطريق فهو كبر فان كان لا يثقل الا عند مشاهدة
الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكات له ان
لم يتدارك اقول ليس كل عار مذموما بل قد يكون مستحبا بل
واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه
فلا يليق بذوي المروات ان يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند
مشاهدة الناس وان جاز لهم في الخلوة الا ان ذلك يختلف بالازمنة
والبلاد والاشخاص فلا بد من مراعاة ذلك روي في الكافي عن
الصادق عليه السلام اذ نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله
شيئا وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيى منه فقال عليه السلام اشتريته
لعيالك وحملته اليهم اما ان يعيبوا على ذلك مع ان جده
امير المؤمنين عليه السلام كان يفعل مثله الا انه لما يعيبوا عليه مثله
في زمانه وفي مثله جاز له ان يرتكبه وكان منقبة له وتعليما
قال ابو حامد وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب
الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا
تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب
سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له
يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك من يكفيك قال اجل ولكن

اردت

اردت ان اجرب نفسي هل تسكن ذلك لم يقنع منها بمال من
العزم على ذلك الا بنفسه حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة
في التجربة من حمل الفاكهة او الثياب فقد برئ من الكبر الامتحان
الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس من ذلك في الملاء
رياء وفي الخلوة كبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله
عليه وآله وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل
البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن
سنتي فليس مني وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص
بالملاء فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من
لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه **بيان**
غاية الرياضة في خلق التواضع اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق
له طرفان وواسطة وطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه
الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا
والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلي طرفي
قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوسطها فمن يتقدم
على امثاله فهو متكبر ومن يتاخر عنهم فهو متواضع اي انه وضع
شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف
فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا
الى الباب خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود
بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه
فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن تقرب منه درجته
فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال

واجابة

واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا
منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره
وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع
ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود
في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد
حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف
لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن
غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى
احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه
اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو
الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق و
الميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى
طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند
الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان
واحدهما افحش من الآخر وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخسيس
والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الآخر والمحمود المطلق وهو
العدل ووضع الامور في مواضعها وعلى ما يجب وعلى ما يعرف من ذلك
بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان خلق الكبر **الشطر الثاني**
من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة
العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام
ما به العجب وتفصيل علاجه **بيان ذم العجب وآفته** اعلم ان العجب
مذموم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الله
تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الانكار وقال

وقال الله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا افرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل
وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه
وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه واله وسلم لابي ثعلبة حيث ذكر
اخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي
برايه فعليك نفسك وقال صلى الله عليه واله وسلم لو لم تذنبوا لخشيت
عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين
القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي
والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد
انه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى والموجود لا يطلب والمحال لا
يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في
اعتقاد القانط فهذا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو
اعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال
زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب
وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام
الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر من هذا ان العجب
مذموم جدا اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده
عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الله تعالى علم ان الذنب خير للمؤمن
من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمنا بذنب ابدا وعنه عليه السلم قال من
دخله العجب هلك وعنه عليه السلم قال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم
عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على

حاله

حاله تلك خير له مما دخل فيه وعنه عليه السلم قال اتى عالم عابدا فقال
له كيف صلوتك فقال مثلي يسال عن صلوته وانا اعبد الله منذ
كذا وكذا قال فكيف بكاؤك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال
العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل ان
المدل لا يصعد من عمله شيء وعن احدهما عليهما السلم قال دخل رجلان
المسجد احدهما عابد والاخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق
صديق والعابد فاسق وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته
يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في الندم على
فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وعنه عليه السلم قال قال رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم بينما موسى عليه السلم جالس اذ اقبل ابليس
وعليه برنس ذو الوان فلما دنا منه خلع البرنس وقام الى موسى عليه السلم
فسلم عليه فقال له موسى عليه السلم من انت فقال انا ابليس قال انت فلا
قرب الله دارك قال اني انما جئت لاسلم عليك لمكانك من الله
قال فقال له موسى عليه السلم فما هذا البرنس قال اختطف به قلوب
بني ادم فقال له موسى فاخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن ادم
استحوذت عليه فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه
وقال قال الله تعالى لداود عليه السلم يا داود بشر المذنبين وانذر
الصديقين قال كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال يا داود
بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين
الا يعجبوا باعمالهم لانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم العجب كل العجب ممن يعجب
بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل
عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من غير حق كاذب وان

خفي دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به
ليعلم انه عاجز فقير ويشهد على نفسه ليكون الحجة عليه اوكد كما
فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها
البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود
في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد
من ان يثمر

بيان آفات العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب
يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر
ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى
فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها
لا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها
فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن
انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها
ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها
ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال
كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة
نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق
والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله
وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا
باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه
العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان اعجب
برايه وعمله وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة
والسؤال فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه
وربما يعجب بالراي الخطاء الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره

ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ
بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رايه
في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق
باصول العقايد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء
بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم
وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا و
امثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته
انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح
الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال
نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خائفا
على زواله مشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب و
الاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث
انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا
ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف
عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه
كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه
فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له من حيث
انه منسوب الى الله بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما
شاء سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام
النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف
الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان
حتى توقع بعمله كرامة له في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه

استبعادا لرده على استبعاده فيما يجرى على الفاسق مثل هذا او لا يعلل
كانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه
ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات
او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال الصادق ع في قوله
تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك ومنه الخبر ان صلوة المدل لا
ترتفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان
تبكى وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب
ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة
دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع
اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله
فانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك
فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه اقوى
وفي الكافي عن علي بن سويد عن ابي الحسن عليه السلام قال سألته
عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين
للعبد سوء عمله فيراه حسنا ويعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان
يؤمن العبد بربه فيمن على الله ولله عليه فيه المنة

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة
العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط
فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة
والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من
العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا
يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعمل الذي به يعجب اما
ان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه

منه

منه وبسببه وقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو
محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل
مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس
اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل
وبقدرته وقوته تم فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه
وساير الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان علم
ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة
يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذا
افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما
برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة
فيه ولا وسيلة ولا جمال ولا خدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من
فضل الملك وحكمه وايثاره له من غير استحقاق واعجابه بنفسه
من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد
فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يتقدم ولا يؤخر الا بسبب فلولا
انه تفطن فيّ من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار
بالخلعة لما آثرني بها فيقال تلك الصفة هي ايضا من خلعة الملك
وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية
غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل
كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت
تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما
غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق
بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الاخرى
فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما

ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان يعجب بتلك الصفة وهذا
يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد
باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت
بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك
فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده
ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة
فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود
اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته و
عجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك
من فضل الله وانما هو محل الفيضان فضل الله وجوده والمحل
ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني
انا عملتها واني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب
فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب
وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان
جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والاخر فيه مسامحة
اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع
ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت
قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق
الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين
بل هو خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة و
الصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت
ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات
في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة له من جهتك معه في

الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو
القوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق
العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد
شيء هو الذي يخيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح
ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتي تقديره في كتاب
الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب
الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو انك تحسب ان العمل حصل بقدرتك
فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وبوجود عملك و
ارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك
فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى
وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل
الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة
ارأيت انك لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها
بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك
ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان
تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفتاح و
سلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها كان اعجابك
باعطاء الخازن المفتاح اوجب اليك من مد اليد اليه واخذه فلا
تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد
اليه لاخذ المال قريب وانما الشأن كله في تسليم المفتاح فكذلك مهما
خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث
وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا
باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق

وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان
تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله
وكرمه في ايثاره اياك على الفاسق من عبادة اذ سلط دواعي الفساد
على الفاسق وصرفها عنك وسلط اقران السوء ودعاة الشر عليهم
وصرفهم عنك ومكنهم من اسبابها الشهوات واللذات وزواها عنك
وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك
الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك
ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك واصطفاك
بفضلك وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك
اذ عرفت ذلك فاذا لا ينصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله
عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى
الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في
كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات
ما يتبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يعجب
اذا رزقه الله عقلا وافقره عمن افاض الله عليه المال من غير علم
فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم
الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري
المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم
اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له
بين العقل والغنى ومنعتني وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي وهلا
رزقتني احدهما والى هذا اشار علي عليه السلام حيث قيل له ما بال
العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه ومن
العجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل

له

له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع منه
فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر فلم يتعجب منه والمراة
الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذ القبيحة فتعجب
وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص به مثل
هذا القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها
وانها لو خيرت بين الجمال مع الفقر وبين القبح مع الغنى لاثرت الجمال
فاذا نعمة الله عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم
حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول
يا ملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تعجب
من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصارت نعمتي
عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا
تخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق
بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل
الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر
والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله
اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله
عليهم قالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب
عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت
هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة الاف صوت يا ايوب
انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه

فقال منك يا رب فرجع عن رأيه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا
قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه ما منكم من احد ينجيه عمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب
ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب
بها فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء
وهذا لا يبقى معه عجب بحال **بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه**
اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب التي يتكبر بها كما ذكرناه
وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله
فما به العجب ثمانية اقسام **الاول** ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته و
صحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة
تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله و
هو معرضة للزوال في كل حال وعلاجه فيما ذكرناه في الكبر بالجمال
وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وآخره وفي الوجوه
الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت
في القبور بحيث استقذرتها الطباع **الثاني** القوة والبطش
كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا
قوة وكما اتكل عوج على قوته فاعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على
عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل حتى صارت
في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام
قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة غلاما الحديث
ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد ويورث العجب بالقوة الهجوم

في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لمن قصده
بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته
وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه **الثالث**
العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين
والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس
المخالفين له ولرأيه ويخرجه الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا
عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقارهم واهانتهم وعلاجه
ان يشكر الله على ما رزقه من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب
دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك الناس منه ولا يأمن ان
يسلب عقله ان اعجب به لم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم
انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس
اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله
وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر
ان يكون منهم وهو لا يدري فان قاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله
فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من
اصدقائه فان بدر منه شيء يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن
بنفسه الا الخير ولا يفطن بجهل نفسه فيزداد به عجبا **الرابع** العجب
بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بسبب شرف
نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق
لهم موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم و
اخلاقهم وظن انه يلحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من
اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة
النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب فليتشرف

بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب شاركهم في القبائل من لم يومن بالله
فكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال تعالى
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم
لاجتماعكم في الاصل الواحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان
اكرمكم عند الله اتقيكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اشرف
الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتهي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا
واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الاية حين اذن بلال يوم الفتح
على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا
العبد الاسود يوذن فقال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم
وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية
اي كبرها كلكم بنو ادم من تراب وقال صلى الله عليه واله وسلم يا معشر قريش
ياتي الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتوني بالدنيا تحملونها على
رقابكم وتقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين
انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة
بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما
فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه
بقدر تقويه وقد كان من عادة اباءه التواضع فان اقتدى بهم
في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله
مهما انتمى ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان
قلت وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية
اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال

صلى الله عليه واله وسلم اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب
فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم منتظر شفاعة
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والنسب ايضا جدير بان يرجوها لكن
بشرط ان يتقي الله ويخاف ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته
فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يوذن في الشفاعة
فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا
فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة في من اشتد عليه
غضب الملك فمن الذنوب ما لا ينجي منه الشفاعة وعنه العبارة
بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت
الذنوب الى ما لا تنفع فيه وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان
كل ذي ذنب يقبل منه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهاهم
عن المعصية والاهمال في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على
الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهوته اعتمادا على طبيب
حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره وذلك جهل فان سعي
الطبيب وهمته وحذقه ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز
ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن
في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي
ان يفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء الاقارب والاجانب
وانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر الخامس العجب
بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية
الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على

عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم
في النار ونتنهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب
اليهم ولانكر على من ينسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له
ذلهم يوم القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم
يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم
ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق
اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم
ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فمحض جهل
السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة
والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا
واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب من قلة وعلاجه
ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد
او عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا
مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا
قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب
والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك
يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فاي خير
فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا
ينفعك في القبر والقيمة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى
فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك
وموتك وحياتك السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن

صاحب

صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه
رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال صلى الله
عليه وآله اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه
ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة
الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا
اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله صلى الله عليه وآله
بينما رجل يتبختر في حلة له مشية قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض
فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله
ونفسه وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب
ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور
من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره
في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل
ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله الثامن العجب
بالرأي الخطاء قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت
الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون
وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة
هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا
وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الرأي الخطاء جاهل
بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء
لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل
جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى

فكيف
الى العارف ومتهم فقد سلط الله عليه بلية هلكه وهو يظنها نعمه
يكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده
وانما علاج على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له
قاطع من كتاب الله او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة
ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط
فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمر في الطلب وممارسة الكتاب
والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا
يومن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق
عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغو اليها ولا يسمعها ولكن
يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع سنة سلف اتقى كل بل يتبع
سنة الهدى من اهل بيت النبي صلوات الله عليه وعليهم وسلامه خاصة
دون غيرهم من السلف كما عرف غير مرة قال ويومن بجملة ما جاء به
الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش وسوال عن تفصيل بل يقول
امنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات
والشفقة على المسلمين وساير الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع
والتعصب في العقايد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم
على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم
فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه
والوصول الى المعرفة واليقين في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه
الا الاقوياء المويدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسال
الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال
هذا اخر كتاب ذم الكبر والعجب في ربع المهلكات من المحجة البيضاء في

احياء

احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم الغرور منه والحمد لله
اولا واخرا وظاهرا
وباطنا

م

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات و
الشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات
الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله واصحابه
الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى
على ممر الدهور وكر الساعات والشهور وسلم **اما بعد** فمفتاح
السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله
على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح
الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما
سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم
كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري
توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو
لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء والمغترون قلوبهم
كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق
بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور فالاكياس هم الذين اراد الله تعالى ان يهديهم فشرح صدورهم
للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد ان يضلهم فجعل صدورهم
ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته
ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان
دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا و
اذا عرفت ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح

مداخله

مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد
بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات
والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح
اجناس من مجاري الغرور واصناف المغترين من العلماء والصالحين
الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها
ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر
من ان يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق
المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف الصنف الاول من العلماء
الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع
من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم
مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها
من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه
لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم
ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ليشتغل بالنافلة ومنهم من
يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصورة
على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من المداخل التي لا تتضح الا
بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ اولا بذكر غرور العلماء ولكن
بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وامثلته **بيان ذم الغرور
وحقيقته وامثلته** اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم
وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله
الغرور كاف في ذم الغرور وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حبذا
نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال

ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وكل ما ورد
في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة
عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه
على خلاف ما هو به والغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور
بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به الذي غره
فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب
للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي
الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق
الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد
انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور
واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس
اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتها
حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها
غرورا غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد ههنا امثلة لحقيقة
الغرور **المثال الاول** غرور الكفار فمنهم من غرته الحيوة الدنيا و
منهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم
الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة
فاذا هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك
ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك
وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك

الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان
اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم
ينفد وما عند الله باق وفي قوله وما عند الله خير وابقى وبقوله و
الآخرة خير وابقى وبقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد اخبر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه
وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك
الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو مخرج
من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور
المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما
المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي
نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك
السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث
السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ
العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا
نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر ان النقد خير من النسيئة
وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة
في المقدار فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان كان هذا
الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد
خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة
تركها في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي
بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل

الراحة والروح والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد
في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان اقصى
عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الآخرة
فكانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد
وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع
المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في
قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشأه قبول لفظ عام مشهور
اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال
النقد خير من النسيئة اراد به خيرا من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به وعند
هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك
والدنيا يقين والآخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان
كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر
في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين
وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين
وفي اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء
بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول انى
ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا
وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من
الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر
مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت و
كذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر
اياما قلائل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة
فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت في

العدم من الازل الى الآن لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما
قيل صدقا فابقى في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي عليه السلام
لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان
ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في
الآخرة ولكن تكلم مع الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن
متيقنا فهو مغرور **واما الاصل الثاني** من كلامه وهو ان الآخرة
شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان
احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا
يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال
مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من
عند آخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض
الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين بل يثق بقولهم و
يعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر
وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم
بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم
بقوله ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد على قوله وترك قول الاطباء
كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين
عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى
سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة
والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم
عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت
عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات
وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا

الانبياء وكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى
ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقه لا نشك
في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة
الخلق وهو يقين جازم مستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما
المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو الوحي والالهام فالوحي للانبياء
والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة ولامور
الدين تقليد لجبرئيل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى
تكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد
ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم
انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة
الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة
لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح
وانه من امر الله وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل
النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد
بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي بل الامر الذي هو الشان
حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع
المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر
فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة
عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار
فانه من عالم الامر وشرح ذلك يستدعي كشف سر الروح ولا رخصة
في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه
فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه
واذا عرف نفسه وربه انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني

غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب
من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على ادم عليه السلم وعبر عنه
بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق بمقتضى ذاته فانها
في جوار الرب تعالى وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى
له طبعي ذاتي الا ان تصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب
من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم
نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك
هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم
يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه
اشارة الى امر يهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من
سماع الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل
وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا
الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبها
وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء
اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور
الشيطان بان الاخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة
ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا
ضيعوا اوامر الله وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات و
المعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة
الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم
عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا
مغرورون فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا
الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى واني

غفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من
المحسنين وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم للاعرابي الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتب الله منوط بالايمان
والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون
اعني والمطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين
لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين
له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين
جميعا ولنذكر الغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين
فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم
انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا
وفيه اسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين
اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف
دينار واشترى بستانا بالف دينار واشترى خدما بالف دينار
وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول
اشتريت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا
يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون
ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه
الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو كاذب وان
كان فليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله
قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله
تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وروي

عن

عن خباب بن الارت قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت
اتقاضاه فلم يقض فقلت اني اخذه في الاخرة فقال لي اذا صرت
في الاخرة فان لي هناك مالا وولدا فاقضيك منه فانزل الله تعالى
افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الايات
وقال الله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن
هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي الاية وهذا
كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم
ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الاخرة
وينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب
الاخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم
فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من
الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب
القياس الذي نظمه الشيطان في قلوبهم انهم يقولون قد احسن
الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن
في المستقبل ايضا كما قال الشاعر كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن
فيما بقي فانما يقيس المستقبل على الماضي برابطة الكرامة والحب اذ
يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس
تحت ظنه ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا
احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على
الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون
عند الرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذي
يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب و

يمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية الكريهة شفقة
والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب
وياكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب
كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه
فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا و
لذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله يحمي عبده
الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب
وهو يحبه وهكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت
عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة
المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين
والمغرورون اذا اقبلت الدنيا عليهم ظنوا انها كرامة من الله واذا
صرفت عنهم ظنوا انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه
فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور قيل
كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هكذا بكرامتي ولا هذا بهواني
ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من
اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة
دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة
فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا
عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله تعالى ويدرك
ذلك بالالهام ومنازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة
علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد
والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله صلى الله عليه وآله

وقال

وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال
فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي
رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء الى غير ذلك مما ورد في
كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن آمن به خلص
ونجا من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته
فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر
الى فرعون وقارون والى ملوك الارض وكيف احسن الله اليهم ابتداء
ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال ولا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وقال والله خير الماكرين وقال انهم يكيدون كيدا و
اكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا وكما لا يجوز للعبد المهمل ان
يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل
ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر
نفسه فبان يجب ذلك في حق الله مع تحذيره باستدراجه اولى فاذا
من امن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا
على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن
ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل
بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور

المثال الثاني هو الغرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم ان الله
كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين
ذلك بتسميتهم واغترارهم بالرجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين
فان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد
في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان
وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار
العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم
انهم اكرم على الله من ابائهم اذ اباؤهم مع غاية الورع والتقوى
كانوا خائفين وهم مع الفسق والفجور امنون وذلك نهاية الاغترار
بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده و
ان الله تعالى قد احب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة ونسي
المغرور ان نوحا صلوات الله عليه اراد ان يستصحب ولده في السفينة
فقال ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
وان ابرهيم استغفر لابيه فلم ينفعه ذلك فهذا ايضا اغترار بالله
لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب
المطيع ببغضه الولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه
للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لكان يسري
البغض ايضا بل الحق لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو
بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه او يروى بشرب
ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه
فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا وعند جزاء
التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الا على
سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما

 فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله
كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته وما هذا الكلام صحيح مقبول في القلوب
فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود
الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله
عليه واله وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا
هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال
وقد شرح الله تعالى الرجاء فقال ان الذين امنوا وعملوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
يعني ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة
اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى
انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى ان من استؤجر على
اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد
مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد
جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء
في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء
وبين الغرة فان من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه و
كما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح ولم يجامع
او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم
يؤمن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور
وكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو
فضل الله في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام
الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات

ويبقى مترددا بين الخوف والرجاء يخاف لا يقبل منه وان لا يدوم
عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله ان يثبته بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويحفظ دينه من صواعق
سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل
الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو اذا كيس ومن
عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك
يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه
كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة
وبث بذر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح
فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الان صدقك في قولك وان
ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها
فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى انما سمعتم سنة الله
في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة
فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجا
وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق
العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان واني
تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع
القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده
وان التوبة طاعة يكفر الذنوب قال تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له امرهم

بالانابة وقال واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى
فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار
فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر
له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة
فاقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك
الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تأخير الامام الصلوة
لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او بسبب من الاسباب الذي
لا يعرفه فهو مغرور لا محالة والثاني ان تفتر نفسه من فضائل الاعمال
ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعم الله تعالى وما وعد الله به
الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على
الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم
خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة
والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع
حث على توبة او على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب
فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان
يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك وايذاء
نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن التوبة
والعبادة فهي الغرة وعند هذا وجب على العبد ان يستعمل
الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع
انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم
خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط
العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من

عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد
خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف والرجاء قائدان
وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور
ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا
وسبب اعراضهم عن الله واهمالهم السعي للاخرة فذلك غرور وقد
اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر
هذه الامة وقد كان ما وعد به فقد كان الناس في الاعصار
الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله
يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات والشبهات ويبكون
على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الناس امنين مسرورين
مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا
واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انا واثقون بكرم الله وفضله و
راجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرمه
وفضله ما لم يعرفه الانبياء والسلف الصالحون فان كان هذا
الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك
وخوفهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه معقل
بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القران في قلوب
الرجال كما تخلق الثياب على الابدان ان يكون امرهم كله طمعا
لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال
يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات
القران وما فيه ومثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم

خلف

خلف ورثوا الكتاب اي علماء ياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم
من الدنيا حلالا كان او حراما ويقولون سيغفر لنا وقال تعالى
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من اوله الى اخره تحذير
وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان
كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف
من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرؤون شعرا
من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل
في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان
الفرق بين الرجاء والغرور وقريب منه غرور طوائف لهم طاعات
ومعاصي الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون
انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية
الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام و
يكون ما يتناوله من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق
به من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام
يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع
عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان يميل
الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية الجهل نعم ومنهم من
يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد
معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله
بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق
اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد و
يكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه
طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة

وقد كتبه الكرام الكاتبون واوعد الله العقاب على كل كلمة وقال ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا مشتغل في فضائل
التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين
والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يضمرونه الى غير ذلك
من افات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام
الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي
زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته
وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا
يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجباه لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا
على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس
الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها وقد دفعنا
الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به
كنا من الحمقاء المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القران
وانا نبرا الى الله ان نكون من اهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه
والتدبر مع هذا البيان وما اجل من يقدر على تسليط مثل هذه
الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا
على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى **بيان** اصناف المغترين
واقسام كل صنف من الاصناف الصنف الاول اهل العلم والمغترون
منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا
فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي
والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان
وقد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق
شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم

مغرورون

مغترون وانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة
وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة
فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهو علم لا يراد الا للعمل ولولا
الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة
له دون العمل فمثال هؤلاء كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب
من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد
ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له
الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي تجلب منها وعلمه كيفية دق كل
واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط
حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم
يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا
هيهات هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي
جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا ان
يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على
مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه
واذا فعل ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما
ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي
احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها
واحكم علم الاخلاق المذمومة ولم يزك نفسه منها واحكم علم
الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد
افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها
وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال

فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى
وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل
العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه
فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول الشيطان اتذكر
فضائل العلم وتنسى ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه
كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وكقوله تعالى مثل
الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي
خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله تعالى الا بعدا وقال
صلى الله عليه وآله وسلم يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها
في النار كما يدور الحمار في الرحى وقال صلى الله عليه وآله وسلم شر الناس العلماء
السوء وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم
لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم
في باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان تحصى الا انها لا توافق
هوى العالم الفاجر وما ورد في فضائل العلم يوافقه فيميل الشيطان
قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة
فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة
العلم هو الذي اخبر بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله
تعالى اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع
تأكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة
كالعلم بالله وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع
امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله مثل من اراد خدمة ملك
يعرف الملك ويعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه

وعادته ومجلسه ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى
به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس بجميع ما يغضب
به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون
فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا
بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته
له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه
ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل
بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله
المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه الشهوات
يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى الا الاسامي دون المعاني
اذ لو عرف الله تعالى حق معرفته لخشيه واتقاه قال الله تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله
وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا
فاذا الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه
وما كرهه فهو العالم بالحقيقة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة اخرى احكموا
العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا
انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله
تعالى من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء
للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف
بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت
الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ادنى الرياء شرك والى قوله صلى الله عليه وآله وسلم
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد يأكل

للحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق
في القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها
في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهولاء تزينوا ظواهرهم
واهملوا بواطنهم ولم يتذكروا قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا ينظر
الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال
وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله
بقلب سليم ومثال هولاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن او
كقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة او كبيت مظلم باطنه وضع
السراج على ظاهره حتى استنار ظاهره وباطنه مظلم او كرجل قصد ضيافة
الملك الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا
يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت
معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه من اصله
فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس
المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم
يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض
ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل
على ما ظهر والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك
وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دايم
به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق
الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم
يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم
بذلك وانما يبتلى بها العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هم
فاعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة

وطلب

وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين و
اظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين
فاني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس
شمتت بي اعداء الدين وفرحوا به وكان على الاسلام ونسي
المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه منه هو الشيطان وانه يفرح
بما يفعله ويسخر به ونسي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بماذا نصر الدين
وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي عن السلف من التواضع والتبذل
والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب بعضهم في بذاذة زيه فقال
انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور
يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب الدبيقي والابريسم
المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز الدين وشرف
العلم وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او في من رد
عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما
هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه
ان ذلك من الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم
او منع غيره من رياسته وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل
غضبه الان فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم
اخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه
من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وبعلومه واذا خطر له خاطر
الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق
بي ليهتدوا الى دين الله فيتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور
انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به
فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان لمن له

عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على
يد طبيب اخر فرحا بذكر هذا له فلا يخدعه الشيطان ايضا بل يقول
انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي فانما فرحي
بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله يطلع من
ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من
ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال
في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته
من تدريس او وعظ وغيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد عليه
ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة
حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم واما
انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر عدوك
عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند
ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى يدفع الضرر عن جميع المسلمين
لثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن
فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غروره ببعضهم الى ان ياخذ
من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك
له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله
افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلثة امور
احدها في انه مال لا مالك له وانه يعرف انه ياخذ الخراج من
المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم
وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب
مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام
ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى

كل

كل واحد قد اختلط بمال الاخر الثاني في قوله انك من مصالح
المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال
السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض
عن الاخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها و
اقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين
لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا
والاقبال على الله كالانبياء ومتابعيهم والدجال هو الذي يقتدى
به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا ولعل موت مثل هؤلاء
انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال
عيسى عليه السلم للعالم السوء انه كصخرة وقعت على فم الوادي فلا هي
تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور
اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه
تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح
وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق
النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو
وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها
الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب
من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض
مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثله مثل من يريد تنقية الزرع
من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم
يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد
ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت
تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قلعها فاذا هو بها في غفلته

قد نبتت وتقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك
العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد
للدقايق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين
الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار
دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار
الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق الالسنة
عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات
وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن
الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس على
كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين
والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين ساير الاقران والاشكال
للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن فيه من اطلاق
لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة
الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا
المسكين المغرور حظه في الباطن بما انتظم له من امر الامارة
والعز والانبساط والتوقير وحسن الثناء فلو تغيرت عليه القلوب و
اعتقدوا فيه خلاف الزهد لما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه
قلبه ويختل اوراده ووظايفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه
وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة
والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد
فيه فوق قدره وينبو قلبه عن عرف حد فضله وورعه وان كان
ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى
انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له

واتبع

واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على
خدمته ولعلهم ليستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان
قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق عليه فيحمد الله تعالى على ما يسر
على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك يكفر لذنوبه ولم يتفقد
من نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد على ذلك الثواب في
ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة
والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد
بقول الشيطان من زعم من امة ادم انه بعلمه امتنع مني فبجهله
وقع في حبايلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله
لينتفع به وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع
تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان
ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله عالم
بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه
اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن
في غيره ليتبين من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم
منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من
الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه لعله
لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او
بغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف
انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعها وتحسين
نظمها لئلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة و
تحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما
روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة فاوحى الله

الى بني زمانه قيل له قد ملات الارض نفاقا ولكن لا اقبل من نفاقك
شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل
واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياها ولو افترقوا واتبع
كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه
اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق
بكثرة الاتباع منه حسده ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا
وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره
ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فعند ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه
ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء
عليه كما اثنى من قبل مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه
الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لافاته من الافات كانت ملحقة
في هذه الفئة وسلامته منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة
عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحرك فيه مبادي الحسد لم يقدر
على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك
ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما
فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وقطب وجهه اذا ذكر عيوبه
يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع
عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس
ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيها لامثالنا من الضعفاء الا ان
اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك و
يكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله تعالى بعبد خيرا بصره
بعيوب نفسه ومن سرته حسنته سيئته فهو مومن وامره اقرب من المغرور
المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى بعمله وعلمه الظان انه من خيار خلقه

فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا الذنوب مع الاهمال
وهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم
ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا
المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم
عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات و
تفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش
فخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا
مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا
اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى
السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء
والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما
من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور
فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره
وحفظه وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام
وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل
بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل
لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامراة
وتسالني عنها وذلك غاية الغرور وكذلك المتفقه المسكين قد تسلط
عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر
المهلكات الباطنة وربما تختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى
الله تعالى وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم
والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى
والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شئ من ذلك قط في عمره

لنفسه واذا احتاج غيره كان في الفقه كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه
لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ
يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض كفاية بنيته وليس يدري ان
الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا
او كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه
وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه
وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث
اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله
وسنة نبيه وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة اخبار و
حملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك
الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث
الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه امنا من الله مغترا
متكلا على انه لابد وان يرحم فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى
لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل
مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان
ذلك الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب
الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة منهم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم والذي به يحصل الانذار غير هذا العلم فان مقصود
هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان
بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى
آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق
وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين

العبد

العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى
فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق
الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل
الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء وقد ذكرنا شرح ذلك
في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم
يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق
لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات
ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع الاسباب
المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا
يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم
لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى
الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه
ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل
العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا
ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذا اشتغلوا
بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه
بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم
المذاهب وهو كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وفهم معانيه واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع
والتركيب والتعدية فهي انما ابدعت لاظهار الغلبة والافحام و
اقامة سوق الجدل فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم
وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد
على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة

واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا
كثيرة واعتقدوا انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح الايمان
الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد
اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم
يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة و
محقة والضالة هي التي تدعوا الى غير السنة والمحقة هي التي تدعوا الى
السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها و
ظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة ويكفر بعضها بعضا وانما اتيت من
حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرأت
الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من
حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله
فزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يتفحص ولم يبحث وان من صدق
الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن ولا بكامل ولا مقرب
عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل و
البحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهمل
نفسه وقلبه حتى عمي عليه ذنوبه وخطاياه الظاهرة والباطنة
فهو يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل
ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء
الى الذب عن دين الله عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول
وان النبي صلى الله عليه واله وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم
قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم
ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن
تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث راوا

حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على
ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في
الله ولم يلتزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو
الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدال في الدعوة الى السنة اذ
روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد
هدى الا اوتوا الجدل وحرموا العمل وخرج رسول الله صلى الله عليه واله
يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه
تفقأ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم ابهذا
امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به
فاعملوا والى ما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم راوا
النبي صلى الله عليه واله وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد
معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سوال وايراد
الزام فما جادلهم الا بتلاوة القران المنزل عليه ولم يزد في المجادلة
عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه
ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات
ودقائق الاقيسة ولم يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس
واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا
نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر
مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا
العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم
فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله
ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة

لترك

تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجاهدتها ومجادلتها لترك
الدنيا للاخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدال والخصومة فكيف
وقد نهيت عنه فكيف ادعوا الى السنة فالاولى لي ان انفقه نفسي
وانظر من صفاتها ما يبغضه الله لا تبرء عما يبغضه واتمسك بما يحبه
وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في ا
خلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل
والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون
بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا
موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر
يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم
يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة
الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم
مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا
انه مقرب عند الله لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى
الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون
يرى انه من الخائفين وهو آمن من مكر الله ويرى انه من الراجين
وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله عز وجل
وهو الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين
على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من
المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف
الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما
اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه
على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار

ويخوف

ويخوف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله
وهو عنه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات
المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس على الخلق وهو على الخلق
اشدهم حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى
لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو
ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا
ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه كان ابغض خلق الله
اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع
الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة
هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه و
شغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج و
كيف سبيل تخويفه نفسه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون
وهو ليس بخائف نعم لو ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات
المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا
حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف
فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة
عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس بالله فمتى طاب له الخلوة ومتى
استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل ترى قلبه يمتلي بالحلاوة
اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رايت
محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون
انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها
بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم
الظنون واذا كشف الغطاء عنهم في الاخرة يفتضحون بل يطرحون

في الآخرة في النار فتندلق اقتابهم فيدور بها احدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر انهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء لانهم يصادفون من قلوبهم شيأ ضعيفا من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله على ما نفع الناس كلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا احاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه فيصف الصحة ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصناف فهو يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به انما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب وظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه الصحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وساير هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القران والاخبار وفرقة اخرى عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا

بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر في مجلسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن السبيل ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب فانه يشهد من قدمه الى قرنه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسد هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة اخرى قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم حفظ الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن من عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظ الكلام الزهاد من اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية وهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر ليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك

يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بما فيها وقد يفهم
بعضهم ايضا فلا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذى هو فرض
عينهم وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بكثرة الاستماعات و
طلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شىء من ذلك ومنها وهى
الذى اكب عليها اهل الزمان ايضا انهم لا يقومون بشرط السماع بمجرده
وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم فى نفسه للوصول الى اثبات الحديث
اذ الفهم بعد الاثبات والعمل بعد الفهم فالاول السماع ثم الفهم ثم
الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا
حقيقة السماع فترى الصبى يحضر فى مجلس الشيخ والحديث يقرا والشيخ
ينام والصبى يلعب ثم يكتب اسم الصبى فى السماع فاذا كبر تصدى ليسمع
منه والبالغ الذى يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغى ولا يضبط
ربما يشتغل بحديث وينسخ والشيخ الذى يقرا عليه لو صحف
اكثر ما يقرا عليه لم يشعر لم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل
فى الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيحفظ كما يسمع
ويرويه كما حفظ فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان
عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سمعته من الصحابة
او التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من يسمع من رسول الله
وهو ان تصغى وتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث
لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطا علمت خطاه وللحفظ
طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار
كما تحفظ ما جرى على سمعك فى مجارى الاحوال والثانى ان يكتب
كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظ كتابك حتى لا يصل اليه يد من يغيره
ويكون حفظك للكتاب معك وفى خزانتك فانه لو امتدت اليه

بل غيرك

بل غيرك ربما غيره واذا لم تحفظ لم تشعر بتغيره فيكون محفوظا
بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من
التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى
على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس الذى قرات فيه ثم رايت
نسخة لذلك جوزت ان يكون ما فيه مغيرا او تفاوت حرفا
من النسخة التى سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك
لا تدرى لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه
ولو فى كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت
عليها للتقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم فى هذا انى من
انا سمعنا ما فى هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذى ذكرناه كذب صريح
واول شرط السماع ان يجرى جميع على سمعك مع نوع من الحفظ
يشعر بالتغير ولو جاز ان يكتب سماع الصبى والغافل والنائم
الذى ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبى فى المهد وسماع المجنون ثم
اذا بلغ الصبى وافاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف فى عدم جوازه
ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين فى البطن فان كان
لا يكتب سماع الصبى فى المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ ولا الصبى
الذى يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم
ولا يحفظ واهل السماع مستند الى قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
نضر الله امرء اسمع مقالتى فوعاها واداها كما سمعها فكيف يؤدى
كما سمعها من لا يدرى ما سمعه فهذا هو افحش انواع الغرور و
قد بلى به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيخا
الا الذين سمعوه فى الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الا ان المحدثين

في ذلك جاها وقبولا ونخاف فوت ذلك لو اشترطوا ذلك فيقل من يجتمع
في حلقتهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها
بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك واقتصروا واصطلحوا على انه ليس
يشترط الا ان يقرع سمعه وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع
لا يعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علماء اصول الفقه
وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هولاء
ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي
افناء اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم من مهمات
الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك
طريق الله تعالى وربما يكفيه الحديث الواحد عمرا كما روي عن بعض
الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وآله
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى
افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا كان سماع الاكياس من الذين
يحذرون الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر
وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه غفر لهم وانهم من علماء الامة
اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة
والنحو فافنى هولاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي
غريب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح
الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة
فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل
الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية
وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع
عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في معرفة لغة الترك والهند

وانما

وانما فارقهم لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريبين في
الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة واما
التعمق فيه الى درجات لا يتناهى [فضول] مستغنى عنه ثم لو
اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا
مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف
في القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني
وانما الحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين
ليزيل ما به من الصفرا وضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يحفظ
فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو
واللغة والادب والقراءة والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها
وتجردوا اليها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي
هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل
وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو
سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى
المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه وهو العلم باللغة والنحو
وفوق ذلك هو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون
بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات
منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فيجاوزها الى وراءها
حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه
وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب
والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر
العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه
وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب

او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع
اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم
انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة
بها من حيث انها علوم وكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلم
بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما
يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه هو
المنتهى والباقي محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن ظنه مقصودا
او عرج اليه فقد اغتر به وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن الفقه
وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء
فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساؤوا تاويل الالفاظ المبهمة
واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وهذا من قبيل الخطا في الفتوى
والغرور فيه والخطا في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم
الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة فمن ذلك فتواهم بان
المراة مهما ابرات الزوج من الصداق برئ الزوج من الصداق
وبرئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطا بل الزوج قد يسيء الى
الزوجة بحيث تضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص
فتبرئ الزوج ليتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال
تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب
فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة
بقلبه ولكن تكرهها نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء
لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت اهونهما
فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا
يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره

لسبب

بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي
الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل
الابراء وكذلك لا يحل مال الانسان ان يؤخذ الا بطيبة النفس منه
فلو طلب من انسان مالا على ملا من الناس فاستحيى من الناس ان
لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن
خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وتردد نفسه بينهما فاختار
اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة
اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من
الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة
الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن
وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم
الدنيا هو الذي يحكم بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف
على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او شر سعايته
فهو حرام عليه وكذلك كل ما يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام اذ
طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلي الانسان
واختياره حتى ينبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان يضطر دواعيه
الى الحركة بالحيل والاكراه ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة في اخر
الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول
سقطت الزكوة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي سقطت
عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان
ظن انه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجة
لها البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة تطهير
القلوب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

تلك مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم
يكن مطاعا فقد تمم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على
قلبه وحبه المال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان
استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور
ومن ذلك اباحة الله تعالى مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة
والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاملاك والفضول والشهوات
وبين حاجات بل كل ما لا يتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض
الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة اليها في العبادة وسلوك طريق
الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو
حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور
الفقهاء في امثال هذا لملانا فيه مجلدات والغرض التنبيه على
امثلة تعرف الاجناس من دون الاستيعاب فان ذلك يطول
الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من
غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القران ومنهم في الحج ومنهم في
الصوم ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج
من مناهج العمل فليس خاليا من غرور الا الاكياس وقليل ما هم
فرقة اهملوا الفرايض واشتغلوا بالفضايل والنوافل وربما تعمقوا
في الفضايل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب
عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم
بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في
النجاسة واذا آل الامر الى الاكل حلال قدر الاحتمالات القريبة
بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من
الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة ثم من هولاء من يخرج

الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى
يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها ايضا فهو ايضا مغرور لما فاته
من فضيلة اول الوقت وان لم تفته فهو مغرور للاسراف في الماء
وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له
مندوحة الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق شتى ولا
يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله
بمثل ذلك فرقة اخرى غلب عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعه
الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة
ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد
تردده في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة
التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم
يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك
ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة
وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم
وفرقة اخرى يغلب عليهم الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة
وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق
بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته
لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القران والاتعاظ
به وصرف الفهم الى فهم اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه
لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت
به عادتهم في الكلام ومثال هولاء مثال من حمل رسالة الى مجلس
سلطان فامر ان يوديها على وجهها فاخذ يودي الرسالة
ويتانق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد

بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة
المجلس فما احراه بان يقام عليه السياسة فيرد الى دار المجانين ويحكم
عليه بفقد العقل وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القران فيهذونه
هذوا ربما يختمون في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به
وقلبه يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القران لينزجر
بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع
الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القران من
مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزل القران
الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار
عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به
ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه
مكرر الكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما
ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا
ينسى وحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع
بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقراه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه
ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذته
في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ
فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله من حيث
نظمه ومعانيه او بصوته وفرقة منهم اغتروا بالصوم وربما صاموا
الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم عن
الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار
والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك
يظن بنفسه الخير يهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية

غاية الغرور

الغرور وفرقة اخرى اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج
عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد
الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون
في الطريق الصلوة والفرايض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن
ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يوخذ منهم ولا يحذرون في الطريق
عن الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء
في الطريق وهو يطلب السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام
اولا وانفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في
حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذمايم الصفات
لم يقدم تطهير قلبه على حضوره بيت ربه وهو مع ذلك يظن انه
على خير من ربه وهو مغرور وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويامرهم بالخير
وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز والجاه
واذا باشر هو بنفسه منكرا فرد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف
ينكر وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تاخر عنه اغلظ القول عليه
وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه
بل منهم من يوذن ويظن انه يوذن لله ولو جاء غيره فاذن في
وقت غيبته قامت عليه القيمة وقال لم اخذ حقي وزوحم على رتبتي
وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان
يقال انه امام المسجد ولو تقدم غيره ولو كان اورع منه واعلم
ثقل عليه وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بذلك
ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة ببلادهم
ملتفتة الى قول من يعرف ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدى ويقول

لمكس

قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة واذا سمع ذكر ذلك قبح ترك صريح التحدث
واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويمد عين طمعه الى اوساخ
اموال الناس فاذا جمع من ذلك شيا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة
يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الريا والبخل والطمع وجملة من المهلكات
كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من
المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذايل فهو ايضا
مغرور وما من عمل من الاعمال ولا عبادة من العبادات الا وفيها افات
فمن لم يعرف مداخل افاتها واعتمد عليها بغير معرفة فهو مغرور ولا يعرف
شرح ذلك الا من جملة كتاب احيا العلوم فيعرف مداخل الغرور
في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة وساير القربات من الكتب
التي رتبناها فيها واما الغرض الان الى مجامع ما سبق في الكتب
وفرقة اخرى تزهدت وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن
بالمساجد فظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في
الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك
اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال
ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب وهذا مغرور اذ
ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يعرف معنى الدنيا ولم يدر ان
منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا
ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد ترك الرياسة
ويوثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على
الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه
اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب
وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذه خيفة من ان يقال بطل

زهده ولو قيل انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الباطن لم تسمح به
نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ
ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك
فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى
المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المايلين الى غيره من الزهاد
وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه
في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم
القران فيه وهو مع ذلك لا يخطر له مراعات القلب وتفقده و
تطهيره من الريا والكبر والعجب وساير المهلكات فلا يدري ان ذلك
مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك فربما توهم
انه مغفور له بعمله الظاهر وانه غير مواخذ باحوال القلب و
ان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة يترجح بها كفة حسناته فهيهات
وذرة من ذي تقوى وخلق من الاكياس افضل من امثال الجبال عملا
بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته
وتلوث باطنه بالريا وحب الثنا فاذا قيل له انت من اوتاد الارض
واولياء الله واحبائه فرح وجاش به وصدق به وزاده ذلك
غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا
يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه وفرقة اخرى حرصت
على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلوة
الليل وساير الرواتب ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على
المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه واله وسلم فيما
يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت
عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان

فرضا احدهما يفوت والاخر لا يفوت او احدهما يضيق وقته الاخر
يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه فهو مغرور ونظاير ذلك
اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض
تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرايض كلها على النوافل و
تقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية
لا قايم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على
ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم
حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
فقيل له من ابر قال امك ثم قال ثم من قال امك قال ثم من
قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك ثم ادناك
فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فالاقرب فان استويا فبالاحوج
فالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج
فربما يحج فهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من
تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد
ميعاد ودخل وقت الجمعة تفوت بالاشتغال بالوعد فالاشتغال
بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو في نفسه طاعة وكذلك
تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسبب النجاسة
محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الاذى اهم من الحذر
من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن
ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض
لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن بصيرورة الطاعة معصية
حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال
بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات و

المعا

المعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان
مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما
يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة
المباهات وقهر الاقران والتقدم عليهم حتى يغتر به مع نفسه ويظن
انه مشغول بمهم دينه **الصنف الثالث المتصوفة** وما اغلب الغرور
عليهم والمغترون منهم فرق ففرقة هم متصوفة اهل الزمان الا
من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من
الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي ادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم
وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس
على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس
الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل و
الهيات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم ظنوا انهم ايضا
صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة
القلب وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الخفية والجلية وكل ذلك
من اوايل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان
يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا
انفسهم شيا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين
ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير
والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شي من غرضه و
هولاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان
والابطال من المقاتلين يثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل
واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع
مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال

ابطالها وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تدربت عليها وتعلمت
كيف هيئة تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت
جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت
الى العسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصل الى العسكر انفذت
الى ديوان العرض وامرت بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر الى
ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في
الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة
لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك و
استخفاف اهل حضرته والتلبيس عليه خذوها فالقوها الى قدام الفيل
ليتخبطها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في
القيمة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر
الى الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هؤلاء
في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون
فارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم
فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة
والسجادات المصبوغة ولبست من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز
والابريسم فظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب
وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها
كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذ كانت ثيابهم مخرقة
وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة
قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه
فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب
ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا

يجتنبون

يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون
بانفسهم الخير وشر هؤلاء يتعدى الى الخلق اذ يهلك من تقتدي
بهم ومن لا تقتدي بهم يفسد عقيدته في اهل التصوف كافة
اذ يظن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين
منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم وفرقة اخرى ادعت
علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات المحمودة والاحوال
والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه
الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الالفاظ الطامات
كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين
فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين
الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح يترك فلاحته و
الحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم
تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر
الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد
انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون
ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من
الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم
يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى
اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى منهم وقعت
في الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال
والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم
يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا
وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن

فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا
قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل كلفوا تاديبهما بحيث ينقاد كل
واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح
لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة الى حب الله وواصلة
الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا عاكفة في الحضرة الربوبية
فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن
رتبة واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات
لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها ويرفعون درجتهم عن
درجة الانبياء اذ كان تصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة
حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل
الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط و
وساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام
العلم ومن غير اقتداء لشيخ متقن في الدين والعلم الصالح للاقتداء
والحصار اصنافهم يطول وفرقة اخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت
الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصارت تدعي
المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة
هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد
والحب لله تعالى وزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات
هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن
مقارفة ما يكره الله عن ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى ومن ترك بعض
الامور حياء عن الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري
ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض
البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة

لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا
ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد
وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو
متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات
الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الافات في
ربع المنجيات من الكتاب وفرقة اخرى ضيقت على انفسها في امر
القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد القلوب والجوارح
في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه
ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك ولم يدر المسكين ان الله لم يرض من عبده
بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه
الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور
يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة اخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع
والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم
واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم
يظهرون ان غرضهم الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم
يظنون ان غرضهم الارفاق والاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة
والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر بهم
اتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين و
ينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية
ويزعم ان غرضه الارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة واية ذلك
اهمالهم لجميع اوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام
والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير
كمن يعمر مساجد الله فيطليها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقة

عيوبها

اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من
وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث من عيوب النفس ومعرفة
خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن
عيوب النفس باستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس
عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب
ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل
طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل
بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه
وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدأوا السلوك الطريق وانفتح
لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها
وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها وفي
التفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل
ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس له نهاية فلو وقف مع كل
اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان
مثاله مثال من قصد ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار
انوار لم يكن قد راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت
الذي يمكن فيه لقاء الملك وفرقة اخرى جاوزوا هولاء ولم
يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما يتيسر لهم
من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جا
دين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى وظنوا
انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور
ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه
قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم صلوات الله عليه اذ قال الله تعالى

اخبارا

اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به
هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست
الهة وهي كثيرة وليست بواحدة والجهال يعلمون ان الكواكب ليس
باله فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به
نور من الانوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالك ولا
يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب
من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له
لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم عليه السلام لما راى
ملكوت السموات حيث قال عز وجل وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض يصل الى الله نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما
يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امر فيترقى اليه ويقول
قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي
لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال
عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال
لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على
بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجاب بين الله وبين
العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني
سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة
العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره
اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول
الامر محجوب بمشكاة وهو كالساتر فاذا تجلى نوره وانكشف فيه
جمال القلب بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب

الى القلب فيرى من جمال الله الفائق ما يدهشه فربما ينطق لسانه في هذه
الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف
عليه وهلك وكان اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم
يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس
اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما تراءى في المراة فيظن
انه لون المراة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل رق الزجاج
ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح
ولا خمر وبهذه العين نظر النصارى فظن ان الكواكب في المراة
او في الماء فيمد اليد اليه ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق
السلوك الى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح
جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي
ذكرناه ايضا كان الاولى بنا تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج
الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به
اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن في ذكره فائدة
وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم
مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف
ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله
ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الان كما يكذب بما سمعه
من قبل والله اعلم **الصنف الرابع ارباب الاموال** والمغترون منهم
فرق كثيرة ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات
والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالاجر عليها
ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا
المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من

اموال

اموال كسبوها من الظلم والنهب والرشى والجهات المحظورات فهم قد
تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب
عليهم الامتناع عن كسبها فاذا عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب
عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها
او برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك فكان الواجب
ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى
اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون
ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالاجر و
غرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم
بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص
وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان
ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم
تسمح به نفسه والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه
يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى
ربما اكتسب الاموال من الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا
مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون
في جواره او في بلده فقير وصرف المال اليه اهم من الصرف الى
المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين
الناس والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي
هي منهي عنها وشاغلة لقلوب المصلين ومختطفة لاعينهم والمقصود
من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين
ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك
يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة له الى الله تعالى

وهو بذلك متعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره
وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف من المسجد وربما شوقهم به الى
زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه
ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله
تعالى قيل دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي
يدخل بيت الله فكتب على المكان عند الله صديقا فبهذا ينبغي
ان يعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد
لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى
وقال الحواريون للمسيح صلوات الله عليه انظر الى هذا المسجد ما احسنه
فقال امتي امتي بحقا اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما
على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة
ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله القلوب
الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال
ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زخرفتم مساجدكم و
حليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبرئيل عليه السلام فقال ابنه سبعة
اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره هذا من حيث انه
راى المنكر معروفا واتكل عليه وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات
وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء
من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون
اخفاء الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على
انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم
جياعا ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب

يهون

يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين
يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه
لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال
قد عزمت على الحج فتامرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم
قال بشر فاي شيء تبتغي بحجك تنزها او اشتياقا الى البيت او ابتغاء
مرضات الله قال ابتغاء مرضات الله قال فان اصبت رضاء الله
وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضات الله
اتفعل ذلك قال نعم قال فاذهب فاعطها عشرة انفس مديون يقضي
دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي
قلبك ان تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة
اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام
قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري
اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ
التجارات والشبهات اقتضت النفس ان يقضى به وطرا فاظهرت الا
الصالحات وقد آلى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين
وفرقة اخرى من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل
ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام
النهار وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان البخل المهلك
قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغلوا
بطلب فضائل هم مستغنون عنها ومثاله من دخل في ثوبه حية وقد
اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء
ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين وفرقة اخرى غلبهم البخل
فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث

الردى الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد
فى حاجاتهم اومن يحتاجون اليه فى مستقبل الاستحار فى خدمة
اومن لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون ذلك الى من يعينه واحد
من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم
بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور
يظن انه يطيع الله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا
من غيره وهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى
وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور وفرقة اخرى
من عوام الخلق وارباب الاموال اوالفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر
واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون
ان لهم مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون
لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير
فيه والرغبة محمودة لحملها على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل
فلا خير فيها وما يراد لغيره اذا اقصر عن الاداء الى ذلك الغير
فلا قيمة له وربما يغتر احدهم بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور
المجلس وفضل البكاء وربما دخلته رقة كرقة النساء فيبكى وربما يسمع
كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او
نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور
وانما امثاله كمثال المريض الذى يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجرى
والجايع الذى يحضر عنده من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية وينصرف
ذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيا فكذلك سماع وصف الطاعات
دون العمل بها لا يغنى من الله شيا وكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا
يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا

او ضعيفا

او ضعيفا فكذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت
مغرورا **فصل** فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص
عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا
يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات فاقول
الانسان اذا فترت همته فى شى اظهر الياس منه واستعظم الامر فيه
واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق
النظر خفايا الطرق فى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا
اراد ان يستنزل الطير المحلق فى جو السماء مع بعده عنه فانزله و
اراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحار فاصعده واراد ان يستخرج
الذهب والفضة من تحت الجبال فاخرجه واراد ان يقتنص الوحوش
المطلقة فى البرارى والصحارى فاقتنصها واراد ان يستسخر السباع والفيلة
وعظيم الحيوانات فاستسخرها واراد ان ياخذ الافاعى والحيات
ويعبث بها فاخذها واستخرج الترياق واراد ان يتخذ الديباج
الملون المنقوش من ورق التوت فاتخذه واراد ان يعرف مقادير
الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض
وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس للركوب
والكلب للصيد وسخر البازى لاقتناص الطيور و الشبكة لاصطياد
السمك الى غير ذلك من دقايق حيل الادمى كل ذلك لانه اهمه امر
دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر اخرته فليس عليه الا
شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا
محال ومن الذى يقدر عليه وليس ذلك بمحال ولو اصبح وهمه هذا الهم
الواحد احتال له بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل
فهذا شى لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا

ها

يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب
الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت قد قربت الامر
فيه بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور
فاعلم انه ينجو عنه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة
امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي
الذي به يدرك الانسان حقايق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة
والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور
فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا اذا لم
يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن
تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل فاكتسابه يجري
الكياسة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تبارك الله الذي
قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما
وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب
احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن
ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار
ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود
المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما نعلم منزلته عند الله
تعالى يوم القيمة فقال يا رسول الله انما يجزى على قدر عقله وقد
اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا خيرا فقال
صلى الله عليه واله وسلم كيف عقله فقالوا يا رسول الله نقول من
عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب
بحمقه اعظم من فجور الفاجر فانما يقرب الناس على قدر عقولهم
وقال ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا بلغه

عن

عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه
وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل
فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون
اقول ــــ وقد اسلفنا اخبارا من طريق اهل البيت عليهم السلام
في ذلك في كتاب العقل من ربع العبادات قال ــــ والذكاء وشدة
غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة
فلا تدارك لها الثاني المعرفة واعني به ان يعرف اربعة امور يعرف
ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل
وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية
وهي مضرة له وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله والنظر الى وجهه
فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه و
ليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجايب
القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف
النفس ووصف جلال الله تعالى يحصل به التنبيه على الجملة وكمال
المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب
الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليه
بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له ان
لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا
والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله تعالى حب الله وبمعرفة الاخرة
شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره
ما يوصله الى الله تعالى وينفعه في الاخرة واذا غلبت هذه الارادة
على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء
الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة

وصحت نيته واندفع عنه كل غرور محذ[ور] منشاه تجاذب الاغراض
والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المغفل للبشر و
ما دامت الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب اليه
رضاء الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على
قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج
الى هذا الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى
الله والعلم بما يقربه من الله تعالى وما يبعده عنه والعلم بآفات
الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتاب احياء
علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها
فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه
فيأخذه باذن الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع
المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع
من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق
علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لابد
ان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع
ذلك امكنه الحذر عن انواع الآفات التي اشرنا اليها من الغرور و
اصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا
منه حتى يقوى به الارادة فتصح فيه النية ولا يحصل ذلك
الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما
الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان و
يدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه
من دين الله عز وجل فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب
الاخلاق ومراقبة القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى

على

على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه وتركها وانقطع طمعه عن الخلق
فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره
ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه
من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه ويأتيه من جهة الدنيا
ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة عليهم وعلى دينهم بالنصح
لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمة الى العبيد فيراهم حيارى
في امرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا
يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة
لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم
ويرشدهم الى سعاداتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة
ولزوم غرامة وكان مثاله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه
وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك
ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن
ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرأ وصح فطاب نومه بالليل
بعد طول سهره وهدأ يومه بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه
بعد نهاية التكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر
الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم
واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فيذكر ان دواءهم هو
الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اسرع زمان
يقدر فاخذته الرحمة والرقة ولم يفسح من نفسه في التراخي عن
الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى
الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت
قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشقاؤهم وسهل عليه

دواؤهم وانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وعرضه
الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل به وجد
الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من
دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه
الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات و
التصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه ويعظمونه ويجلونه
ويوقرونه وتوقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم
بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم
وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم واموالهم فصاروا له خولا
كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك
والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت
لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة
وكان ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان
فرصته وامتدت الى قلبه يده فيستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة
وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ
فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر عليه نفسه ما وجده
من الغضب بادر الشيطان يخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه
اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع
في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فيقع في
الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ويقع في الكبر الذي
هو تمرد عن قبول الحق والتكبر عليه بعد ان كان يحذر من
طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر من بعض الاوراد
كرهت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك باستغفار

وتنفس

وتنفس صعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد من اجلهم والشيطان
يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا تفتر رغبتهم عن طريق الله فيتركون
الطريق بتركك لها وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس
خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تأبى نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك
من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب
الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان
النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله
مثال من يرى جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى رأس البئر
بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع
الحجر من رأس البئر وشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه
او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة اذ غرضه
خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين
من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه فرح بذلك ولم يثقل عليه ارأيت
لو اهتدوا جميعهم بانفسهم لما كان ينبغي ان يثقل عليه ذلك ان
كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد
ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح
واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج
النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس
فاقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد
من يعينه او لو اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم
وعن اموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان
الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر
اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا

يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهايم فمن
حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه
البهايم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما غرضه رعاية
الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه بعين الحمد
والثناء فما لم ير سائر الناس التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم
لا يأمن من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه
باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان
قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا
من الوعظ وخربت القلوب فاقول وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولولا حب الناس الدنيا
لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا
الا انه صلى الله عليه وآله وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكره كونه
مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب
الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم
يترك ذكره خوفا من ان تترك نفسه بالشهوات التي سلطت على الناس
فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا ندعها
لقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق
الشرب والزنا والسرقة والربا والظلم وساير المعاصي بقول الله وبقول
رسوله ان ذلك حرام فانظر الى نفسك وكن فارغ القلب عن
حديث الناس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص
ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الارض فان الله يؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم في الاخرة وانما
يخشى ان يفسد باب طريق الايقاظ فاما ان تحرص السنة الوعاظ

ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت ان
علم المريد بهذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح
او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه
وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه
بقي عليه اعظمها وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت مني
بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء
وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله محلك اذ قواك
على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه
ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه
غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك
قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك
قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من
الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان عنه الا بتوفيق
الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا
قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله
فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور
بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على
هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون
حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من
مكره ومن امن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله ان يكون مشاهدا
لجملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سد عنه
صفة من صفات قلبه من حب الدنيا والرياء وسوء الخلق والالتفات الى
غيره وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حالته في كل طرفة عين

من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف
لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض
الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال له افلت
مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون
والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى
الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك
والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر
قلوب الاولياء ابدا نسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور
بخواتيمها اقول ولنختم الكتاب بكلام الصادق عليه السلام
على ما روي عنه في كتاب مصباح الشريعة قال عليه الصلوة والسلام المغرور
في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى
ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك
ان تبقى لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك و
اصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بجمالك ومنيتك و
اصابتك مامولك وهواك وظننت انك صادق ومصيب وربما
اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل
الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادة
متكلفا والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك و
انت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله
وانت تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريدهم
لنفسك ان يميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها على
الحقيقة واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق
الانابة الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك من حيث

لا توافق



لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة
وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك
منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة هذا اخر الكلام
في كتاب ذم الغرور وبتمامه تم ربع المهلكات من المحجة البيضاء
في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله تعالى
في ربع المنجيات كتاب التوبة
والحمد لله اولا و
اخرا وظاهرا
وباطنا

عدد ابياته ١٧٣٢٥
والعلم عند الله

